

قصة القصة

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

ولدت مع الاسرة
ودرجت مع القبيلة
ونمت فى المجتمع القديم وبلغت اشدها فى المجتمع الحديث

وكان موضوعها ابدا هو اقدم موضوع واخلد موضوع ، شغل به الناس وتشوقوا الى سماع الحديث فيه .. وهو - او هى مواضيع - الحب والبطولة وعجائب الاخبار وخفايا الدنيا

ولم يعرف التاريخ قصة اقدم من القصة المصرية ، لسبب ظاهر .. هو ان المجتمع المصرى كان اقدم مجتمع عرفه التاريخ

فقصة السحرة الثلاثة ترجع الى اكثر من الفى سنة قبل الميلاد

وخلاصتها ان الملك « خوفو » بانى الهرم الاكبر ، ارق ذات ليلة فدعى بابنائه ليحدثوه بأعجب ما سمعوه من عجائب السحر والكهانة . فحدثه أولهم عن ساحر بلغ من مقدرته فى السحر ، انه صنع تمساحا من الشمع . وارسله فى النيل ، فانطلق فى الماء تمساحا حيا ليلتقم عاشقا كان يخون الكاهن الاكبر مع امرأته . وحدثه الثانى عن ساحر بلغ من مقدرته فى هذه الصناعة أنه حسر الماء عن ارض الجدول ، لتبحث فيها جارية من جوارى الملك عن جوهرة سقطت منها ، وهى تلهو على شطه . وحدثه الثالث عن ساحر يرد الرؤوس المقطوعة الى مواضعها من رقاب الحيوان ، فتعود اليها الحياة

وعرف المصريون الاقدمون قصص الاسفار والملاحين الذين ضجت بهم السفن فى البحار ، كما عرفوا قصص الكهان والسحرة ، وقصص العشاق والعاشقات

وكان للشرقيين السبق فى ميدان القصة بعد زوال دولة الفراعنة ، فظهرت القصة فى الاسكندرية وسوريا ، قبل أن تظهر فى آسيا الصغرى وسائر بلاد الاغريق ، وان كان الاغريق عرفوا الملاحم الشعرية قبل ذلك

ولم تزل قصبة السبق فى ايدى الشرقيين الى اوائل القرون الوسطى

فاستمع الناس فى مصر وسوريا وفارس الى الراوية

والمحدث ، قبل ان تقرأ القصة فى اوربا ببضعة قرون

وبدأت سلسلة الف ليلة وليلة فى القرن العاشر للميلاد ، ولم يؤثر نظير لها فى الغرب قبل القرن الحادى عشر ، ثم ظهرت فى القرن الثالث عشر « أحاديث الغرام » للايطالى فرنسسكو بربرينو . ولعله كما يدل عليه اسمه Barbareno من أصل مغربى أو من بلاد البربر على الاجمال ، وتلاه بوكاشيو بأصابيحه العشر « الديكامرون » على نسق الف ليلة ، مستبدلا الصباح بالمساء

ثم انتقلت قصبة السبق فى هذا المضمار من يد الشرق الى يد الغرب بعد القرن الخامس عشر . ولكنه كان كانتقال الكتاب من يد المعلم الى يد التلميذ

لان سرفانتز صاحب دون كيشوت ــ واكبر قاص فى القرن السادس عشر على الاطلاق ــ قد عاش زمنا فى افريقيا الشمالية ، وردد كثيرا من الامثال العربية فى قصته الكبرى التى تعنى بها عهد الفروسية ، ولكنه مبتكر من جانب الموضوع أو من جانب القدرة على خلق الشخصيات

ويقال ان دانيال ديفوى أكبر القصاصين الانجليز بين القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر ، قد وضع روايته الشائقة عن روبنسون كروزو على نسق « حى ابن يقظان »

اما القصة فى طورها الاخير ، فهى بحق وليدة المجتمع الاوربى الحديث . ولم يكن من المستطاع أن تظهر قبل ذلك ، لأنها مرهونة بأطوار المجتمع الذى ظهرت فيه

ففى القرن الثامن عشر ولدت القصة الحديثة ، وأصبح القصص فنا مستقلا عن سائر الفنون ، واصبح موضوعا جديرا بالقراءة لغير التسلية وتزجية الفراغ ، لانه اشتمل على الدراسات النفسية والدراسات الاجتماعية والدراسات التاريخية ، وتخصص له كتاب مبرزون

وكان للقصة فى نشأتها الاولى من اقدم العصور ، كبرياؤها التى تلازم كل شباب

فكانت لا تتنزل الى الكلام عن احد من غير زمرة الابطال والامراء ، ولا تتنزل الى الحكاية عن حادث غير حوادث العجائب والمغامرات ، وقلما عنيت بحديث فى الحب الا أن يكون حبا بين امير واميرة ، او بين شموس واقمار

وكان شعار القصاص القديم كشعار المصور القديم ، اذ كان يقول : « اين تجد من يرسمك أن كنت لا تجد من يراك ؟ »

وكذلك كان القصاص القديم يقول من خلال سطوره : « اين تجد من يسمع خبرك ان كنت لا تجد من يسمع باسمك ؟ »

فلا حديث عن غمار الناس ولا حديث عن معيشة كل يوم ، وانما هو حديث من الابطال ومن هم أكبر من الابطال ، وهم المردة والارباب

ثم ادركها تواضع السن مع

الزمن ، فاذا هي اليوم تنحصر او تكاد تنحصر فى سواد الناس من النكرات واشباه النكرات ، واذا هي اليوم تتكلم عن الاسواق والاكواخ ، وعن حوادث الدنيا

ولعلنا نتجوز اذا قلنا انها تواضعت بعد تلك الكبرياء ، وتحولت من أصحاب السلطان الى من ليس فى أيديهم سلطان

فالواقع انها شغلت بجمهرة الشعب ، حين أصبحت جمهرة الشعب هى « مصدر السلطات » فى حكم الدساتير الحديثة ، وانها شغلت بعجائب النفس الانسانية، بعد أن تكشفت لها عجائب واسرارا خفى على الباحث المنقب من كل سر عجيب

فهى لا تزال موكولة بالسلطان، وهى لا تزال موكولة بالعجائب ، ولكنه سلطان جديد وعجائب جديدة ، لم تخطر للاوائل على بال

وربما كان الاصح أن نقول انها قد امتحنت بجشع السن ولم تخلع كبرياء الشباب . فبلغ بها الطمع أن تحاول الاستئثار بكل قارىء وقارئة

وادعت لنفسها فى أواخر الزمن انها أحق من كل فن بالكتابة فيه والاقبال عليه ، وانها هى وحدها التى بقيت للأدب الصحيح ، لانها هى وحدها التى تحيط بصور المجتمع وتعرض لمشكلات الحياة فى كل جيل

●

ولكن الادب لا يكون أدبا الا اذا كان « أدبا انسانيا » قبل كل شيء ، ولن يكون أدبا انسانيا قبل كل شيء اذا هو انحصر فى مشكلة من المشكلات فى جيل من الاجيال

فاذا استطاعت القصة ان تعيش بعد جيلها فهى أدب ، واذا هى عاشت وماتت فى جيلها فهى « حوادث محلية » فى غير صحف الاخبار ، وحاجة الناس اليها لا تعدو حاجتهم الى صحف الصباح وصحف المساء

وكل ما هنالك ان القصة ستهذب كبرياءها ، وتكفكف من جشعها ، وتكسب بذلك ولا تخسر ، لأنها تعطى ما للحاضر للحاضر وتعطى ما للبقاء للبقاء

فالقصة التى تنحصر فى عصرها تستولى على عصرها ولا نصيب لها فيما بعده من العصور

والقصة التى تعنى الانسان فى جميع عصوره لا تستأثر بعصرها ولا تفوتها المشاركة فى غيره

او هى ستصبح ــ او قد أصبحت منذ الآن ــ فنونا كثيرة فى أغراض شتى ، وليست بفن فرد فى غرض واحد

ستختلف ــ أو قد اختلفت ــ فى الاسهاب أو الايجاز ، وفى السمو أو الاسفاف ، وفى تعدد الجوانب أو الحيز المحدود ، وفى النقش الدقيق أو التخطيط الغليظ ، وفى شواغل الفرد أو شواغل الجماعة ، وفى الواقع او الخيال

ولكنها ــ أيا كان اختلافها ــ ستظل كما كانت وكما هى الآن ، موكلة بالعجائب وذوى السلطان

عباس محمود العقاد



- ١ -

فى اضامة من اوراق البردى العتيقة، دونت هذه القصيدة التي يبسطها شاعرها على النحو الآتي :

الى من تسقط فى يده هذه الاوراق ، اروى هذه القصة ..

انها غفل من الأعلام ، فارح نفسك من محاولة التعرف لصاحبها

انه انسان مثلك ، صبت نفسه الى أن ينقل اليك هذا الحديث ، لعله واجد فى ذلك تسرية ، كما انت واجد فيه مسلاة

اما أن تعلم : أوهم ما يقال ، ام حقيقة واقعة ، فليس فى ذلك ما ينقص من قدر القصة او يزيده

اى جدوى لك فى ان تكون القصة من وادى الحقائق او من صيد الخيال ؟

ستقرؤها فى فسحة من وقتك، وفرصة من فراغك .. فان شاركتنى احساسى وشعورى باركتك ، وطلبت لروحك امنا وطمأنينة فى اجتيازها برزخ الارواح، ولجسدك سلاما ورفاهية فى ناووسه الحجرى

وان لم تقع هذه الاوراق من نفسك موقعها المؤمل .. فلا تنكر على ، ولا تلعنى اذ اضعت وقتك هباء ، واختر أن تكون سمح النفس ، كريم الخلق، لتنشد الرحمة لهذا الشاعر المأخوذ الذى صب عصارة عمره زيتا تضاء به ذبالة الأوهام !

هى قصة فتاة .. فتاة طالعت الحياة تمارس الرقص ، وتعرض فنها وفتنتها سلعة فى اسواق المواخير ...

لم تكن بذات حسن باهر ،



يجتذبك بروعة القسامة والوسامة ، ولكن روحها الحى المتألق كان يسرى فى جسدها اللدن المشيق ، فيتضوأ ، ويبث من حوله الفتنة والسحر

انك لتحس نور ذلك الروح وحرارته يشف عنهما ذلك الجسد ، كما تحس ضوء الشمس ودفئها خلف غلائل الغيوم

اذا اتفق لك أن تراها عفو النظرة ، وهى فى مألوف الرواح او الغدو ، فانك ربما ترفعت عن أن تعاود اليها النظر ، بيد انك ما ان تلمحها قد توسطت مدار الرقص ، وجعلت تنقل قدميها فى خفة العصفور ، وتراوح بين يديها بسطا وارخاء كأنهما جناحا طائر ، وتتأود بخصرها كانسياب الجدول الرقراق .. حتى تراها وقد تضوعت منها فتنة نفاذة

اخاذة ، وانبعثت من حواليها قبسات مشبوبة تتغلغل بحرها بين الحنايا والضلوع ...

لم تكن تتحلى بزينة بالغة ، أو تتحسن بملبس زاه ...

سرها وسحرها كمين فى ذلك الروح الوهاج ...

انه ليظل كانما هو حبيس قمقم احكم صمامه ، فاذا ما احتوتها ساحة الرقص تخلى الصمام عن مكانه ، وانطلق الروح كانه بخور مسخور يشيع ولا يفتأ يشيع ، حتى يملك على الناس مسارب الأنفاس

وقد تثير شعرها فى الرقص ، وكان سبط الغدائر فاحما يتهدل كانه سعف النخيل تعابثه نسمات الأصيل ...

انها تستعين بشعرها على التفنن فى الرقصات ، فتارة هو غدائر تتواثب على الكتفين ، وطورا هو سابح على الصدر ، وحينا هو غلالة تنسدل شفافة هفهافة توقظ الاغراء

وسرعان ما طار لها صيت ، وجرت بحديثها الىسن ، فلم يبق فى الأرجاء قاصيها ودانيها من لم يعرف « زهرة الرقص » ...

وما هى الا ان تبوأت مكانتها فى سوامر الأمراء ، ومحافل السراة ... فراحوا يتهافتون عليها تهافت الهوام على الشراب المعسول ، يعبون منه عب العطاش

وكانوا يثقلونها بامداد من مال ومتاع ، فتثقلهم هى بالوان من دلال ومطال . لا يصدهم ملل من التلطف والتقرب والزلفى ، ولا تأخذها هوادة ولا رحمة فى تكسب واغتنام !

وما برح نجمها يتصعد ويأتلق ، حتى كان ما ليس فى حسبان ...

لقد توارت « زهرة الرقص » عن العيون ، فاعترى الناس طائف من دهشة واسف ...

اين ولت ؟

اما انها ماتت ، فلا ...

لقد خلا ناووسها من جسدها المعطر .. ذلك الناووس الذهبى الذى شغلت باعداده ، وشغفت بتنميقه ، بضعة اعوام

اتراها ظعنت الى ما وراء التخوم ، تقصد الشرق الأقصى ، لتروع بفتنتها اقيال الممالك ، وغطاريف الشعوب ؟

لو كان ذلك شانها ، لترامى الى الأسماع حديثها ، فان انباءها قمينة ان تسيح بها طوافة النسيم ، وان ترف بها اجنحة الطيور ...

وظل استخفاؤها لغزا لا يبين له وجه

هذا قصرها قد تخلت عنه ، وتلك حلاها لم تعبأ بها

عجبا لها ، زهدت فى كل شىء ، وتولت ، تنشدها تائهات الظنون !

وتتالت الشهور ، والناس على عهدهم يلهجون بذكر « زهرة الرقص » ولياليها الملاح ، ولا يملون فى شأنها السؤال والاستخبار ، يقلبون الامر على شتى وجوهه ، ويتمثلون فى استخفائها اشتاتا

من الفرض والتخمين

فمن قائل : انها برمت بحياة الظهور والترف ، فشهقت نفسها الى عيشة شظف وانزواء ، ومن ثم احتوتها مثابة كاهن من الزهاد ، فى منقطع عن العمران

ومن راجم بالغيب يرى انها لم تجد كفوًا بين الرجال ، يقدرها قدرها الحق ، فآثرت ان تكون للنيل العظيم عروسا تغنى فى ابوته الخالدة !

وهنـاك من كان يزعم ان رب الارباب « رع » قد أغرم بها ، فانتزعها من بين احضان البشر ، وافرد لها عشا فى ملكوته الرحيب تحيا فيه ، وبين الفينة والفينة يهبط اليها ليتعرف : اى شىء ذلك الـذى يفتتن به البشر من لذاذة ومتاع ؟ !

وكاين من قصص واساطير انيقة الوشى ، جيلة التنسيق ، تتناقلهـا الألسن فى شان تلك الراقصة التى ارتفعت عن اعين الناس ، كانما ادبر عنهم اله ! . .

ــ ٢ ــ

وذات مسـاء جلست لمة من الناس يتندرون امام احدى الدور ، فى حاضرة الجنوب . وساقتهم شجون الاحاديث الى انباء « زهرة المرقص » فشرعوا يتنافسون فى تجلية ما يدور حول استخفائها من اقاويل . . .

وكان بين السمار شيخ اشعث اغبر ، تقاذفته الأودية والفلوات ، وعركته الاسفار والرحلات ، فاما اديم وجهه فقد كان ملوحا يضرب الى السواد ، كانه الفخار صهدته النار . وقد عملت فيـه السنون ما يعمل المحراث فى الارض من اخاديد وتجاعيد . كل خلجة من خلجاته تفصح انه جواب آفاق ، تسلمه النجاد الى الوهاد ، لاقرار له فى ارض ، ولا مقام له فى مثوى

كان الشيخ فى الحلقـة سكوتا خافض البصر ، كانما اخذته سنة من النوم ، فلمـا خـوت وفاض الرواة من الأنباء ، وكلت الـسنة الجلاس من التحاور ، سما الشيخ براسه ، وانفرجت اجفـانه من ومضات خابية كابية ، ثم جعل يعتصر جبهته هنيهـة ، وشرع يتكلم بصوت مستضعف منهوك ، قال :

انكم متسـائلون عن تلك التى تلقبونها « زهرة المرقص » وانكم لتقصون من انبائها حديثا عجبا . ولئن لم يكذبنى ظنى لتكونن تلك الفتاة هى التى شهدتها فى بعض اسفارى القصوى . . شهدتها فى مطرح نبا عن العمران ، يكاد لايعتد فى عالمنا الاهل المسكون !

وعاود الرجل صمته . . .

فتصدت له العيون تسدد نظراتها كانها سهام تحاول ان تنفذ فيه لتثيره وتبعثـه على مواصلة الكلام . . .

وران على المجلس صمت اشبه شىء بصمت المسجي فى ناووسه ينتظر عودة الروح !

وعيـل صبر الجمع ، وضاقوا ذرعا بهـذا الترقب والانتظـار ، فازدحمت الألسن بغتة تقتحم على

الشيخ سكتته ، وتدانت منه الاجساد حتى ضاقت حوله الحلقة، واحس الأنفاس تتكاثف على وجهه ، كانها زوبعة هوجاء من زوابع البيد التى قاسى عنفوانها فى رحلاته من صقع الى صقع

فصاح الرجل وقد احتقن وجهه المعقد ، قائلا :

ـ حسبكم من تعجل !

ثم اشرع سبابته الى نجم الاق فى عرض السماء ، وقال :

ان هذا النجم أقرب لكم منالا من تلك التى تنشدونها ..!

فازداد الجمع تألبا عليه ، واحداقا به ، واستحثاثا له على الافضاء بما عنده

فشعر الرجل بانفاسه تحتبس، وما لبث ان غاب عن وعيه !

فلما ذهب عنه الاغماء ، الفى نفسه فى بهو تترامى ارجاؤه ، ويسطع ضياؤه ، ويشيع فيه نفح الأطياب . وطالعته عمد ضخام سوامق، عليها النقوش والتهاويل . وراعته أستار من المخمل تحجب النوافذ والابواب ... فجعل يرجع البصر كرات فى ذلك البهو الرائع ، حتى استقر نظره على منصة يعتلى عرشها رجل متلألىء فى اكسيته الزاهية ، ومن حوله حشم وأتباع

وصافحت اذن الشيخ هذه الكلمات : «لقد ثاب اليه رشده .. قربوه ! »

وما ان نطق سيد المنصة بكلماته، حتى احس جواب الافاق بايد غلاظ شداد تحتمله ، فتلقى به عن كثب من قوائم العرش، فالفى نفسه يهمهم : « أين انا ؟ ماذا يراد بى ؟ »

فدنا منه رجل وثيق الاركان ، فارع القامة ، فى حلة حربية لماعة، وهو شاكى السلاح، اظهر ما يظهر من قسماته ندبة هى اثر جرح غائر فى جبينه .. وما هى الا ان قال للشيخ :

ـ انت بين يدى الامير حاكم الجنوب ، المحفوظ بعناية رب الارباب !.. وانه لآمرك بان تفضى اليه بما فى علمك من شان «زهرة المرقص » ...

فاطرق الرجل وقتا يلملم ما تبعثر من ذكرياته ، ويجمع شمل خواطره ، ثم قال حائر النظرات :

ـ ليس لدى ما اضيفه الى ما قلته ... انها فى مطرحها القصى ، وان نجم السماء لاقرب اليكم منها منالا

فعلت صيحة الامير وهو ينتفض من غضب :

ـ ليس فى الوجود ما يتعذر علينا مناله أيها الصعلوك الشريد .. اصدقنى : اعلى ظهر الارض هى فننشدها ، ام طواها «أوزوريس» فى ملكوته الخفى ؟ !

فامعن الشيخ فى شروده ، وهمهم : « حقا ، لست ادرى ! »

فصاح الامير حازم اللهجة : « الم تقل انك رايتها ؟ »

فقال الشريد وحدقتاه تدوران فى محجريهما من حيرة واضطراب :

ـ بلى ... رايتها ... رايتها

بعيني هاتين ...
ورفع سبابته يشير بها الى كلتا عينيه !
ـ اذن هي في قيد الحياة ...
ـ من يدرى !
وتعالت بين حاشية الامير همهمة تساؤل واستيضاح ، وتحرك الرجل الحربى صاحب الندبة الغائرة في جبهته ، وما لبث أن رفع بديه بسوط غليظ ، وقال : « أفصح والا الهبت بالسوط ظهرك »
فريع الرجل، وتكمش يرجف، ثم صرخ بصوت راعش :
ـ قسما برب الارباب انى لصادق فيما حدثتكم به !
وغامت الدنيا لعينيه، واستلقى على اديم الارض يستغيث هاذيا
وتقدم الرجل الحربى ذو الندبة من الامير ، قائلا له : « مخبول هذا الرجل يا مولاى . او لعله محموم»
ـ سواء اكان مخبولا ام محموما فاننا لن نقتله حتى يطلعنا على سره في شان « زهرة المرقص »
واقيم جواب الآفاق في حجرة من حجر القصر ، محفورا باحراس، محوطا باسباب العلاج والتمريض، مكفولة له راحة العيش ... وما انقضت ايام حتى استعاد الرجل طمانينة النفس ، وصفاء الفكر
وكان بين الفينة والفينة يزوره الرجل الحربى ذو الندبة الغائرة ، في يمناه سوطه يتلاعب به، فيتحدث اليه تارة متبسطا يستدرجه ، وطورا مغلظا له في القول يتهدده. فما قدر على طول المجاهدة والمعاناة ان يستخلص منه الا أمشاجا اشبه شيء برؤيا نائم !
عرف الرجل الحربى ذو الندبة ان جواب الآفاق راى « زهرة المرقص» ليلة في ضوء القمر، وهي ترقص على مرج كأنه بساط من سندس ، تحدق به نخيلات فوارع ، يجوس خلالها جدول رقراق
رآها ، ولكن كما يرى طيفا من الأطياف ، لا تأخذه العين الا لمحا
وكانت تتردد في هذه الساعة انغام ناى حنون ، لا يتبين له صافر ...
ولبث الجواب وقتا بمراى من ذلك ومسمع ، لا يعلم : أطال به وقته ام قصر ؟
بيد أنه موقن اصدق اليقين ان صوتا شديدا هتف من حوله :
ـ ابتعد أيها التائه الشريد عن هذا الوادى المقدس .. تنح عنه لا تطاه بقدميك .. انج بنفسك، والا حاقت بك غضبة القدس الاعظم ، وحقت عليك لعنة الأبد !
ففر الجواب من فوره مذعورا ، مستطار اللب ، يضرب في المفاوز والفلوات ...
ذلك قصارى ما انتهى اليه حديث جواب الآفاق في شان « زهرة المرقص »

ـ ٣ ـ

وجاء يوم شاهد فيه اهل المدينة قافلة تبرز من قصر الامير، على رأسها ذلك الحربى الفارع ذو الندبة الغائرة، وعن اليمين جواب الآفاق ، ومن ورائهما الأعوان ،

بينهم حملة الامتعة والأزواد

وتناهى الى المسامع أن القافلة انما تبغي سفرا بعيد الشقة ، فى مهمة ذا تبال

وفصلت القافلة عن المدينة تودع السكينة والأمن بجوار النيل السعيد ، وتستقبل ذلك الخضم المسجدى من الصحراء تعانى فى قطعه الوان العذاب

وواصلت القافلة سيرها وسراها ، تسيل بها الوهاد وتعلو بها النجاد .. فمن شمس تسلط شواظها وتلهب مواطىء الاقدام ، ومن زوابع تبسط استار الرمال فتعشي العيون، ومن جفاف قاحل ماحل لا زرع فيه ولا ضرع، ومن ليل موحش تسرى فيه زمزمة الضوارى ، وتتخايل فيه اشباح العاديات ...

والقافلة فوق هذا العناء كله ، تمضي لغير هدف مرسوم ، الا تلك الرؤيا الحالمة التي الفت بين اشتاتها مخيلة جواب الآفاق الشريد !

وما زال رهط القافلة يمضون ويمضون ، حتى تجمعت من ايام رحلتهم أسابيع واسابيع ... وكانما هم فوج من اسارى حرب، افلتوا من مأسرهم وهاموا على وجوههم يطلبون ملاذا وقد عز الملاذ !

وشح الزاد، وشاع فى الاجساد هزال واعياء، وعلت الوجوه غبرة الشظف وغموض المصير

وتبادل الرفاق صمتا يردفه صمت ، واستعاضوا عن الكلام بالنظرات تنم عن تخاذل وقنوط

واستبدت بقائد القافلة جهامة وعبوس ، ولم يعد يسأل جواب الآفاق عن شيء ، فقد نضب معينه من قول يضيفه ...

لقد عاد القائد يفكر فيما ينجيه من ذلك التيه اكثر مما يفكر فى بلوغ الغاية وادراك المنشود !

لم تبق فى الركب قوة على متابعة المسير ، بل لم تبق فى نفوسهم اثارة من رجاء تشد من العزائم الخاوية

ولكن كيف السبيل الى مآب؟ انى للقائد ذى الندبة الغائرة أن يعود مجرجرا اذيال خيبة واخفاق؟ بأى وجه يلقى الامير؟ وبأى لسان يبسط عنده العذر ؟ اينسى قول الامير فى يوم وداعه : انه لمعد له انكالا وعذابا اليما ان هو قصر وان هو لم يبلغ ذلك المأرب العظيم ؟

فاما جواب الآفاق، فقد غشيه الذهول ، والح عليه الضعف ، وانتهى به الامر الى أن تملكته غيبوبة أصمت سمعه وعقلت لسانه ، فظل ممدودا على محفة يتناوب حملها رفقة السفر منهوكى القوى ، لا يكادون يستطيعون لأجسادهم حملا

وصبح يوم اقبل القائد ذو الندبة على جواب الآفاق فى محفته، يصعد نظره فيه ويصوبه ، وقد بلغ منه الغيظ كل مبلغ .. وما لبث ان أمر بالقائه على متن الرمال، تتولى رعيه !

واستأنفت القافلة سيرها ..

ولكن الى اين ؟

وكانت الصحراء تتقاضى الركب

كل يوم صريعا هالكا أو موشكا أن يهلك ، وكأنما لذ لها أن تقتنص كل يوم طعامها من تلك الاجساد التي انضاها السفر واضناها الكلال !

واخيرا حان يوم الفى القائد ذو الندبة الغائرة نفسه فردا يتنفس، لا عون له ولا رفيق ، وليس من حوله الا حطام من متاع !

وهبت عليه نكباء من ريح الصحراء اشاعت حوله الظلمة والعبوس، فأحس انفاسه تختنق، والحياة تيبس بين أوصاله !..

وتواصلت اشهر ، والامير يرتقب عودة الركب ، يمنى نفسه بأوبة قائده المظفر، وقد اصطحب الضالة المنشودة .. ولكن الاشهر ردفتها الاشهر ، دون ان تذهب عن الامير مرارة الانتظار والترقب

ودب اليأس الى قلبه ، فنسى أو تناسى شأن تلك القافلة التي اصبحت فى ذمة الظنون !

— ٤ —

وفى امسية من الاماسي المقمرة، تحلق جمع من الناس بباب احدى الدور فى حاضرة الجنوب ، وهم يسمرون . وفى أعقاب السمر ، تسلل بهم الحديث الى شأن «زهرة المرقص » فتنازعوه بألوان من الحدس والتخمين

وكان بين الجلاس غريب فى أسمال، تعبث بوجهه التجاعيد ، ذو بشرة لوحها القيظ ، تكسوها غبرة .. وعلى جوانب وجهه يتهدل شعر غزير ، ولم يكن يأخذ بطرف من أطراف الحديث، وانما قنع بالاصغاء، مطاطىء الراس ، كأنما تسرى فيه اغفاءة .. فما ان عرض ذكر «زهرة المرقص » ، وخاض فيه السمار، حتى جعل يرفع راسه ، وينفض الغفوة عن جفنيه ، ويقلب فى وجوه المتحدثين نظرات كليلة عشواء ..

ثم همهم فى صوت راعش :

أعن تلك الراقصة الحسناء تتساءلون ؟ اكبر ظنى انها هى تلك الفتاة التى لمحتها فى بعض أسفارى القاصية .. انها فى مثابة لا تصل اليها قدم بشر .. انها بعيدة عنا بعد ذلك النجم السيار !

واشار بيده الى السماء !

فما عتم الجمع أن اطبقوا عليه يحاصرونه باسئلتهم فى الحاح ، فلاذ الرجل بصمته ، وعيناه الكليلتان تدوران فى حيرة وخبال

وسرعان ما شاع فى المدينة نبأ ذلك الغريب الذى يعرف سر « زهرة المرقص » ... فلم يلبث الرجل أن احس بنفسه محمولا الى قصر منيف ، واحتواه بهو فسيح الأرجاء، تتراءى فيه العمد مزدانة بالرسوم والنقوش ، والأستار المخملية تكسو النوافذ والابواب ، وذلك العرش المتألق تحف به الأحراس والاتباع

وتدانى منه رجل بادن متكتل، فى حلة حربية ناصعة ، وهو يتلاعب بسوطه ، وصاح به :

— لقد سمعك الناس تتحدث عن « زهرة المرقص » ... فهلا أوضحت للامير حاكم الجنوب المحفوظ بعناية رب الارباب حقيقة ما تعلم ؟

فجعل الرجل يطوف ببصره حوله ، يحاول أن يكشف عن



وأحس لسعة السوط من يده وهو يقول : « ألم تع ما أقول ؟ »

تخيلتـه ما ران عليهـا من ذهلة وشرود ، وشاعت على شفتيـه ابتسامة حيرى ، وهم أن ينطق ، فلم يملك ، وطال صمته ، وأحس لسعة السوط من يد ذلك البدين ، وهو يقول له : «الم تع ما أقول ؟»

فجمجم الغـريب قائلا : « رحماك ! »

ـ لا رحمة قبـل أن تفضى بما عندك . . .

فرفع الغريب عينه يبعث منها نظرة زائغة ، وقال :

ـ لقد قلت لـكم انها بعيـدة المنـال ، بعيـدة كنجم السماء ، ما أنتم ببالغيه !

وهوى السوط على ظهـره ، فصاح الغـريب يتضرع ، وقال الامير فى صوته الركين :

ـ أدركوه بجرعة من شراب . .

وصافح هـذا الصوت سمع الشيخ الذاهل ، فأرهف له أذنيه ، وخيل اليه أنه صوت ينفـذ من بعيد مخترقا طيـات الأحقاب .

فأخذ يستنقذ ما بقي من ذاكرته تحت أنقاض الاحداث

وجيء له بقدح مترع بالشراب المنعش ، فاشتفه اشتفافا ، وجعل يعبث بشـعره المسترخى على جوانب وجهـه ، وما هى الا أن استبانت فى جبينه ندبة هى اثر جرح غائر

فانتفض الامير متنحيـا عن عرشه ، واقبل على الرجل يتفحص سماته تفحص متثبت . . ثم لم

يملك أن صاح : « أهذا أنت ؟ »
وانتبه الغريب ، واتسعت حدقتا عينيه ، وجعل يرنو الى الامير ، كأنه يميط الغبار عن صفحات طال بها العهد ... ثم صاح فجأة : « مولاى ! »
وخر ساجدا ...
وحمل القائد ذو الندبة الغائرة ، وهو مغشى عليه الى إحدى حجر القصر ، محوطا بألوان الرعاية والاهتمام
ومضت أيام ، والرجل طريح الفراش ، صريع الحمى . وكان الامير يعوده فى الحين بعد الحين ، فيلازم مرقده ساعة يصغى فيها الى هذيانه ، وهو يقول :
ـ انها فى واحة « رع » ... واحته العليا ، حيث الخضرة السندسية ينساب فيها الماء من لجين ، ويظللها النخيل الباسق بسعفه الفينان
يا لهذا الناى الساحر يصفر فيه رب الأرباب ، فتتخطر على ايقاعه تلك الفاتنة الحسناء ! ..
وامتدت الحمى بالقائد ذى الندبة ، حتى أفضت به الوعكة الى فقدان الحراك
ويوما ذهبت الحمى عن الرجل بغتة ، وعاجله صحو وهاج ، فأشرق وجهه ، وسطعت عيناه ، وسرعان ما طار النبأ الى سمع الامير ، فتقدم من فوره ، وأقبل على القائد مستبشرا ، طلق المحيا . وتبوأ مقعده عن كثب منه ، فرنا اليه القائد فى ضجعته ، وقد ضاءت على فمه ابتسامة وديعة . وجيء له بقليل من شراب ، فصب فى فمه . وسرت فى وجنتيه انتعاشة خفيفة ، وبعد فترة لاطف الامير يد القائد قائلا : « أصدقنى ، أحقا رأيتها ؟ »
فهمهم الرجل خافت الصوت ، رزين اللهجة ، وئيد النبرات : « نعم ، رأيتها ... رأيتها بعينى هاتين ! »
وتاه ببصره فى الأفق ، كأنه يستعيد فى خياله ذلك المشهد البعيد الذى رأى فيه « زهرة المرقص »
ثم استأنف يهينم :
ـ ليست هى الآن من البشر .. انها حلم وردى تلوح أطيافه فى عالم المنام !
انها روح لطيف يسرى فى كون سماوى !
انها فكرة قدسية ترف فى ملكوت رب الارباب « رع » !
انها شعاعة لماحة تدور فى فلك الاله « آتون » !
انها عصية المنال عن هذا العالم الارضى ...
انها ...
وما هى الا أن عرت الرجل هزة ، فمال رأسه ، وتراخى جفناه ، وسكنت أوصاله
فابتدره الامير مستحثا فى تلهف ، قائلا له :
ـ تكلم .. أوضح ما تقول
ولكن القائد كان فى هذه اللحظة قد خلص بروحه من دنيا الاباطيل والأوهام ، وأصبح فى ذمة « أوزوريس » حيث الحقيقة الخالدة !

محمود تيمور

القميص الأسود ..

- ١ -

ليلة من ليالي اكتوبر ، حالكة السواد.. وسماء حجب السحاب نجومها ، وبحرلجي يتدافع موجه ويرقص على ايقاع الرياح الداوية، وسفينة ضخمة من سفن البريطانيين تدعى «دربان كاسل» تجرى وسط المحيط الاطلسى ، لا تلوى على شيء ، ولا تكترث للموج أو السحاب أو الظلام .. اخترقت خط الاستواء منذ ساعات ، وبينها وبين الساحل الافريقى مائة ميل ، وهى تجد السير فى طريقها عائدة الى بريطانيا

و «دربان كاسل» على ضخامتها وفخامتها ، مكان محدود المدى ، ضيق المساحة جدا ، لعله اقل الامكنة صلاحا لارتكاب جريمة . فان مجال الهرب أو الاختفاء يوشك ان يكون معدوما ، وازدحام السفينة بركابها وبملاحيها وضباطها ، يجعل الناس فيها قريبى الاتصال، بحيث يشق على الشرير أن يخفى شره ، والآثم ان يستر اثمه

ومع ذلك ، ففى تلك الليلة الليلاء ، وفى ساعة باكرة ـ بعد أن انتصف الليل بساعتين أو ثلاث ـ فتحت النافذة المستديرة

بقلم

الدكتور محمد عوض محمد بك

طغت موجة إجرام على بريطانيا العظمى ، منذ نهاية الحرب ، ليس من السهل أن تجد لها تفسيراً أو تأويلا . ولئن قيل إنها ظاهرة طبيعية بعد كل حرب ، فليس من السهل أن تفسير انتشار نوع خاص من الاجرام ، ضحيته دائماً امرأة في ريعان الشباب

في مخدع من مخادع الدرجة الاولى ، وسقط منه الى سطح اليم جسد بشرى جميل .. ولا يدرى احد أكان الجسد حيا أم ميتا ، ولكنه على كل حال جسد امراة ، في الحادية والعشرين ، رزقت حظا كبيراً من الصباحة والملاحة ، ولها شعر حالك السواد ولعينيها اتساع ودعج ، كثيراً ما خلب عقول العاجزين الضعفاء . ولم يلبث البحر الخضم ان تناول هذا الجسد الغض واحتضنه ، وعلى كثرة ما احتضن هذا الجسد من قبل ، فان هذه من غير شك هي الحضنة الاخيرة .. ومضت السفينة لطيتها مبتعدة عنه . ولو أن في هذا الجسد الملقى من النافذة بقية من الحياة ، لما استطاعت صاحبته أن تبلغ بصياحها اذنا تسمع ، لان ضجيج البحر حين تشقه الباخرة ، ودوى الرياح ، كفيلان باخفات ذلك الصوت الآدمي الهزيل

وذات العيون الدعجاء فتاة تدعى « ايلين جبسن » تحترف مهنة التمثيل ، ولم تبلغ فيها شأوا بعيداً . وقد سافرت مع فرقة من الفرق للتمثيل في افريقيا الجنوبية ، وأقامت مع الفرقة تلعب دورها بقدر طاقتها ، ورجعت الفرقة الى بريطانيا ، ولم تعد معها ايلين ، فقد آثرت أن تتخلف فترة من الزمن في بلاد اشتهرت بالذهب والماس ، فقضت بضعة أسابيع تمارس حرفتها في بعض المسارح والاندية الليلية . ولعلها لم تكن تخلو من ميل الى المغامرات وخضوع للمغريات . بحيث لم تجد بأسا في أن تقبل من أحد أصحاب تلك الاندية هدية من المال وتذكرة للسفر بالدرجة الاولى ، وهي التي مكنتها من ركوب تلك السفينة ، الى ذلك المصير الغريب

●

وكان في السفينة رجل تجاوز الثلاثين يدعى جيمس كامب ، لا تستطيع أن تدعوه خادما ، لان منصبه أرقى من مناصب الخدم ، ولعل الاوفق أن تدعوه قهرمانا .. ومهما يكن من شيء ، فان جيمس هذا رجل متزوج ، خلف زوجته في وطنه ببلاد الانجليز ، كعادة رجال السفن . وقد أجمع الناس على وصفه بالتيه والغرور . وكان يفخر بأن له في كل رحلة فريسة تقع في شباك حسنه وغرامه ، وشعره المصقول بمختلف أنواع الدهون . وهذه الفريسة هي في العادة من راكبات الدرجة الاولى ،

وممن ضربن فى الحسن بسهم وافر

وقد راى جيمس تلك الممثلة الناشئة تركب الباخرة ، فصح عزمه على أن تكون عشيقته فى هذه الرحلة . فأخذ يخصها بعنايته ورعايته . ويسلط عليها نظراته وبسماته وشعره المجعد المدهون ، ولعلها رضيت عن هذه الحفاوة بعض الرضى أو كل الرضى ، ولم تبد غضبا او نفورا ، لأن جيمس ابرع من ان يأتى ما يثير الغضب أو يبعث النفور

ومن عادة السفن أن تحتفل احتفالا عظيما باختراق خط الاستواء . فتصدح الموسيقى النهار كله ، وتقام العاب مضحكة زيادة فى الفرح والمرح . وفى المساء يقدم للراكبين عشاء فاخر تليه حفلة راقصة ، ويقف فى اثناء الحفلة اله البحر نبتون على عرشه ، فيوزع على الذين يخترقون خط الاستواء للمرة الاولى « شهادات » تدل على انهم اجتازوا الامتحان بنجاح ، وبعض الركاب ينال شهادة من درجة « حوت » ، والآخر من درجة « قرش » والثالث من درجة « قاروص » وهلم جرا . واذكر ان كاتب هذه السطور عند ما اخترق خط الاستواء منحوه شهادة من درجة « جبرى » وهو ما يزال يحتفظ بها ، ويدخرها للملمات

فى تلك الليلة قرر جيمس المذكور ان قد آن الاوان لاقتناص الصيد ، فهمس فى اذن الفريسة وهو يراقصها ، انه سيزورها فى مخدعها تلك الليلة ، حاملا اليها قدحا من الشراب ، تتناوله قبل أن تنام ، ولا يدرى احد هل تقبلت منه هذا الامر بقبول حسن . ولكنا نعلم انه قد نفذ وعده ، وذهب الى مخدعها يحمل اليها الشراب ، بعد ان انتصف الليل بساعتين . واحتواهما المخدع فترة من الزمن ، لاندرى اطالت ام قصرت . ولكنا نعلم انه غادر المخدع ، وليس به احد

— ٢ —

بعد تلك الليلة باسبوع ، وصلت السفينة احواض سوثامبتن ، فلم تكد تلقى مراسيها ، حتى صعد اليها فريق من رجال الشرطة ممن ينتمون الى تلك المؤسسة ذات الشهرة العالمية المسماة سكوتلنديرد ، والقوا القبض على جيمس كامب ، وساقوه الى غياهب السجن متهما بقتل الممثلة ذات الجسد البض والعيون الدعج . واستغرق اعداد القضية خمسة اشهر كاملة ، وفى اليوم الثامن عشر من شهر مارس ، بدات المحاكمة فى مدينة سوثامبتن ، ودامت اربعة ايام . كانت القاعة فى كل يوم منها غاصة بجموع الصحفيين والمتفرجين ، وبينهم كثير من النساء تبدو عليهن مظاهر النعمة والغنى ، واكثرهن جئن من مكان بعيد

ليشهدن هذه المحاكمة ، وكن يبكرن فى الساعة الخامسة من الصباح ، لكى يضمن مقعدا داخل القاعة

وقد آن لنا ان نشرح تفاصيل هذه القضية ، ولعل خيرما نفعله ان نذهب بالقارىء الى قاعة المحلفين لنستمع الى اقوالهم وهم يتذاكرون ويتداولون . وعلى الرغم من ان هذه المداولات تدور سرا وراء ابواب مغلقة فاننا نفضل ان نقتحم بالقارىء هذه الابواب ، ونخرق حرمة ذلك الاجتماع السرى ، من أن نجلس به أربعة ايام كاملة نصغى الى طوائف الشهود واقوال رجال الدفاع والاتهام

خلا المحلفون للمداولة .. فقال زعيمهم : « أريد أن أوضح نقطة لابد لنا أن نزيل ما يخامرنا من الشك فى امرها . ذلك اننا بصدد قضية قتل ، فقدت فيها جثة القتيل ، وهى حالة نادرة ، ولكن سبق أن حكم فى مثلها ، والادلة التى بين أيدينا كافية ، فلا يغير من أوضاع القضية كثيرا أن تكون الجثة مفقودة .. ان المتهم يعترف بأنه دخل مخدع المراة ، ويزعم انه راودها عن نفسها ، فلم تعتصم . وانها بعد ذلك اغمى عليها ، فحاول افاقتها فلم يستطع ، فطار صوابه ، وخشى أن يفتضح ، ففقد رشده ، وحمل جسدها العارى فالقى به فى اليم . ولا بد لنا أن نقلب هذه الدعوى على جميع وجوهها ، حتى نرى راى الصواب فيها »

قال بعض المحلفين : « ان هذه المراة ليست على جانب عظيم من سمو الخلق وعفة النفس ، ولم تترفع فى حياتها عن ان تكون خليلة لبعض ذوى المال . فهى من طلاب المغامرات الجاريات وراء اللهو والمال . وفوق ذلك ثبت لدينا انها كانت تعتريها نوبات وانفعالات من آن لآن . فهى بلا شك ذات مزاج عصبى حاد . فلننظر الآن هل نستطيع ان نقرر ان مثل هذه النوبات ، واحتمال حدوثها فى تلك الليلة ، مما يؤيد كلام المتهم »

وقال محلف آخر : « لقد شهدت فتاتان بأن المتهم اعتدى عليهما غصبا ، وقد عجز الدفاع عن أن يدحض كلمة واحدة من شهادة هاتين الفتاتين . ولا بد لنا أن نسلم بأن المتهم شخص تطغى عليه الشهوة فتدفعه الى إرتكاب العنف . ولم يثبت على الفتاة انها شجعته . وليس فى سيرتها ما يدل على انها ترضى ان يكون عشيقها قهرمان سفينة . وهى التى لم تألف أن تتودد الا الى ذوى المال والجاه

« ولئن صح ما زعمه المتهم من انها اغمى عليها وهى بين ذراعيه ، وحاول افاقتها فلم ينجح ، فليس من السهل أن نصدق ان يدفعه هذا الامر الى أن يلقى بجسدها من النافذة ، بل الادنى الى العقل أن يستعين بطبيب الباخرة او ببعض اصدقائه ، او يتركها لعلها أن تفيق من تلقاء نفسها ، او تظل فى فراشها حتى يجدوها فى

الصباح جثة هامدة ، بعد أن ماتت موتا عاديا

« وليس هو بالرجل الغبى ، حتى يتوهم أن فقدها الرشد ، بل موتها بين يديه تهمة خطيرة . ولئن كانت طاوعته كما يزعم ، ورضيت به عشيقا ، فليس لاحد أن يؤاخذه اذا أصابها من جراء ذلك مكروه

«كلا أيها السادة.. ليس لدى ادنى شك فى ان ما حدث فى تلك الليلة ، فى ذلك المخدع ، كان عملا عنيفا ، واغتصابا أجراميا ، كالذى سبق للمتهم ارتكابه ، وقد قاومت المسكينة مقاومة لا تقل شدة وقوة عن المجهود الذى بذله . ولم تفقد الفتاة رشدها ، بل الذى فقد رشده هو المتهم ، اذ عجز عن اغرائها وخشى أن تصيح أو تستغيث ، فاخمد انفاسها بعنف ، فماتت بين يديه ، فألقى بها من النافذة. انى لا استطيع أن اتمثل هذه الجريمة فى صورة غير هذه الصورة البشعة »

قال زعيم المحلفين : « وجدير بنا أيضا ان ننعم النظر فى شهادة خادم الباخرة ، فقد شهدت بأنها رات المراة قبل الحادث بقليل ، وكانت خرجت من مخدعها لبعض شأنها ، ترتدى « روبا » من تحته « بيجامة » من الحرير الاسود . وقد زعم المتهم انها لم تكن تلبس تحت الروب شيئا . وفتشت أمتعة الفقيدة تفتيشا دقيقا ، فلم يعثر لتلك البيجامة السوداء على اثر

« ان هذه الشهادة على جانب عظيم من الخطر ، لان معناها ان المراة القيت من النافذة وهى فى ثياب نومها. وهذا دليل يدحض ما زعمه المتهم ، ويثبت انها لم تذعن لرغباته . وأنها قاومته مقاومة شديدة ، اضطرته لأن يعاملها بقسوة وحشية . ومن الجائز ان يكون قد القى بها من النافذة بعد أن فقدت الرشد ، أو بعد أن فقدت الحياة . وهو فى كلا الحالين قاتلها »

وخرج المحلفون من حجرتهم بعد خمس واربعين دقيقة ، قضوها فى البحث والمداولة ، فسألهم القاضى : « هل تجدون ان جيمس كامب قتل ايلين جبسن فى ساعة باكرة من يوم ١٨ من اكتوبر ؟ » فأجاب زعيم المحلفين : «نعم! » ــ هنالك لبس القاضى عمامته السوداء ، واصدر حكمه باعدام المجرم شنقا

ـ ٣ ـ

وكان العدل والمنطق يقضى ان يسدل هذا الحكم الستار على فصول هذه المأساة ، ولكن المقادير شاءت غير هذا . وأبى القضاء الا ان يتدخل فى شؤون القضاء .. فانتقلت المأساة الى مسرح جديد ، لا صلة له بهذا الحادث ، ولا بالباخرة ولا بالجانى أو المجنى عليها

فقد تقدم عدد من أعضاء

برلمان بريطانيا العظمى ، بمشروع قانون يلغي عقوبة اعدام القتلة ، وذلك لمدة خمس سنوات على سبيل التجربة . وكان هذا المشروع بمثابة ثورة خطيرة فى التقاليد القضائية البريطانية ، فقد كانت عقوبة الشنق فيها لها حرمة خاصة ، ومكانة عظيمة القدر . والحكومة البريطانية لم تكن راضية عن هذا المشروع ، غيرانها لم تر ما يدعو الى اصدار امر الى انصارها بمعارضته ، فترك التصويت حرا . فوافق عليه المجلس وكان المؤيدون له ٢٤٨ والمخالفون ٢٢٢ . واضطر الوزير المختص لان يعلن انعقوبة الاعدام ستلغى بالنسبة الى جميع المجرمين الذين ادانهم القضاء ، ولم ينفذ فيهم حكم الاعدام بعد

ومن هؤلاء المجرمين جيمس كامب ، الفتى المغرور ذو الشعر المجعد المدهون ، الذى قتل ايلين جبسن فى ساعة باكرة فى اليوم الثامن عشر من اكتوبر

محمد عوض محمد

تخلص ظريف

ادعى رجل النبوة .. فقيل له : ما علامات نبوتك ؟

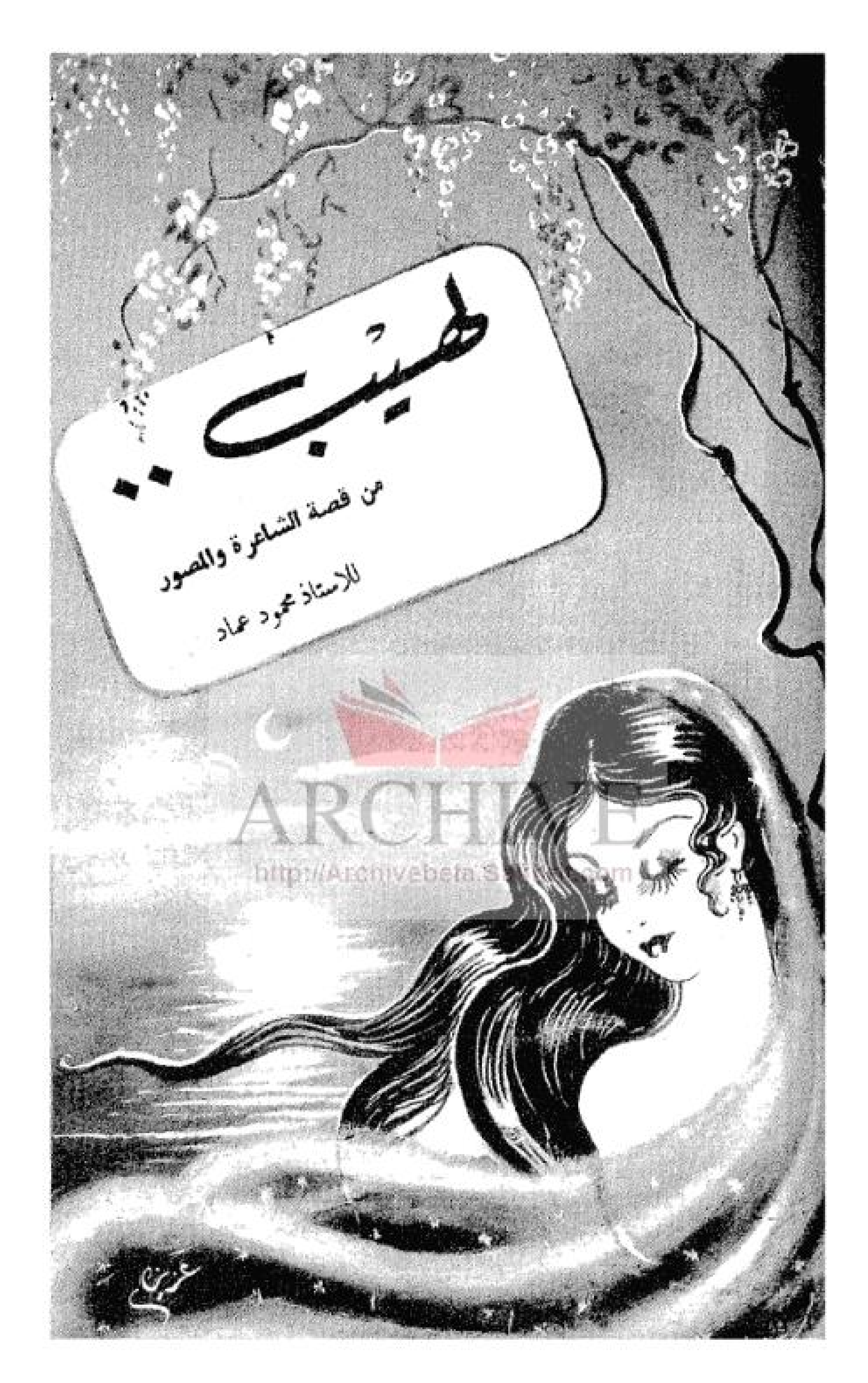
قال : « انبئكم بما فى نفوسكم ! » . قالوا : « فماذا فى نفوسنا ؟ »

قال : « فى انفسكم انى كاذب مخادع ولست بنبى ! »

الماء والفطير

روى أن الامام « أبا حنيفة » قال : دخلت البادية ، فاحتجت الى الماء ، فجاءنى اعرابى ومعه قربة ماء .. وابى أن يبيعها الا بخمسة دراهم . فدفعتها اليه واخذت القربة . ثم قلت : « ما رأيك يا اعرابى فى أكلة فطير مصنوع من القمح الخالص ؟ » . فقال : « هات » . فاعطيته فطيرا ملتوتا بزيت .. واخذ يأكل منه حتى امتلأ جوفه ، ثم عطش . فقال : «عجل بشربة ماء» . قلت : « بخمسة دراهم قدح الماء ... »

ولما اصررت على ذلك .. قبل ، ومن ثم استرددت الدراهم الخمسة . واحتفظت بالماء والقربة معى


هيب
من قصة الشاعرة والمصور
للاستاذ محمود عماد

كان يحلم بهواها وجناها فى لحمة الليل ، وليس له من مسعد إلا ذكراها الجميلة . وإنه لنى انتظارها وهو يستعرض النجوم وقد غرق فى أشواقه ولوعاته ، وإذا هى تقبل كما تقبل الدنيا الباسمة بآمالها ومسراتها ، فيلتقى لهب وجده برائع جمالها فيخر ساجداً ، فتحنو عليه كما تحنو الآلهة

مر يوم على المشـوق فلمـا ... اقبـل الليـل اجل استقبالا
وخلا يعرض الأزاهر الوا ... نا ويزجى رسومه اشكالا
جاهـدا ما يمل شغلا واما ... وقف الشغل راح يشكو الملالا
وهو فى كل لحظة يلحظ الأبوا ... ب ما ان يرى عليها خيالا
فاستوى يائسا وقال غررنا ... كيف تنسى ذات المطال المطالا ؟
ثم اهوى الى الرسالة يستو ... ضح اسطارها ، هدى ام ضلالا؟
واذا دقة على دفة الشر ... فة جالت بمسمعيه ، فجالا
وارتمى خارج المكان فلم يبـ ... ـصر سوى نفسه ، فدار خبالا
وانثنى راجعا وفى النفس ما فيـ ... ـها وفى العين دمعة تتلالا
غير ان شد ما جثا حين الفا ... ها بأبوانه تميس اختيالا
وهى ترنو لغير شىء وقد او ... لته صدا مزورا ودلالا
ثم لما قضت من الصمت ما شا ... ءت وساء الفتى مع الصمت حالا
نومته بنظرة وباخرى ... ايقظته ، واقبلت اقبالا
فانبرى يفرغ الأزاهر اسما ... طا عليها ويلثم الأذيالا
وارادت به الذى قد ارادتـ ... ـه فالقت وشاحها ادلالا
وبدا جيدها وما حل الصد ... ر ، فما شئت روعة وصقالا
مثلما قلص الكمام عن الزهـ ... ـرة فاسترسلت شذى وجمالا
او كما مزقت غلائلها الشمـ ... ـس فاغضت لها العيون كلالا
ضل رشد الفتى فاقبل يرعا ... ها كما لو رعى البخيل المالا
ومضى يعرض الصبابة شرحا ... ومضت تعرض الصبا اجمالا

ورات طرسها اليه فهمت ... تشعل النار تحته اشعالا
وتلاقى اللهيب والخد فيها ... مثلما صادف المثال المثالا
فاذا شعلتان فى فحمة الليـ ... ـل قد امتازتا لظى واشتعالا
ثم قالت له وقد خبت النا ... ر : كذا جئت اضرب الأمثالا
ان حبى شرارة ، فلهيب ... فرماد ، فهل تطيق احتمالا ؟
قال : بل ارتضى هواك هوانا ... وارى ذلتى به اجلالا
قالت : الآن يا فتى دنت بالحسـ ... ـن وآمنت بالهوى فتعال ! !
ثم غابا بجوف سيارة قو ... راء لم تأل فى الظلام انسلالا
يحسب العاشقان حين تولت ... لم يحيا لسيرها اخلالا
انها فى الكرى وان المرائى الـ ... ـكثر اطياف حلمها تتوالى

جولة ابلغتهما ظل قصر	طاول السحب فى العلاء فطالا
صاحت : انزل فقد حللت (بقصر ا	لبوم) ، واحذ بسوحه الترحالا
فرأى منزلا غريبا ، وبستا	نا جنيا ، وغادة مكسالا
قال : ان الذى أرى من نعيم	فوق شأو الخيال مهما استطالا
ان يكن فى اسم ذلك القصر شؤم	فبحسبى نزيلة القصر فالا
طلع البدر بالضياء على الرو	ض ، وحيا نسرينه الميالا
وعلى ضفة الغدير حبيبا	ن سعيدان قد أطالا اعتزالا
ينقذان الزهر الغريق من الما	ء ، ولا يألوان عنه نضالا
ورآها تعارض الماء بالكف	كما عارض الزلال الزلالا
قال : يا ويلتا تنحى بعيدا ،	أنت منه ، وقد خشيت اتصالا
فتسامت تطيل فى البدر تحد	يقا وقد سددت اليه النبالا
قال : هلا جنبته أن تصيبيـ	ـه فينقض من علاه اختلالا ؟
فثنت معطفها عليه ومالت	خوط بان سرى النسيم فمالا
ثم نامت فقال : قد نامت الفتـ	ـنة ، لكن فعلها ما زالا
ظل يغرى بخدها طرفه الثا	قب ، ما ان يود عنه انتقالا
ويرى شعرها تداعبه الر	يح فيحكى ذيولها استرسالا
وجفونا تكاد أهدابها تطـ	ـبع فى ماء خدها امثالا
جمع النوم بينها فتلاقت	وكذا النوم يجمع الضلالا
يا لعوب القوام والطرف ما اسر	ع أن قد رضيت سيما الكسالى
نمت عنى تصنعا ثم لما النو	م أضحى حقيقة لا خيالا
نمت عن نفسك الكبيرة واعتضـ	ـت من الحذر والصدود امتثالا
أنت فى قبضتى ، وطوع يمينى	فاذا شئت نلت منك منالا
غير أنى اذا هممت بك أنحـ	ـل لهول المقام عزمى انحلالا
لست أدرى وأنت يقظى ووسنى	أى حاليك لى أقل نوالا
أنا من رهبتى ومن عزة الحسـ	ـن أرى جرأتى عليك محالا
يا ليالى اللقاء طولى على الصـ	ـب وأفنى الشهور والأحوالا
أنت مهما غلوت فى الطول قصر	ت وان بز طولك الأجيالا
سوف ان زلت لا يخالك الا	بارقا لاح فى الظلام وزالا
خففى ، خففى خطاك فان الصـ	ـب مغف واجلى اجلالا
هو كالطفل نام بعد بكاء	وأرى الخطو يوقظ الاطفالا
انها نومة كما خدروا المعـ	ـتل حينا فما أحس اعتلالا
أيها الوالهون حياكم الحسـ	ـن وبياكم الاله تعالى
ان تكونوا بلذة فاغنموها	سوف يبقى آثارها اقلالا
ان عمر النخيل فى بسطة العيـ	ـش كعمر الورود فاخشوا الزوالا
لا تقولوا قد أقصر النحس عنا	فلياليه قد يجئن طوالا

محمود عماد

من قصص المروءة ..

فى ميادين القتال

بتوسط الحدائق الغناء ، بجامعة كورنيل بأمريكا ، نصب تذكارى نقشت عليه الكلمات الآتية : « الانسانية فوق الأمم » . وقد اتخذ ثلاثة من الكتاب هذه العبارة عنواناً لكتيب ، ضمنوه قصصاً وجيزة واقعية ، جرت حوادثها خلال الحرب العالمية الأخيرة .. ونقتطف للقراء هنا بعض هـذه الأقاصيص التى يبدو منها ذلك الشعاع المضىء من غريزة الخير فى الانسان



كنت مراسـلا حربيا لصحيفة « الديلى اكسبرس » فى نورماندى ، حينما نفد الماء من معسكر الجرحى ، ولم يبق امام القائد الا ان يختار بين أمرين : فاما ان يموت الجرحى عطشا ، أو يلجأ الى القائد الالمانى فى معسكر الاعداء . ولم يفكر طويلا قبل ان يوفد رسولا الى قائد العدو ، يتوسل اليه أن يأذن لرجال الصليب الاحمر فى معسكر الحلفاء أن يحملوا ماء من بئر الالمان الى جرحاهم . ولم يقتصر القائد الالمانى على تلبية هذا الرجاء ، ولكنه فوق ذلك بعث مع الرسول الى قائد الحلفاء زجاجة من « الكونياك » هدية منه اليه مع تحياته . وقد اذن لى الرقيب أن أنشر الشطر الاول من هذه العاطفة الانسانية ، ولـكنه أبى على الشطر الثانى الخاص بزجاجة «الـكونياك » ، حتى لا ينسب للالمان هـذا القدر من حب الخير . ولو ان الرقيب سمح بنشره ، فاننى أؤكد أن الصحيفة كانت مع كل ذلك تهمله ، لأن هذا النوع من الاخبار كان لا يتفق وسياستها المرسومة

أليس هذا الحادث دليلا قاطعا على أن الخير ـ كالشر ـ طبيعة كامنة فى نفس الانسان ، وأن الجندى مهما يبلغ من السذاجة ، يفرق بين

« الحرب » و « القتل » ؟. لقد شاهدت طيلة السنوات التى قضيتها فى ساحات القتال عددا يذكر من هذه الحوادث ، التى تنهض دليلا على أن شمعة الفروسية والبطولة والشهامة الانسانية لا يخفت ضوؤها ، مهما تهب عليها عواصف الحرب

[عن الاذاعة البريطانية فى ٥ اكتوبر سنة ١٩٤٤]



كانت نار الحرب بالغة اشدها بين الايطاليين وفرقة من جيش جنوبى افريقيا ، حينما اقبل جندى ايطالى يحمل راية بيضاء ، ووراءه سيارة تحمل خمسة من الجرحى .. وسرعان ماخفتت اصوات المدافع والقنابل ، والقى الجنود حرابهم . وقد دهش قائد الحلفاء ، حينما تبين له أن هؤلاء الجرحى لم يكونوا من الاعداء ، وانما كانوا من الطيارين البريطانيين الذين اسقطت طياراتهم فى ميدان الايطاليين بعد أن القت عليهم قنابلها . ولما لم يكن عند الايطاليين من الاسعافات الطبية ما يمكنهم من علاج الجرحى ، فقد حملوهم الى زملائهم فى معسكر جيش جنوبى افريقيا لاسعافهم . واعترافا بهذا الجميل ، حلت سيارة العدو بأدوات الاسعاف الطبية وارسلت مخفورة الى مقر العدو

[عن الديلى ميل فى ٨ يناير سنة ١٩٤٢]

اغرقت غواصة المانية باخرة انجليزية فى المحيط الاطلسى فى أوائل الحرب العالمية الاخيرة ، وقد نجا جميع ركابها سوى اربعة ، أصيبوا بشظايا القنابل اصابات خطيرة . ولما أنزلوا فى قوارب النجاة دنا الضابط الذى كان يقود قارب الجرحى من غواصة العدو ، فما كان من ربان الغواصة الا أن اظهر نهاية العطف .. فقد اسعف الجرحى بالاربطة والعقاقير ، كما قدم لسائر الركاب تسعة ارغفة من الخبز . ولم يكتف ربان الغواصة بذلك ، بل بعث فورا الى مستر تشرشل رسالة لاسلكية (SOS) بين فيها موقع السفينة الغارقة بالضبط ، قبل أن يغادر المكان . ولم تمض ١٣ ساعة على الحادث حتى أنجدت قوارب النجاة الجرحى ، تلبية لرسالة العدو

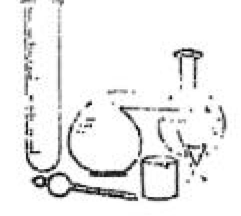
[عن صحيفة التيمس البريطانية فى ١٥ سبتمبر سنة ١٩٣٩]

وهذه حادثة لجنديين من جنود بريطانيا كانا يحملان « نقالة » عليها جندي جريح في ميدان من ميادين الحرب في آسيا . وفجأة سمعا خشخشة وفرقعة زناد ، فتوقفا عن السير .. واذا بجندي ياباني طويل القامة يخرج من الاجمة الكثيفة وبندقيته مصوبة نحوهما . وقبل ان يضغط على الزناد ، وقع نظره على الجريح ، فرفع يده من الزناد ووضع بندقيته على كتفه ، وتوارى مسرعا وراء الاشجار

[عن لشستر ايفننج ميل في ١٩ مايو سنة ١٩٤٤]

كانوا ثلاثة في طائرة ألمانية من قاذفات القنابل ، وقد حاولوا اغراق سفينة بريطانية تجارية .. ولكن مدافعها المضادة للطائرات ، اسقطت الطائرة ، واصابت رجالها الثلاثة باصابات خطيرة . وحاول رجال السفينة البريطانية انقاذ الالمان الثلاثة ، بالقاء حبال يمسكون بها ، ولكن شدة الاصابات والاعياء وهياج البحر ، كلها حالت دون ذلك . بيد أن احد الضباط خاطر بحياته والقى بنفسه في اليم ، وهو يعلم أن الامواج الصاخبة قد تدفع به الى جانب السفينة وتحطمه . ولكنه قاوم الامواج وربط الاعداء الثلاثة بطرف الحبل ، وعاد تسلق سلم السفينة ، وعاونه رفاقه على شد المصابين الى ظهر الباخرة

[عن صحيفة التيمس ٣ يونيه سنة ١٩٤١]



لما استولى الجيش الياباني على شنغهاي ، اصبحت كمية الانسولين في المدينة على وشك النفاد . فعهد الى بريطاني أن يعد جهازا لتحضير مقادير منه لمصلحة الصحة في بلدية شنغهاي . ولكنه عجز عن ذلك لافتقاره الى قطعة معينة ، حاول عبثا العثور عليها ، اذ استولى اليابانيون على جميع الاجهزة الطبية التي كانت للبريطانيين . فخطر له اخيرا ان يستعين باستاذ ألماني في مدرسة طب ألمانية هناك . فما كان من الالماني الا ان اعاره جهازا ، قائلا : « قد نكون أعداء ، ولكننا في سبيل الانسانية اخوة »

[عن الكرستيان باسيفت فبراير سنة ١٩٤٣]



حدثني طبيب حربي الماني ان آخر سفينة غادرت تونس كانت مستشفى حربيا المانيا . ولم تسر طويلا حتى ارغمتها مدمرة بريطانية على العودة الى بيزرتا — التي كانت فى حوزة الحلفاء حينئذ . وهناك فتشت بكل دقة . ولما كان كل شيء فيها عاديا ، أعتذر الضابط الذي عهد اليه التفتيش ، وقال انه فعل ذلك لأنه فى حالة مماثلة سابقة ، اتضح له أن سفينة مستشفى ايطالية كانت تحمل ذخيرة

وقبل أن يؤذن للباخرة الالمانية بالسفر وزع البريطانيون على الجرحى والاطباء الوسكي والشكولاتة والسجائر . وكانت اربطة الجرحى ليست على ما يرام ، فغيروها وضمدوا لهم جروحهم ، وارسلوا وراء السفينة مدمرة بريطانية تحرسها الى أن كادت تبلغ شاطىء ايطاليا [عن كتاب « وراء الستار الحديدى » سنة ١٩٤٤]



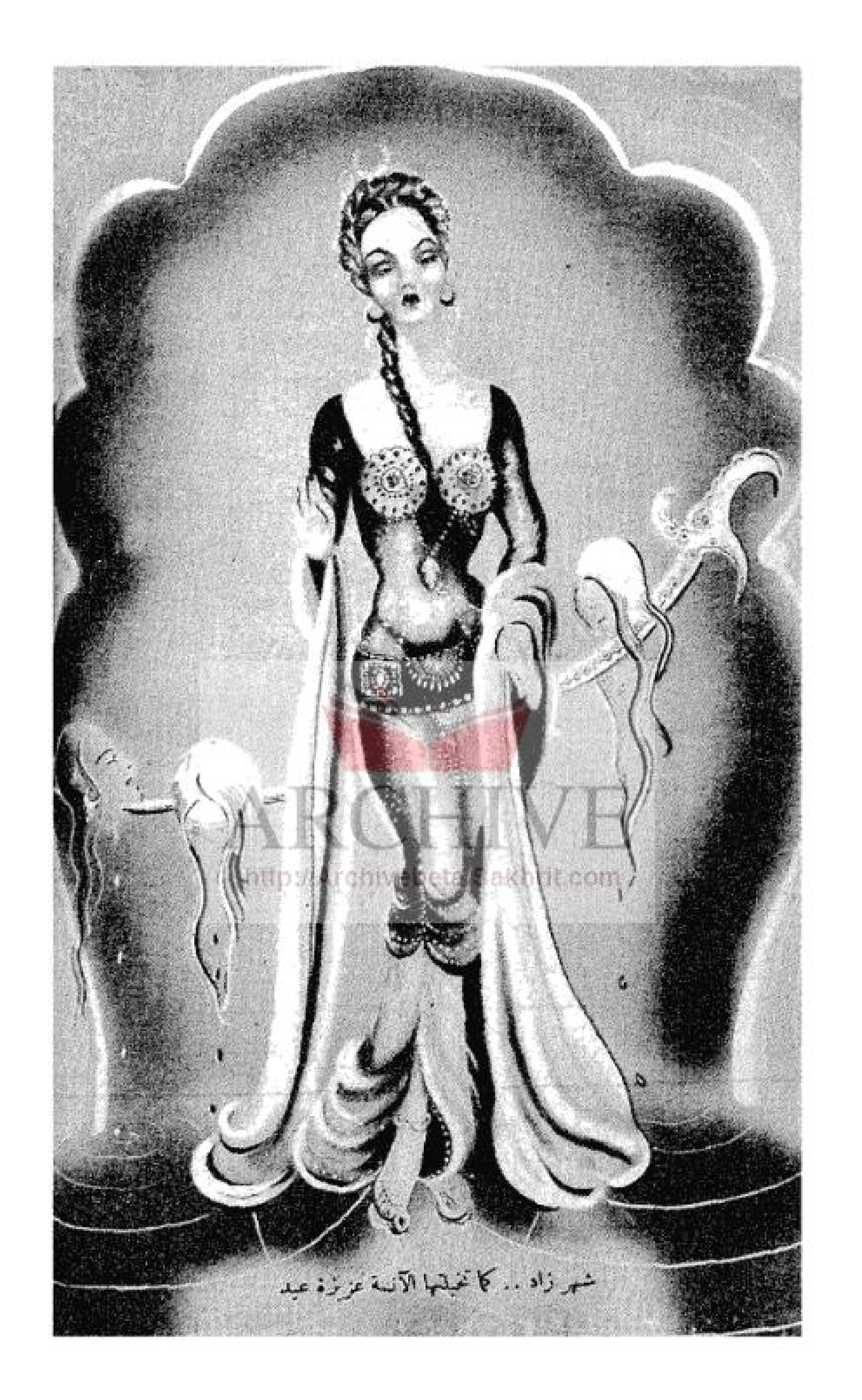
من رسالة كتبها جندي انجليزي فى التاسعة عشرة من عمره الى والديه فى مدينة ليدز بانجلترا ، يصف لهم ما حدث له عند ما جرح فى نورماندي : « جرحت يدى اليمنى وساقاى ، فحملني اسير الماني فى مستشفى الصليب الاحمر فى نورماندى الى الشاطىء مسافة ٧٠ ياردة ، ثم نظر الى وابتسم . ووضع سيجارة فى فمي ، واشعلها ، ثم وضع « الولاعة » فى جيبي . وبعد ذلك مزق قميصه الابيض ، وصنع منه أربطة ضمد بها جروحي . واخيرا قبلني وعيناه مغرورقتان بالدموع ، ومضى يعني بسواى من الجرحى »

[عن يوركشر ايفننج بوست ١٣ يونيه سنة ١٩٤٤]

الزرع والحصاد

قال الحجاج لامرأة من الخوارج : « والله لأعذبنكم عذابا ولاحصدنكم حصدا »

قالت له : « انت تحصد ، والله يزرع .. فانظر أين قدرة المخلوق من قدرة الخالق ! »



شهرزاد .. كما تخيلها الآنسة عزيزة عبد

الشخصية التي أثارت في نفوس الناس على مر العصور أجمل الصور وأروع الأخيلة

شهرزاد ..

بقلم الدكتورة سهير القلماوى

« وصار الملك شهريار كلما تزوج من فتاة .. قتلها في ليلتها. ودام على هذه الحال ثلاث سنوات .. فضج الناس وهربوا ببناتهم . ثم ان الملك امر الوزير أن يأتيه بفتاة كعادته . فخرج الوزير وفتش ، فلم يجد فتاة .. فتوجه الى منزله ، وهو غضبان مقهور خائف على نفسه من الملك

«وكان للوزير بنتان ذاتا حسن وجمال وبهاء .. الكبيرة « شهر زاد » ، أما الصغيرة فاسمها « دنيا زاد » . وكانت الكبيرة قد قرأت الكتب والتواريخ ، وسير المتقدمين ، وأخبار الامم الماضين. حتى قيل انها جمعت ألف كتاب من كتب التواريخ المتعلقة بالأمم السالفة والملوك الخالية والشعراء. فقالت لأبيها : « ما لى أراك متغيرا حاملا الهم والاحزان ؟ » فلما سمع الوزير من ابنته هذا الكلام، حكى لها ما حدث له مع الملك . فقالت له : « بالله يا أبت زوجني من هذا الملك .. فاما أن أعيش ، واما أن أكون فداء لبنات المسلمين وسببا لخلاصهن من بين يديه » فقال لها : « بالله لا تخاطرى بنفسك »، فقالت : « لا بد من ذلك »

●

هكذا تقدم لنا « الليالى » تلك الشخصية التى أثارت فى نفوس الناس على مر العصور خيالات وصورا .. شهر زاد ابنة وزير ذات حسن وجمال ، وذات ثقافة واسعة .. تطوعت يوما ان تخاطر بحياتها لتنقذ بنات جنسها واخذت على عاتقها ان تهذب نفسا بشرية شاذة ـ لا بالموسيقى ولا بالغناء ـ وانما عن طريق القصة والادب بما يحويانه من موسيقى وغناء ، يعرفهما الذين يعشقون القصص الشعبى بخيالاته الباهرة وصوره الساحرة

وظلت « الليالى » تحمل هذا الاطار الجذاب ، اطار شهر زاد ، فكل سحر يطالعنا فيها انما هو من فنها وسحرها ، وكل جميل من صنعها وخلقها . فوقف العلماء يقولون : «ومن شهر زاد تلك ؟» فأجاب الفنانون : « هى رمز الفن.

قصتها قصة الحياة البشرية طبعت بطابع الفن» وقالت العامة : « هي شهر زاد وكفى » . ولكن العلماء يعيدون التساؤل : « ومن اين جاءت هذه الفتاة بالخيال والفن ؟ »

وقد كانت قولتها : « لأكونن فداء لبنات المسلمين » مفتاحا للاجابة عن هذا السؤال عند المستشرق الهولندى «دوجويه» فقصة « أستير » المعروفة في التوراة تشابهها من هذه الناحية. اذ تطوعت كل منهما لانقاذ بنات جنسها من طاغية . فقد وجد دوجويه نص « ابن النديم » في وصف اطار الف ليلة وليلة، يشير فيه الى « حى بنت بهمن » فبحث في التاريخ الفارسى القديم، فوجد أن « ام بهمن » تسمى «أستير» او ما يشبه هذا الاسم ، بينما كانت زوج بهمن يهودية تسمى احيانا شهر زاد واحيانا دنيا زاد . بل قيل ان حى الابنة كانت تسمى شهرزاد ايضا . ومن هنا خرجت نكرة هذا المستشرق من ان القصتين — قصة شهر زاد وقصة استير — تنبعان من اسطورة فارسية قديمة بسبب التشابه القوى بينهما

●

وأثار بحث « دوجويه » هذا ضجة لاتصال الموضوع بالدين اتصالا كبيرا . وكثر مفندو رايه ومعارضوه ، مدللين على ان الشبه الذى يزعمه ، شبه لا يعتد به لانه شبه ظاهرى . فالقصتان تختلفان في الطريقة التى اتخذتها كل من البطلتين في القيام بهذه التضحية . اما تشابههما في مغزى الفداء أو التضحية ، فشبه مشترك بين قصص كثيرة جدا . ثم ان تشابه الاسماء لا يدل على شىء لاحتمال التحريف، ولشيوع الاسمين في فارس القديمة

ومن هنا نرى ان العلماء انفسهم احسوا ان أهم ما يميز قصة شهر زاد وشخصيتها هو هذا السلاح الذى اتخذته لتفتدى به بنات

طلبنا من بعض الفنانين أن يصوروا « شهر زاد » كما يتخيلونها . . وعلى هذه الصفحات ننشر طائفة من انتاجهم . وقد زينا غلاف العدد بالصورة الجانبية . وهى لتمثال من صنع الأستاذ عباس فرج الشيخ





هكذا تخيل الاستاذ محمد
عبد الرحمن شخصية شهر زاد

جنسها .. سلاح الفن تجاهد به ليخفف من عنف الطاغية

وظلت قصة شهر زاد تثير اعجاب العامة فى الشرق .. يطربون لها ويعجبون بها ، ويرددون قصتها وما روته من اقاصيص الغرام فى لذة وشغف ، حتى انتقلت « الليالى » الى الخاصة عند الغربيين فاثارت فى نفوسهم خيالات وصورا جديدة .

واستقبلت قصة شهر زاد فى فرنسا اولا ثم فى باقى بلدان اوربا بالحماس والترحاب . ودخلت على الادب الغربى ، فاذا باسمها يغزو ميادين الادب ، بل ميادين الفنون كلها من موسيقى ورسم ونحت ، بل يجاوز ذلك فيغزو الحياة اليومية العادية فى مظاهرها الفنية .. فاذا متاجر انيقة تسمى باسمها الذى اصبح يطلق ايضا على البضاعة التى يراد لها الرواج

ولكن اثرها فى الموسيقى والادب فاق كل اثر ، لان الموسيقى والادب اقدر على تصوير الفن الذى اوحت به شهرزاد من غيرهما من الفنون .

وقد نال باليه شهر زاد الذى الف حول سمفونى « رمسكى كورساكوف Korsakov » من الشهرة والذيوع ما كفل له الحياة الى اليوم . ومايزال جوهره الخلاب ينقل انغام الموسيقى الرائعة عبر الزمان اجيالا ، فنجد فيها انغاما غامضة حالمة فى جو عجيب من السحر والخيال يحاول أن يرسم ما هيأته شهر زاد من جو فنى حول الملك الطاغية

ويأتى الادب ، فتوحى له شهر زاد بخيال سابح حالم غير محدود ، واذا بالكتاب فى مختلف العصور والبلدان يستلهمون من وحى شهر زاد . ولكن فرنسا التى كان لها السبق فى اذاعة فن شهر زاد وسحرها ، هى التى كان لها السبق فى هذا الميدان أيضا . فهذا « جوتيه Gautier » يكتب عن الليلة الثانية بعد الألف ، حيث تأتى شهر زاد الى الكاتب طالبة انقاذها بقصة جديدة ، لان الملك لم يعف عنها

وقد سار على نهجه الكاتب الامريكى « ادجار الن بو » فكتب عن شهر زاد فى الليلة الثانية بعد الألف ، فوصف كيف قتل الملك شهريار الفاتنة المطيعة لانها استمرت تقص عليه قصصها ، وقد اشتاق بعد طول الليالى أن ينام ليستريح من الملل والسأم

•

والف هنرى دى رينيه Henri de Regnier فى سنة ١٩٣٠ قصة شهر زاد بعد الألف ليلة ، قتل فيها البطل شهريار ، وتفردت شهر زاد بالحكم من بعده فسئمت البذخ والقصور والبساتين التى تعيش فيها ، وراحت بدورها تعيد قصة شلدوذ زوجها طالبة قصاصا بعينها بقصصه على احتمال سأم الحياة ، والا عاقبته بقطع اذنيه .

وتظفر آخر الامر بشاب وسيم يأتيها فى قافلة غريبة فتحبه . ثم يظهرها الكاتب فى نفس المجموعة



تمثال لشهر زاد .. من صنع الأستاذ فتحى محمود



شهر زاد .. للمثال كامل جاويش

من القصص ، وقدختها حبيبهامع فرنسية جاءت على متن طائرة من فرنسا الى بغداد

وتسرب أثر «دي رينيه» هذا الى كتابنا المحدثين ، فكان له الفضل في عودة شهر زاد الى الشرق وطنها الاول ، لتوحي الى أهله بما لم توح به الى غيرهم . فما كادت شهر زاد تعود الى مصر ، الى الشرق وطنها الاول حتى عادت تلهم كتابه وقصاصيه من جديد . واذا كاتبان من كتابنا يؤلفان معا « القصر المسحور » مستوحيين شهر زاد ، واذا طه حسين ينفرد باخراج كتاب من احلام شهر زاد ويضع توفيق الحكيم قصته المعروفة « شهر زاد »

هذه هي باكورة وحي شهر زاد في نحو من عشرة أعوام . ترى ماذا سيأتي به وحيها من جديد ؟ وماذا سيتحفنا به الكتاب من تجديد لسحرها وفنها العجيب ؟ اننا لا نزال على عتبة الجنة الساحرة ، لم نر من نورها الا الشعاع البعيد !

سهير القلماوي



ماذا تحب المرأة في القصة .. وماذا يحب الرجل ؟

بقلم الدكتور امير بقطر

لم تذكر المراة قبل الرجل فى هـذا العنوان تأدبا .. ولكن لأن القصة او الرواية الى قلب المراة اقرب ، والى طبيعتهـا احب . المرأة اكثر انطواء على نفسها من الرجل ، واشد ميلا للوحـدة ، ومناجاة الذات، ومحاسبة الضمير . وفى حوادث القصة المتسلسلة ، وعناصرها المحبـوكة .. تجـد المراة مرتعا خصيبا ترعى فيـه هـذه الصفات ، وتنساب فيه طبيعتها حرة طليقة

ان المراة ـ بوجه عام ـ تحب الرجل فى القصة ، كما أن الرجل يحب المراة فيهـا . ولعـل ذلك سبب فشل القصة التى لا تعالج مسـالة تكون كل من المـرأة والرجل طرفا فيها . وقد شاهد كاتب هذه السطور منذ سـنوات فى لندن رواية تمثيلية بديعـة ، محكمـة التاليف ، توافرت فيهـا سرعة الخاطر ، وحضور البديهة، وحلاوة النكتة، وتعدد المفاجآت. وقيل أن عيبها الوحيد ان جميع الادوار فيها ، على كثرتها ، كانت النساء. غير ان شيئا واحدا كان بارزا فيها ، لا يخفى على كل من يراها ، وهو ان الحديث فى جميع الادوار ، كان يدور حـول محور واحد ، لا يكاد يتغير ـ الرجال . وكانت جميع النكات والعبـارات الفكاهية التى ضج لهـا النظارة بالضحك ـ كانت كلها منصبـة على الرجال ، او علاقة النسـاء بهم . وقد اخرجت الرواية بعد ذلك فى السينما ، وظهـرت على الشاشة البيضاء، ورآها الكثيرون فى احدى دور الصور فى القاهرة. . ولـكنها لم تصادف النجاح الذى أصابته على المسرح فى لندن ، لان المخرج فاته أن قوتهـا كانت فى حـديث ذلك الجيش الجرار من الممثلات عن الرجال ، ومغامرات الجنسين فيها ، فحـذف اكثره معتمدا على قوة التمثيل وحده ، وما فيه من اشارات وحركات

●

اما اذا خرجنا من التعميم الى



المرأة أكثر استسلاماً من الرجل للخيال والأحلام . .

التخصيص ، وجـدنا فروقا جوهرية بين المرأة والرجل، تبدو آثارها فى القصة . ومن البحوث الطلية التى قام بها جاعة من علماء الاجتماع، انهم جندوا عددا كبيرا من الرجال والنساء ، وطلبوا اليهم أن يندسوا فى الأندية والاجتماعات العامة ، وينتشروا فى سيارات النقل والقطارات ، ويدونوا فى مذكراتهم الموضوعات التى يتحدث عنهـا النسـاء ، والموضوعات التى يتحدث عنهـا الرجال . وبعد أن توافرت لديهم المواد التى تصلح أساسا لاستخلاص النتائج ، تبين لهم أن احاديث المرأة تكاد تنحصر فى شيئين ، أولهما الرجال ، وثانيهما الملابس وادوات الزينـة ، وان احاديث الرجل تكاد تنحصر فى شيئين ، أولهما العمل ، وثانيهما المال . ولسنا نبعد كثيرا عن الصواب اذا قلنا ان ما توصل اليه هؤلاء العلماء فى التفريق بين هذين النوعين من الاحاديث،هو عين ما يمكن أن نتوصل اليه فى التفريق بين ما يعنى به الرجل فى القصة وما تعنى به المراة

وهناك بالطبع عوامل أخرى ، يتوقف عليها ما يحب الرجل او المرأة فى القصة . . فى مقدمتها السن ، وما يشغل البال فى الحين الذى تقرأ فيه القصة . فالرجل فى متوسط العمر يسترعى نظره النجاح فى الاعمال ، والتفوق على الاقران ، والاحتفاظ بالعزة والكرامة الذاتية ، والزوجة المستقرة فى الحياة الزوجية ، المطمئنة البال قد تستهويها الدربة

واثاث البيت ، والعلاقة بين افراد الاسرة . والاطفال الذكور قبل سن الحلم أو بعده بقليل لا يعنون بالقصص أو الروايات الغرامية ، وانما تلذ لهم الحوادث الفكاهية ، والرياضة ، والالعاب البهلوانية ، واعمال البطولة

●

ومن العوامل التي تفرق بين المراة والرجل ، نظرة كل منهما الى قيم الحياة وموازينها ومقاييسها . فعند المراة كل ما يتعلق بالمسائل الاجتماعية ، والدينية ، والذوق السليم : هو الذى يحدد هذه القيم ،والموازين، والمقاييس . اما الرجل ، وان كان يعنى بهذه المسائل أحيانا ، فان المسائل النظرية ، والسياسية ، والاقتصادية هى التى تسترعى أنظاره اكثر من كل شيء عداها

والمراة فى قراءة القصة ، حتى المستهترة ، تعجب بالصفات السامية ، والمثل العليا ، وعلى الأخص التعاون والخدمة الاجتماعية،وما ماثلها من المسائل التى قلما يعبأ بها الرجل . وليس معنى هذا ان المراة تفوق الرجل خلقا ، فقد يكون هذا صحيحا فى بعض الصفات ولكنه ليس صحيحا فى مجموعها. فقد اتضح من التجارب العملية التى اجراها علماء النفس والتربية على طلاب المدارس الثانوية من الجنسين ، ان الذكور والاناث يستوون فى الغش والكذب والسرقة ، بالرغم من أن الاناث اكثر اعجابا عادة بالاخلاق الحميدة من الرجال،واشد ميلا للاشمئزاز من كسر التقاليد المرعية،ونواميس



يعنى الرجل فى القصة بالمغامرة والحياة العملية الشاقة

الفضائل المتفق عليها

ومن المسائل المتفق عليها ، ان المرأة من سن الثانية عشرة فما فوق ، اقل ثباتا واستقرارا فى وجدانها وعاطفتها من الرجل . فقد اتضح من دراسة عشرات الالوف من طلاب الجامعات من الجنسين ، ان امراض الاضطرابات النفسية ، واختلال التوازن العصبى بين الاناث منهم ، تزيد بمقدار عشرين فى المائة عنها بين الذكور . ويستنتج من ذلك ان المرأة تكون اشد تأثرا وكراهية للحوادث العنيفة الصاخبة فى الرواية ، من الرجل ، لانها تثير اعصابها ، وتزيد نفسها اضطرابا، ولكنها فى الوقت عينه ، تكون اكثر استسلاما من الرجل للخيال والاحلام التى تصورها القصة عادة . ومن المبادىء المسلم بها ، ان المرء كلما كان متزنا ، مستقر الوجدان ، سليم الاعصاب ، قل اعجابه بالخيال . وكلما زادت امراض الاضطرابات النفسية فيه ، اشتد تعلقه بالاحلام التى يبدع القصاص او الروائى فى تصويرها ، والقصور التى يشيدها له فى الهواء

ولهذا يمكن ان نقول بوجه عام، انه كلما كان الانسان — رجلا كان او امراة — مرتاح الضمير ، سليم الوجدان ، كان ابعد عن الامعان فى قراءة القصص والروايات ، وكلما كان مضطرب النفس ، تساوره المخاوف والشكوك والهموم محطم الاعصاب ، جنح الى الهرب من الحياة الواقعية ، وتعلق بأهداب الخيال ، اما بقراءة القصص والروايات والامعان فيها، او بتعاطى المسكرات والمخدرات ، او بالاصابة بمرض نفسانى . وقد يخيل الى القارىء لأول وهلة ان هذا بعيد عن المنطق ، ولكن العلم الحديث بين لنا بأدلة قاطعة ، ان الرجل — او المراة — الذى لا يستطيع تحريك ذراعه ، او يفقد حاسة السمع او النظر ، او يصبح مقعداملازما فراشه،بالرغم من سلامة ذراعه ، او اذنه او عينيه،او سائر بدنه من كل مرض عضوى — هذا الرجل لا يختلف بتاتا عمن«يدمن» قراءة القصص، او يستسلم للمسكر اوالمخدرات. ان كلا من هؤلاء يحل مشكلا من مشاكل الحياةعلى طريقته الخاصة. ولعل هذا يزيدنا ايضاحا ، ان قارئات القصة من النساء يفقن بكثير امثالهن من الرجال ، لان الاضطرابات النفسية فى الاناث تزيد عنها فى الذكور ، كما سبق القول

ويعنى الرجال فى القصة بحوادث الاكتشاف، والاختراع، والمغامرة، والبطولة ، والشجاعة ، والتغلب على المصاعب البدنية الشاقة ، وركوب الاخطار ، كقطع الفلوات والصحارى ، وصيد الوحوش الضارية ، ومصارعة الثيران ، وشن الغارات والحروب، واقتحام البحار الهائجة والامواج الصاخبة، وارتياد الأصقاع القطبية المتجمدة ، واختراق الغابات

والادغال ، وتسخير القوى الطبيعية . ومتى جاوز الرجل متوسط العمر او اقتر بمنه ، خفت رغبته فى هذه الاشياء رويدا ، وبحث فى الرواية والقصة عن الحياة العملية فى التجارة والكسب والمال، والنجاح فى ميادين الاعمال ، ومتى أوشك على الشيخوخة ، فاما ان يعجبه فى القصة التقاليد المرعية ، والشمائل الكريمة، والمبادىء الخالدة، واما ان « يرتد » وتعود اليه سن المراهقة الثانية فيبحث عن المراة والحب والغرام ، كما يعود لهب الشمعة الى الاشتعال والتوهج قبل ان يخبو نهائيا باحتراق الشمعة

وتعنى المراة فى القصة فى اكثر اطوار حياتها بالشؤون المنزلية ، والازياء ، والزينة ، والزخارف ، والاشياء الجمالية ، وتسترعى انظارها فى الرواية المهن والاعمال والحوادث التى تتصل اتصالا مباشرا بالخدمات الاجتماعية ، خصوصا ما تعلق منها برعاية الاطفال وتربيتهم، واغاثة المنكوبين واطعام الجياع ، ومعالجة المرضى ، وتعزية الحزانى

واذا ما عدنا بالذاكرة الى بعض القصص والروايات الشهيرة ، اتضح لنا ما تعجب به المراة فيها وما يعجب به الرجل . فقصة السندباد البحرى ، وروايات «طرزان» ، ورحلات ابن بطوطة، وغزوات جنغيز خان، والاسكندر، ونابوليون ، وأمثالها ــ كلها أحب الى قلوب الرجال وطبائعهم، منها الى النساء . وعلى النقيض من ذلك نجد قصص « فلورنس نايتنجيل » أولى الممرضات فى تاريخ التمريض ، ورواية «الأخت البيضاء » وأمثالها ، أحب الى النساء منها الى الرجال، للأسباب سالفة الذكر

ولعل اكثر القصص والروايات نجاحا ، هى التى تصور المراة كما يحبها الرجل أن تكون ــ جميلة مفرطة فى الجمال ، شديدة الحساسية، حيية، خفرة، انيقة، ممعنة فى التمنع، رقيقة الوجدان، كلها انوثة ، مستهترة الى حد يغرى الرجال، ثم تفلت من ايديهم قبل أن ينالوا منها وطرا . واكثرها نجاحا هى التى تصور (فى الوقت عينه) الرجل كما تحبه المراة ان يكون ــ قوى البدن والنفس ، شديد الوثوق بذاته ، معتزا بكرامته، مغامرا ، ناجحا فى عمله، يخدم المراة ولكنه لا يجبن امامها كله رجولة

وهناك امر آخر جدير بالاشارة اليه ، هو ان ميول الرجال فى القصة وغيرها متعددة ، متنوعة ، متباعدة ، تكاد تنتشر على طول الخط من ادناه الى اقصاه . اما ميول النساء فعلى تنوعها متقاربة جدا ، متشابهة ، تكاد تتجمع كلها حول الوسط . ومعنى هذا ان النساء اكثر تشابها بعضهن ببعض فى الميول والصفات ، من الرجال

امير بقطر


قلامة ظفر!
بقلم الأستاذ ميخائيل نعيمة
«.. صدقني ياصاحبي ان ليس في الارض ما يستحق
ان تلح في طلبه ، فالعالم كله لا يساوى قلامة ظفر .
وقد تساوى قلامة ظفر كل ما في العالم .. »

كلفني احد جيراني القرويين ابتياع حاجة له في المدينة . وانذرني انها ، على تفاهتها ، نادرة الوجود ، وليس في المدينة كلها غير رجل واحد قد استقل بصنعها. وهو لا يصنعها الا عند الطلب . واعطاني اسمه واسم الشارع الذي فيه حانوته

اهتديت الى الشارع بعد تفتيش ممض فاذا به ممر ضيق مظلم بين شارعين واسعين ، واذا الحانوت الذي افتش عنه يكاد يكون ثقبا في جدار . فما اظن ان طوله يتجاوز الاربعة من الاذرع وعرضه الاثنين . الا انه ، على ضيقه ، كان يزدحم بشتى الخردوات من اقفال ومفاتيح وامراس وازرار وغيرها بحيث يتعذر على الداخل أن لا يمسها باطراف ثيابه فيمسح بعضا من الغبار الراقد عليها

دخلت الحانوت ، فلاح لي في مؤخره رجل متوسط العمر جالس الى مائدة صغيرة وفي يده الواحدة مقص وفي الاخرى قطعة من النسيج ، وامامه خشبة صغيرة فيها ثقوب متفاوتة الحجم وقد انحنى فوقها وراح يقيس النسيج عليها . حييته فرد على التحية من غير ان يرفع بصره الي . وعند ما ذكرت له حاجتي اجابني ببرودة متناهية ، وهو مكب على ما بين يديه :

ـ هل وقتك من ذهب ؟

فقلت متكلفا برودة كبرودته :

ـ ولا من « صفيح »

ـ اذن عد الى بعد ساعتين

عدت بعد ساعتين ونصف الساعة واذا الرجل جالس حيث كان، يعالج بالمقص قطعة النسيج والخشبة . واذ سألته عن الحاجة التي ساقتني اليه ، اجابني ببرودته السابقة :

ـ عد بعد ساعتين

ما شئت ـ وانا المحتاج اليه لاهو الي ـ ان اؤنبه على استخفافه بي . وقد ندمت على قولي له مازحا ان وقتي ارخص على من الصفيح . الا انني ما اخفيت عنه امتعاضي . فما التفت الي ، ولا اعتذر .. بل كرر ما قاله منذ هنيهة : « عد بعد ساعتين »

وانقضت الساعتان .. فعدت الى الرجل وقد صممت الا اخرج من عنده الا والحاجة في يدي . اما اذا اتفق وخذلني للمرة الثانية، فقد اعددت للأمر عدته . وعدتي كانت خطبة بليغة صنفتها وانا في الطريق الى الحانوت .. وحشوتها الكثير من ديناميت التقريع والتبكيت . الا انني ما احتواني ذلك الوكر الضيق حتى بادرني الرجل بقوله :

ـ اما عندك من حاجة تقضيها غير هذه الحاجة ؟

قلت : « بل عندي حاجات وحاجات .. ولكن هذه الحاجة هي أولها واهمها الآن . لانها ليست لي بل لجار من جيراني . وانا حريص الا اعود الى بيتي بدونها »

ـ ما دامت لها هذه القيمة عندك فعد الى بعد ساعتين تجدها في انتظارك

تعوذت بالشيطان ورحت افتش عن الديناميت الذي اعددته لمثل تلك الدقيقة الحرجة ، فما وقعت له على أثر . لقد خانتني ذاكرتي وخانني لساني . ولم اجد ما اقوله للرجل غير : « ارجو منك الا تخيبني هذه المرة . فانا من قرية بعيدة طريقها وعر وكثير المخاطر . ولا بد لي من العودة قبل غروب الشمس »

وعند ما رجعت بعد ساعتين وجدت الرجل جالسا مكانه وقد انصرف الى تقليم اظافره بالمقص الذي كان في يده . اما قطعة النسيج والخشبة فقد اختفتا من امامه وحلت محلهما صحيفة عربية مبسوطة بطولها وعرضها ، وعلى جانب منها علبة من الكرتون الاسمر . وعلى غير ما عودني من قبل ، هش الرجل بي واشار الى كرسي مقابل لكرسيه ، وبمنتهى اللطف قال لي :

ـ تفضل .. استرح . سأقضي لك حاجتك ان شاء الله حالما افرغ من تقليم اظافري . الا تريد ان تقلم اظافرك ؟ هاك مقصا

●

وللمرة الاولى رفع الي عينيه الصغيرتين المستديرتين ، فلمحت فيهما بريقا يتحير بين بريق الابتسامة وبريق الحدقة وقد بللتها دمعة . ولكن الرجل ماكان يبكي . وتفشت تلك الابتسامة الغريبة في أسارير وجهه النحيل المستطيل ، فبدا غريبا عن كل ما الفته في حياتي من وجوه البشر

ما بقيت أدري بعد ما سمعت من الرجل وما رأيت في اي ميزان ازنه وبأي لسان اخاطبه . والغيظ الذي كانت مماطلته لي قد اثارته في داخلي ، اخذ يتحول الى ما يشبه الشماتة بنفسي والاعجاب به . فقد كان يفعل ما يفعل ويقول ما يقول غير آبه بسخطي او رضاي ، وغير مشكك في انه يقول ويفعل الصواب بعينه . لذلك ما اهتديت الى جواب احسن من قولي :

ـ شكرا ياصاحبي .. اظافري ليست في حاجة الى التقليم . ولكنني في أمس الحاجة الى الانصراف .. فياليتك تصرفني ثم تعود الى اظافرك

ـ بل يا ليتك تقلم اظافرك ثم تنصرف

ـ ولكن اظافري مقلمة

ـ قد تكون الاظافر التي على أصابعك مقلمة .. أما اظافرك الاخرى فيبدو لي انك لا تعيرها ما هي جديرة به من اهتمامك ؟

ـ وأي اظافر تعني ؟

ـ أعني الاظافر التي في العين والفكر والقلب

سكت على مضض لعله يكف عن الحديث فينتهي من اظافره وينهي لي حاجتي . ولكنه ما سكت هنيهة الا ليعود الى الكلام :

ـ الذئب لا يقلم اظافره لأنها سلاحه في الدفاع عن نفسه وفي تمزيق فريسته . ويقلم الانسان اظافره لأنها تزعجه ، ولأن له سلاحا غيرها يستعين به في الدفاع عن نفسه وفي تحصيل قوته .

والذئب لا يخجل بشراسته . واذا جاع فتك حتى بأخيه او ابيه . وهو فى الحالين غير ملام . اما الانسان فيخجل بشراسته ويتحاشى الفتك بأخيه أو ابيه . وأن هو تشارس مع أخيه او فتك به ، لامه الناس اذا هو لم يلم نفسه . ومعنى ذلك ان الشراسة والشراهة وحب الفتك وما يرافقها من بغض وجشع وغضب وانتقام وسواها ، هى كلها اظافر تليق بالوحش ولا تليق بالانسان . فلا بد من تقليمها لمن شاء ان يكون انسانا وأن يعيش مع الناس فى سلام .. الا توافقنى فى ذلك ؟

كان الرجل يكلمنى وعيناه على اظافره وعلى المقص فى يده . وكان كلما وقعت قلامة على الصحيفة امامه ، التقطها بتأن ووضعها على مهل فى علبة الكرتون بجانبه . وكنت ارقب كل حركة من حركاته واصغى الى كل كلمة من كلماته ، فما اكاد اصدق عينى وأذنى . لقد ادهشنى ان اسمع مثل ذلك الكلام من مثل ذلك الرجل فى مثل ذلك الحانوت . الا أننى ، والحاجة التى جئت من اجلها ما برحت تساور افكارى ، التفت الى ساعتى فاذا النهار يلفظ أنفاسه . فانتفضت كالملسوع وهممت بالنهوض . فما كان منه الا أن ألح على بالانتظار قليلا بعد ، وأردف قائلا:

ـ واللجاجة ظفر لابد من تقليمه .. صدقنى يا صاحبى أن ليس فى الارض ما يستحق أن نلح فى طلبه . فالعالم كله لا يساوى قلامة ظفر . وقد تساوى قلامة ظفر كل العالم

فأجبته بلهجة القانط :

« ولكن الحاجة التى كلفتك صنعها هى الآن عندى اثمن ما فى العالم .. افلا تلطفت وانجزتها بأسرع ما تستطيع ؟ »

ـ هاكها يا صاحبى .. لقد انجزتها بعد دقيقتين من مجيئك فى الصباح . ولكننى شئت ان امتحن معدنك

وناولنى الحاجة متممة على اكمل وجه . حينئذ ما ملكت طبعى ورحت امطره وابلا من التقريع لانه استخف بى واسترخص وقتى الى ذلك الحد ولكن الابتسامة ما فارقت وجهه فكأنه ما سمع تقريعى ولا اهتم لغيظى

ـ امتحنتك فما اجتزت الامتحان

ـ وما شأنك منى لتمتحننى؟ ان انا غير عابر سبيل فى حياتك

ـ حسبى أن ألتقيك مرة لأعرف أنى التقيتك مرات من قبل وسألتقيك دهورا بعد .. فسبيلنا واحد . والرفيق مطالب برفيقه

ـ وهل تمتحن كل زبائنك ؟

ـ لا كل زبون انسان ، ولا كل انسان جدير بالامتحان

ـ أفما كان الاحرى بك ان تخرج من هذا الوكر الضيق الى العالم الاوسع ، وتعلم الناس فن تقليم الاظافر المنظورة وغير المنظورة ؟

– بلى . لو انني اتقنت فن التقليم .. ولكنني ما ازال اتعلم . وكيف لمن لم يتعلم ان يعلم ؟

– اراك تحرص كل الحرص على قلامات اظافرك ، فتجمعها على مهل وتضعها فى العلبة بجانبك .. اهي مغالاة منك فى النظافة، ام ان لتلك القلامات شؤونا اخرى ؟

طرحت سؤالي بغير اكتراث.. ولكن تأثيره فى الرجل كان فوق ما كنت أتوقع . فقد رفع الى بصره وسمره فى وجهي .. ثم تنحنح كما يتنحنح المغني قبل الانشاد والخطيب قبل الخطابة ، وقال وهو يقطع الكلام تقطيعا :

– ان تقليم الاظافر عندي هو ضرب من العبادة . فأنا ما قلمت أظافري الظاهرة الا قلمت معها اظافري الخفية . واظافري الخفية هي خطاياي . فكل قلامة من اظافري هي شاهد على خطيئة مني ارتكبتها . والخطايا تنمو كما تنمو الاظافر سواء بسواء . وأنا حريص الا تضيع قلامة واحدة من قلاماتي . وقد أوصيت أن تدفن معي ، لأمثل يوم الحشر امام الديان وخطاياي شاهدات علي . ونصيحتي اليك – خذها مجانا ولوجه الله – ان تفعل ما افعل

●

عندها بدأ يخامرني شك فى سلامة عقل الجالس تجاهي .. فقلت :

« انها لنصيحة غالية من غير شك . وسأعمل بها من الآن فصاعدا . الا أخبرتني من الذي تلطف بها عليك قبل ان تجود بها علي ؟ ام انها خطة ابتدعتها بنفسك لنفسك ؟ »

– بل سبقني اليها والدي رحمة الله على ثراه . وانا ورثتها عنه . وقد بلغ به الحرص عليها ان مات على المشنقة فى سبيل قلامة ظفر من اظافره .. اما قلت لك ان قلامة ظفر قد تساوي كل ما فى العالم ؟

قلت وكادت الدهشة تعقد لساني : « قلامة ظفر تؤدي الى المشنقة ؟ .. لا اكاد اصدق »

– بل صدق .. ففي العالم ما هو أعجب من ذلك .. كان والدي نجارا بارعا وانسانا تقيا. وكان يجمع قلامات اظافره مثلما أجمع قلامات اظافري . ودري بذلك الجيران .. فجاءه يوما الى دكانه زمرة من الاولاد الاشقياء ووجدوه منهمكا فى تقليم اظافره . وطارت قلامة ووقعت على الارض، فالتقطها ولد من الاولاد واطلق ساقيه للريح . فما كان من والدي الا ان اختطف قدوما كان بجانبه ولحق بالولد وهو يصيح: « هات القلامة والا رميتك بالقدوم » .. فما وقف الولد . ورماه والدي بالقدوم فارداه . فما صدق القضاة ، ولا صدق احد أن رجلا تقيا يقتل ولدا من اجل قلامة ظفر . اما حبل المشنقة فصدق.. وعانق والدي عناق الصديق للصديق

وتوقف الرجل عن الكلام عند نهاية قصة والده المحزنة .

فاهتبلتها سانحة نادرة للانصراف ونهضت لأشكر له صنيعه ومواعظه ، والقيت قطعة من النقد على المائدة امامه . ووضعت يدي في يده مودعا . فضغطها ضغطا آلمني حتى كدت اصرخ . وحلق بي طويلا ثم سألني بلغة انكليزية لا غبار عليها :

ـ هل انت قوي ؟

قلت وقد حيرني سؤاله على قدر ما حيرني وجود جواب مناسب : « اناكما تراني .. جسم ناحل ، لو توكأت عليه لانهدم ». وما ان سمع جوابي حتى هزني هزة عنيفة وصاح :

ـ لست اعني قوة الصلب والساعد .. تلك للدببة والثيران . اعني قوة السلطان على النفس .. هل انت سلطان نفسك ؟ وان انت لم تكن سلطان نفسك ، افترض ان تسلطن عليك حاجة زهيدة كالتي جئتني من اجلها اليوم ؟ قوة السلطان على النفس ـ تلك هي القوة ! وكل ما عداها اظافر للتقليم

وضرب المائدة بجمع كفه ضربة رقص لها كل ما على المائدة . ومنه علبة الكرتون التي بلغ بها الترنح أن ارتمت الى الارض وبعثرت كل ما فيها من قلامات الاظافر . فاكفهر وجه الرجل ، وجحظت عيناه واعترته رعدة . ثم ارتمى على الارض وراح يفتش عن القلامات بيديه ورجليه ويجمعها واحدة واحدة فتسللت الى الشارع وصوته المتهدج يقرع اذني :

« ويلي .. ويلي ! خطيئتي كبيرة .. خطيئتي كبيرة .. »

ميخائيل نعيمة

ايمان

كانت بدوية فقيرة تقيم في خباء من شعر ، ضربته في مكان مهجور بالصحراء .. وحول الخباء بستان صغير ، تعيش على ما ينتجه من زرع . وذات ليلة ، غامت السماء وارعدت وابرقت ، ثم تساقط برد افسد الزرع . فلما هدأت العاصفة .. اخرجت الاعرابية راسها من الخباء ، ونظرت الى الزرع وقد ذوى .. ثم رفعت راسها نحو السماء ، وقالت : «اصنع يا الهي ما شئت .. فان رزقي عليك ! »

صفقة خاسرة !

بقلم الدكتور احمد زكى بك

ليست هذه القصة من نسج الخيال .. وانما هى بعض ما كتبه قلم الزمان الكبير فى ركن صغير من سجل التاريخ العظيم . هو سجل يجمع بين الحدث الصغير والحدث الكبير ، ويضم الى عظائم الأمور التافه الحقير .. وهذا الذى نحكى ليس من عظائمها

ذلك لأنه يختص بشابين من شباب تلك الأمة التى يعدسكانها بالملايين ، اربعمائة أو فوق ذلك قدرا . تلك الأمة المتسقة .. دولة السماء ، التى تعرف بالصين . ولم يكن الشابان من أولاد الأمراء . ولم يكونا من أبناء القواد ، ولاحتى من أبناء الحكماء . والحكمة فى الصين ، على ما يريدنا كتاب الغرب على ان نعتقد ، كثيرة رخيصة . وانما كانا شابين ، لم يتصلا بمال ، الا النزر الذى يتصبب من الجبين عرقا . ولم يتصلا بعلم ، الا علما تعطيه الطبيعة فى حقول الأرز وعند أجرانه . ولم يتصلا بعاطفة ، الا العاطفة التى تغمر قلب كل صينى شاب ، اعنى حب الأسرة . ولم يتصلا بأمل الا ذلك الأمل الذى يشغل عقل كل صينى ، أن يدبر ويحتال ليسبغ على أبويه من صنوف الارزاق ، شيخين عاجزين ، ضعف ما اسبغا عليه صغيرا عاجزا

●

والتقى الشابان فى القرية عند قهوة أفيون صغيرة ، جاءاها ليتزودا لذويهما منها أجود ما تجود به من تلك البضاعة . وما التقيا حتى تبادلا التحية الكثيرة والسلام الجم ، فى أدب بالغ . وتساءلا عن الأب والأم ، والجد والجدة ، وتساءلا مرارا . فلما اطمأنا الى ذلك اطمئنانا كبيرا ، اخذا بشكوان الزمان وقحط الأيام . وكان فى القهوة رجل صينى ، ظاهر الثراء ، جلس على سجادة فخمة ، يهيىء للتدخين جهاز افيونه فى احتفال كبير .. وكان يتسمع فى جد واضح ما يقول الفتيان . فلما بلغا من حديثهما ذاك المبلغ ، اعتزم الرجل أن

> وأطلت من السفينة وجوه غائرة هالها أن تبلغ القسوة من الانسان هذا المبلغ ، وصاحوا والدموع تنهمر ، وليس للدمع من راء ، ولا للصراخ من سامع ..



وشحن الرجال شحن الخراف فى سفينة عتيقة .

يتدخل . قال :

ـ أيها العزيزان .. ان الحق ما قلتماه ، فالزمن لاشك شديد، والايام مجدبة ، وكيف ترضى الروح وتطمئن، والمعدة فارغة ؟

فأجاب الفتيان معا :

ـ ما أصدق ما تقول ياسيدى

واسر الفتى الى صاحبه يقول :

« ان هذا السيد الغريب لا شك احد الفلاسفة العظام ، لانه ينطق بالحكمة »

وتبادل الرجل العظيم والفتيان التحايا ، ثم تبادلاها ، وأكد الفتيان للرجل العظيم انهما من الضعة بحيث لا يلفان من الارض الى اطراف ثوبه . وعندئذ بدا للرجل ان الأوان آن ليفتح للشابين المسكينين خزائن حكمته وان يكشف لهما عن أقرب الطرق ليغترفا من نعيم الدنيا ، لنفسيهما ، ولابويهما الكريمين

ذكر لهما ان نعيم الحياة يوجد فى جزيرة بعيدة فى البحر، يسكنها رجال شقر، كأنهم الزبانية، يعرفون بالبالنديين ـ هكذا تسمى الصين الهولنديين ـ ولهم مزارع للدخان فيها هائلة ، تأذن لهم باعطاء

اجرائهم اجورا عالية .. هذا لمن اعانه الحظ فكان لهم اجيرا

وجرى الحديث من فمه للديذا، وجرى مغريا . فلم يكن صاحبنا بالفيلسوف، ولكن رجلا محترفا عمله اصطياد الرجال

وعرف الفتيان هذه الجزيرة، فقد سمعا عنها مرارا . وسمعا عن رجال من الصين ذهبوا اليها فعملوا على الاجر المربح، وفاض منه فضل غير قليل ارسلوه الى اهلهم اعانة لهم على العيش . ولكن غاب عنهم ما بين عامل وعامل من فرق . غاب عنهم عامل يتقدم الى العمل حرا، فيؤجر عليه اجرا مناسبا شرعيا، وبين عامل يأتى فى شحنة من الرجال هائلة، يرسلها هؤلاء الوكلاء الى تلك المستعمرات ارسال النخاسين الارقاء الى سوق تباع فيها الناس وتشترى

تردد الفتيان اول مرة، ولكن لم تمض ليلة قليلة حتى بلعا الطعم كما بلعه من قبلهما سائر الاسماك . واعطى الرجل كلا خمسة وثلاثين دولارا فضة، واعطى لهما من اجورهما مقدما ما يفى باقامة كيان الاسرة الفقيرة بضعة أشهر . اخذا هذا وهذا، واعطيا بدلا منه لهذا الرجل جسما لهما وروحا

●

وفى الصباح الباكر اخذا يضربان الارض مشيا، ووجهتهما ميناء كانتون . وهو ميناء يكفى ذكر اسمه للدلالة على سوء سمعته . وما بلغا الميناء حتى شحنا مع رجال آخرين عديدين، شحن الخراف، فى سفينة عتيقة لاشك قضت القرون تقطع البحار وتجدد الزمن وهى على عهدها القديم، سوء تصميم وقلة راحة وفساد هواء

ورصوا الرجال مائة على طابق السفينة الاعلى، وهو صغير، رص السردين . ورصوا المائة الاخرى فى الطابق الادنى، فلقوا من ضيق المكان، وقذره، واحتباس الانفاس فيه، ما يذهب بصواب المهذب العاقل . ولكن هؤلاء كانوا قوما غير مهذبين . وهم من أمة عرفت الصبر على المكاره، واعتادت أن ترى النازلة تنزل فى البيت أو فى الجار فلا تبالى، ومن فضائلها النادرة انها لا تتألم مما يتألم منه سائر الخلق

وتحركت السفينة لتخرج الى البحر . وما خرجت حتى بدأت تحدث بها الاحداث . فقد اصاب الرجال دوار البحر فلم يبق فيهم رجل لم يفرغ . والافراغ يذهب بحرمة الرجال على السعة، فكيف به على الضيق . وبقيت المحنة ثلاث ليال ثم اقلعت .

وعندها استطاع الرجال أن يرفعوا رؤوسهم الى السماء بعد أن ظلت مخفوضة الى الارض . وبدا يأكل الجوعان

واكل الجميع الا اثنين، بقيا على السفينة جامدين لايتحركان. وجمع القبطان مجلسه، وذكر لهم

أن الرجلين مريضان ، وانهما في سبيل الموت ، والموت على السفينة لايستحب ، وعدا هذا ففيه الشؤم . وكان من عادة امثال هذه السفن انها ترسو في طريقها في جزائر صغيرة غير عامرة ، تلتقي عندها بسفن للزيت ، فتتزود بالوقود رخيصا. ورست السفينة عند احدى هذه الجزر ، وقيل للرجلين انزلا. ففرحا اول الامر فرحا شديدا ، أن ستمس رجلاهما الارض . ولكن ما كادا يعلمان اى ارض هي ، حتى صاحا يستغيثان . وابحرت السفينة تاركة اياهما لموت بطيء محقق .

ونظر ركاب السفينة الى الرجلين بعيون جامدة . ان الامر لا يعني منهم احدا . وعدا هذا ، فهم جميعا خرجوا لغاية مرجوة ، ولم يشأ احد منهم ان يسيء الى رجائه بعمل قد يعده اصحاب رجائه طائشا . انهم جميعا جزء من صفقة ، ورأى مدبرو امرها انه قد وجب لنجاحها التضحية باثنين من الرجال . فماذا في هذا ؟ ان هؤلاء الصينيين ، مدبري هذه الصفقة ، لم يفعلوا اكثر من مدبري صفقات كثيرة مثلها في امم اكثر ثقافة ، واكثر غنى. فيها يضحون، لابالرجلين، ولكن بالرجال عشرات ومئات والوفا . فكل ما يعاب على هؤلاء الصينيين فيما فعلوا انهم كانوا اكثر صراحة ، واقل لباقة ، من اضرابهم في امم اخرى

●

ومضت السفينة في سبيلها ليلا ، ومضت نهارا ، والريح معها . فما قاربت بوغاز «ملقه» حتى سكنت الريح واحتر الجو. ونال العطش من الرجال . وكانوا افرغوا حوض الماء الاول ، فاضطروا الى فتح الثاني . وما فتحوه حتى نابت النائبة

ففي نفس المساء مرض ثلاثة من الرجال . وما هي الا ساعات حتى ماتوا جميعا . وكان موتهم من السرعة بحيث لم يستطع ارباب السفينة ان يصنعوا بهم ما صنعوا بزميلين لهما سبقا . فاضطروا الى قذف اجسامهم في البحر لتأكلها كلابه . وقام بقذفها رجال تراءى في اعينهم الذعر مجسدا ، فلم يكن بينهم من لم يعرف امراض « الموت البارد » كيف تكون

ليس بين الصينيين شيء يخيف ، ويشيع الهلع ، كداء الكوليرا . وهو اذا وقع فيهم على الارض تفرقوا فيها وانتشروا ، فنشروا الداء حيثما ذهبوا . ولكن هؤلاء الرجال كانوا على سفينة ، فلم يكن في الامكان انتشار . من أجل هذا قبعوا على سطح السفينة ، وفي جوفها ، وسكنوا ، سكون الاصنام. واخفى كل راسه بين ركبتيه ، وليس في هذا الراس غير فكرة واحدة ، وسؤال واحد : على من يكون الدور في السقوط ؟

وكان سؤالا لم يطل جوابه . . فلم تأت ظهيرة اليوم الثاني حتى

سقط ستة . ولم يات مساؤه حتى سقط عشرون . وجاء الصباح بشمس محرقة ، كانت تدق رؤوس المرضى كأنها مطارق الحديد والحديد أحمر . والريح ساكنة ، ووجه البحر صفحة ملساء كصفحة الزيت ، تشقه السفينة شقا بما عليها من بضاعة خاسرة

ومضت ساعات تحركت بعدها الريح موافقة . ونظر القبطان فرأى ساحل سومطرة . وكان نصف البحارة مات أو هو في سبيل الموت . وكان نصف الركاب مات كذلك اوهو في سبيل الموت . ومعن لم يصبهم الداء قوم اصابهم الجنون

وادرك القبطان أنه لن يؤذن له بالدخول الى تلك الميناء التى ابصر ، فعرج يبحث عن ميناء اصغر واحقر . ووجده بعد ساعات . وبدا الامل واضحا في الخلاص . وتكوكب الرجال على ظهر السفينة ينظرون الارض وعيونهم تجرى بالدموع

ولكن تكوكبهم على ظهرها ، ثم قلة عدد الايدى الماهرة في تحريك السفينة ، جعل مجراها مضطربا . فاثار هذا الريبة في ناظريها من رجال السلطة الهولنديين في الميناء . فخرجوا اليها بالزوارق . وصاح صائح من احد الزوارق ، يترجم بالصينية عن سيده : « ما الخبر يا هؤلاء ؟ »

ولم يكن في حاجة الى جواب سؤاله . فقد اجابت عنه الجثث الكثيرة الراقدة . صرخت السفينة بكل ما فيها تعلن بلاءها للرياح الاربع

ووجب على السفينة ان تخرج من الميناء وتمضى الى سبيلها .. ولكن أى سبيل ؟!

واطلت من السفينة وجوه غائرة هالها ان تبلغ القسوة من الانسان هذا المبلغ . وصاحوا وصرخوا ، والدموع تنهمر ، وليس للدمع من راء ولا للصراخ من سامع . وأشاح الضابطان في الزوارق بوجوههم الما من واجب كان لابد من ادائه . قالوا ان ما بهذه السفينة من داء لابد ذاهب بسكان الجزيرة كلها لو انهم هبطوا فيها .. ولم يكن بالجزيرة محجر

●

ومضت السفينة لاتدرى لها وجهة . وخطرت للقبطان فكرة نيرة . انه لم يستطع ان يخدع الهولنديين ، فلعله يخدع الانجليز، واذن فسبيله الملايو

وجاءت ليلة حالكة ، فقد فيها القبطان مساعده الاول . وفي تلك الليلة ايضا جاء دور فتيينا ، ذلكما اللذين تركا القرية يطلبان الرزق ، ويطلبان لأبويهما الخير

ولنقدمهما الآن للقارىء فهذه هى الفرصة الاخيرة للتقديم . اما الاول فكان اسمه حاكيم ، واما الثانى فكان اسمه سوكيم . واصاب الداء سوكيم ، وكان قوى البنية، فغالبه مغالبة اذاقته

كاس الالم مترعا .. ونظر الى صديقه حاكيم ، فلوى عنه وجهه . لم يعد سوكيم له صديقا. لم يعد الا ضحية أخرى من ضحايا « الموت البارد »

واقتربت السفينة من الساحل مرة اخرى. فامر القبطان رجاله ان ينظفوا السفينة من كل اثر حتى لا تكون هناك ريبة . وعاد يقول : «من كل أثر . . أسمعتم ؟» واخذ الرجال يلقون بالجثث الى البحر . فلما فرغوا من الموتى ، بداوا ينظرون الى المرضى. فصاح بهم القبطان : « من كل اثر . . » فاخذوا يلقون بالمرضى ، فمنهم من قاوم ، فخدش وعض واعترك ، وبعض أسلم كأنما يحمل الى سرير . وكان آخر من القى به من المرضى سوكيم . وصاح بصديقه لينجو به مما فيه ، فما رد له الصديق صياحا . ورموا به الى البحر .. فجرت في ظهر صاحبه مما راى رعدة

ونظر اليه في البحر فاذا به يصرخ فجاة ، وقد علا فمه رغاء كثير . ونظر فرأى في الماء وراء صاحبه ست زعانف سوداء ، فعرف سر ما أصرخه

●

واقتربت السفينة من الميناء المطلوب ، ميناء كلانج . ودخلته ومن حولها فرقة تخفرها لم تخطر لها ببال ... اجسام الموتى الطافية . كانت الريح سكنت ، ولكن تحرك الماء . وحمل التيار السفينة وما حمل البحر . دخلت الميناء وعلى ظهرها البراءة، ومن حولها التهم

وكان الهولنديون ابرقوا للانجليز فعلموا بالذى فيها

فما اسرع ما احاط رجال الميناء بالسفينة . وحرصوا أول شيء على جمع الجثث الطافية . ودفنوها مع جير كثير. ثم قادوا السفينة الى حيث المحجر. وفيه انزلوا الاحياء . ومات في المحجر منهم ثلاثة ، وصح الآخرون . ورأوا الحياة من بعد ما رأوا الموت . وعرفوا الامل من بعد ضياع الامل

وعمل حاكيم في منجم على غير ما قدر . وكسب كثيرا وارسل الى القرية ما فاض

ووقف ذات يوم وهو مستند الى فأسه ، يذكر ما كان . وذكر صديقه في القرية ، وذكره في الطريق الى كانتون ، وذكره في السفينة ، وذكره في الماء ، وحين تناوشته الاسماك ، وظل ساهما ساعة لم تطل . ثم رفع فأسه عاليا وهوى بها يدق الارض

احمد زكي

لقمان الحكيم

سئل لقمان يوما : « ممن تعلمت الحكمة ؟ »
قال : « من الجهلاء .. فكلما رايت عيبا فيهم ، تجنبته »


« مطلوب آنسة فرنسية
للاهتمام بتربية فتى صغير » ـ
ظهر هذا الاعلان في إحدى الصحف
فمن نشره ، وماذا كانت النتيجة ؟

جنون الحب

جعلت «مونك مرتيل» تنظر حواليها معجبة بذلك الشاطىء الذى يتقدم الزورق نحوه مسرعا فوق الامواج الخفيفة . وسالها الرجل القابض على المجاذيف :

ـ هل تنوين الاقامة طويلا فى بلادنا أيتها الآنسة ؟

ـ لا أدرى . . أننى قاصدة الى بلدة فى الداخل . . .

وتمهلت الفتاة برهة ، ثم قالت :

ـ لاشك فى ان البحارة أمثالك سعيدون فى هذه البقعة من الارض !

لم يفهم الرجل لماذا تعتقد تلك الفتاة الغريبة انه سعيد وان زملاءه البحارة سعداء . فسالها :

ـ لماذا ؟

ـ لانكم تعيشون بين هذه المناظر الخلابة !

واشارت الى الشاطىء حيث الغابات الجميلة والاشجار الباسقة وهز الرجل راسه ، لان هذه المناظر التى ألفها ، فى تلك الجزيرة الصغيرة ، لم تعد تثير فى نفسه اى شعور . وأردفت الفتاة :

ـ ارجو ان تعنى بحقائبى وانت تنقلها من الزورق الى المرفأ

ـ اطمئنى . فهذا عمل نتقنه هنا . . !

قفزت مونك مرتيل الى البر ، وقفز وراءها الرجل ، ووضع امامها الحقائب سليمة . وسألت الفتاة :

ـ الا توجد سيارة تستاجر فى هذا المرفأ ؟

ـ ابحثى عن صديقنا «فريد» صاحب الحانة القريبة . فهو الوحيد الذى يملك سيارة لنقل السائحين

ـ ومن يدلنى على حانته ؟

ـ الحمالون

ـ شكرا

ولحقت الفتاة بالحمالين الزنوج ، الذين اوصلوها بعد دقائق الى حانة فريد . . .

*

قطعت السيارة الصغيرة الطرقات الجبلية ، يقودها فريد نفسه ، الذى لزم الصمت ولم يتكلم أكثر من مرتين . . المرة الاولى لطلب أجرة السيارة مقدما ، والمرة الثانية عندما وقفت السيارة أمام منزل ريفى

منعزل ، فقال فريد :

ـ هـذا هو منزل المسيو لينيو !

استغرقت الرحلة اكثر من ساعة . ووصلت مونك الي ذلك المنزل ، فترجلت ، واستقبلتها بالباب سيدة متقدمة فى السن ، ترتدى ثيابا بيضاء ، فسألتها الفتاة :

ـ مدام لينيو ، اليس كذلك ؟

ـ نعم يا ابنتى ، مدام لينيو بنفسها ...

ثم فكرت المراة قليلا ، وقالت مخاطبة مونك ، وهى تنظر الى الحقائب :

ـ انت بائعة متجولة يا ابنتي؟

ـ بائعة متجولة ؟ كلا يا سيدتى ! انا الآنسة مونك مرتيل !

ـ مونك مرتيل ؟

من تكون مونك مرتيل هذه ؟ ان مدام لينيو لاتعرفها ، ولاتذكر هذا الاسم ، ولا تفهم ما الذى دعا هذه الفتاة الى زيارتها فى بيتها المنعزل ...

ـ اواثقة انت يا ابنتى من انك تقصدين الى هنا ، الى هذه الدار ، الى بيت مدام لينيو ؟

ـ نعم يا سيدتى ! نعم يا مدام لينيو ! انا المعلمة التى طلبتها للاهتمام بتربية ابنك !

وتضاعفت دهشة مدام لينيو ، فقالت فى شيء من الذهول :

ـ ما هذه المهزلة المضحكة !

وساد صمت قصير ، علا فيه الاحرار وجه الفتاة .. ولكنها ملكت نفسها ومدت يدها وهى ترتعد الى حقيبتها الصغيرة ، واخذت منها خطابا وضعته امام انظار مدام لينيو ، وهى تقول :

ـ يدهشنى يا سيدتى ان تخونك الذاكرة الى هذا الحد ، بعد ان بعثت الى بهذا الخطاب ، تطلبين منى فيه أن اسرع الى هنا ...

اخذت مدام لينيو الخطاب من يد مونك ، والقت نظرة عليه ، وقالت بدهشة متزايدة :

ـ لكننى لم اكتب اليك هذا الخطاب ايتها الآنسة ، ولا علم لى به على الاطلاق !

وقرات الخطاب مرة بعد مرة ، واضافت قائلة :

ـ ان هذا التوقيع ليس توقيعى ... لقد قلدوه ... ان كاتب هذا الخطاب على الآلةالكاتبة وضع اسمى فى ذيله بخط يده

تحول احرار مونك الى شحوب، ووقفت مرتجفة لا تفوه بكلمة . غير ان مدام لينيو اشفقت عليها ، فامسكت ذراعها ، وادخلتها الى البيت، وقادتها الى الشرفة المطلة على الحديقة ، وهى تقول :

ـ لا تضطربى ايتها الآنسة .. فالمسالة ليس فيها ما يدعو الى ذلك . وهى لا تعدو أن تكون مزاحا ، فان شخصا قليل الذوق اراد ان يلهو بك ، فكتب اليك هذا الخطاب . واننى لآسفة لانه استخدم اسمى لهذا الغرض ، فاشتركت انا فى المهزلة عن غير قصد وبلا علم منى . وستعالج

هـذا الامر ونهتك الستار عن الحقيقة . ولكن قولي لي أولا : «كيف واين تلقيت هذا الخطاب ؟»
فرفعت مونك مرتيل عينين تغشاهما الدموع ، ونظرت الى وجه مدام لينيو الذى ارتسمت امارات العطف عليه ، وروت قصتها فقالت :
ـ انا يتيمة يا سيدتي.. فقد ماتت امي ، ومات ابي ، دون ان يتركا لي شيئا ، فاصبحت فقيرة معدمة . واردت ان اعمل لاعيش ، فنشرت في جريدة « نوميا » اعلانا أبديت فيه استعدادى للاهتمام بتربية الاطفال والاولاد والسهر على تعليمهم . وطفت المدينة اطرق الابواب واعرض نفسي كبائعة ، او كاتبة ، او وصيفة ... فان نوع العمل لم يكن يهمني، وانما كان يهمني فقط أن اجد ذلك العمل أيا كان لاضمن قوت يومي. كنت اريد أن اعيش فقط ... وذات يوم ، تلقيت بالبريد خطابا من جزيرة «هبريد» والخطاب موقع عليه باسم « مدام لينيو» من بلدة تانا ، وهي تعرض على أن اكون مربية لابنها بشروط طيبة ، وتلقيت مع الخطاب مبلغا من المال لنفقات السفر . وذلك الخطاب هو الذي قرأته منذ لحظة يا سيدتي . هل كان في وسعي ان اتردد لحظة في القبول ؟ وكيف يمكن ان اشك في الخطاب ، وفي النقود المرسلة ؟
في هذه اللحظة ، فتح الباب ، ودخل شاب قوي البنية جهوري الصوت طويل القامة ، وصاح قائلا :
ـ اماه !..
ثم رأى الفتاة فوقف مندهشا وتمتم معتذرا... لكن مدام لينيو ضحكت وخاطبت الفتاة مشيرة الى الشاب :
ـ ابني الوحيد !.. تقدم يا هنري ... تقدم لكي أعرفك على مربيتك !
ـ ماذا ؟..
زادت دهشة الشاب، ولم يفهم ما تقصده أمه ، وخيل اليه انها تمزح .. ولكنها أخذت الخطاب من مونك مرتيل ، واعطته لابنها طالبة منه ان يقراه ليدرك كل شيء . فقرأ الشاب الخطاب ، واستغرق في الضحك
ـ هذا غريب ! غريب جدا !.. لقد قلت لي اكثر من مرة يا اماه انني اخالف قواعد التربية المثلى في بعض تصرفاتي، ولكنني ما كنت اظنك ستكلفين مربية بالاشراف علي ، وانا في الخامسة والعشرين من العمر !
ولكنه فطن الى اضطراب الفتاة ، فخاطب أمه سائلا :
ـ قصي علي الحادث ..ما هذا ؟
ـ هذه الفتاة يا بني ضحية مزاح سمج. ويجب الا نضحك ، بل ينبغي أن نرثى لحالها
وقصت الأم على ابنها حادث الفتاة والاعلان والخطاب . فقال هنري :
ـ هل كان الخطاب مرسلا من بلدة تانا هذه ؟ وحوالة البريد ،

هل كانت مرسلة من مكتب تانا ايضا ؟

ـ نعم ... اننى لم احتفظ بالظرف ، ولكننى قرات خاتم المكتب واضحا عليه

ـ فلا يمكن أن يكون مرسل الخطاب اذن احد المقربين اليك .. الا تعرفين احدا فى تانا ؟

ـ أبدا ..!

وهنا تناولت الفتاة من حقيبة يدها قصاصة من جريدة :

ـ هذا هو الاعلان الذى نشر فى الصحف

قرأ هنرى الاعلان : « مطلوب فتاة فرنسية للاهتمام بتربية فتى صغير » ، ثم قرأ الخطاب ، وامعن النظر فى التوقيع : « مدام لينيو ! »

ـ أيا كان فاعل هذا « الفصل البارد » ، فاننى لا ادرك الفائدة منه ، أو الغرض الذى هدف اليه ، ولماذا اراد أن يبعث بك الى هذه الجزيرة ، والى هذه البلدة بالذات

فقالت مدام لينيو :

ـ المسألة كلها مزاح ثقيل !

وبكت مونك مرتيل :

ـ مزاح ثقيل ، نعم .. وصادر عن شخص قاسى الفؤاد .. فماذا يكون مصيرى فى هذه الجزيرة ، التى لا اعرف فيها احدا ، ولا يعرفنى احد !.. والسفينة التى جئت بها لا تعود الى هنا قبل ثلاثة أسابيع !

فربتت مدام لينيو على كتف الفتاة ، وهدأت من روعها قائلة بصوت رقيق :

ـ لست وحدك هنا يا ابنتى . ففى هذه الاسابيع الثلاثة ستكونين فى ضيافتى ...

والتفتت الى ابنها :

ـ فى ضيافتنا ، اليس كذلك يا هنرى ؟

ـ نعم يا اماه ..

*

مرت الايام فى منزل اسرة لينيو حيث حلت مونك ضيفة على الأم وولدها ، وكانت الفتاة تخرج كل يوم مع الشاب للطواف فى الحدائق والمزارع المحيطة بالدار ، والتى كان هنرى يشرف على زراعتها واستغلالها . وكان فى طوافه مع الفتاة يشرح لها كيفية العمل ، ويروى لها كيف اشترى ابوه تلك المساحة من الارض فى جزيرة هبريد ، وكانت قاحلة جرداء ، فجعل منها جنة فيحاء . وكانت الفتاة تهتم بحديثه ، وتهتم بشخصه خاصة !

اسبوع ! عشرة أيام ! اثنا عشر يوما ..! الوقت يمر ، ومونك مرتيل تحصى الايام الباقية ويزداد قلقها ساعة بعد ساعة .. ستمر الاسابيع الثلاثة بسرعة ، ولا بد بعد ذلك من الرحيل !

وفى صباح ذات يوم ، كانت مونك تسائل نفسها ـ كما كانت تفعل كل يوم ـ كيف السبيل الى البقاء !

ناداها هنرى كعادته ، فلحقت به ، وبدءا طوافهما بين الاشجار والرياحين

وقالت مونك وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة فيها شيء من المرارة وخيبة الامل :

ــ ستنتهي الاسابيع الثلاثة قريبا !

لم يجبها هنري في الحال . . بل سكت لحظة ، ثم قال :

ــ ان تانا بلدة صغيرة اشبه بالسجن ... نعم انها سجن جميل ، ولكنها سجن على كل حال . لو بقيت فيها طويلا لداخلك الضجر يا مونك !

ــ الضجر ؟ لماذا ؟ . . لن يداخلني الضجر هنا . .!

ولكنها ندمت على تسرعها في الافصاح عن رغبتها في البقاء . . وارادت ان تصلح ما فات فقالت :

ــ آه . . لو كانت توجد دار للسينما في هذه البلدة !

ــ اذن لغدت الحياة اكثر مرحا مما هي الآن !

وفطنت مونك الى ان شيئا من الاضطراب استولى على الشاب ، وان يده ارتجفت وهي تلمس يدها ، وان الحديث عن الرحيل وعن السينما لم يرقه كثيرا

وساءلت نفسها : « هل طرق الحب قلبه ، أم لم يطرقه بعد ؟ »

*

عاد الشابان الى البيت ، وكانت مدام لينيو منصرفة الى بعض الشؤون المنزلية ، فاسرعت مونك الى المكتبة وحبست نفسها فيها

ارادت ان تبقى وحدها ، في عزلة تامة ، وفي مكان تستطيع فيه أن تفكر في هنري ، وفيما هي مقدمة عليه في الايام التالية . .

وأي مكان اصلح لهذا كله من مكتبة هنري ، حيث صفت الكتب بنظام ، وحيث يقضي الشاب كل يوم بضع ساعات من وقته ، في الدرس والمطالعة ، بعد ان تأوي أمه ومونك الى حجرتيهما ؟

مرت الفتاة بيدها على مسند المقعد الذي يجلس عليه ، مقعده هو ، وجلست امام المكتب الذي يعمل عليه وجعلت تقلب الاوراق والملفات والكتب ، التي تقلبها اصابعه كل يوم ساعات تلو ساعات

لكنها شعرت فجأة بضيق في صدرها ... وأدركت مونك مرتيل انها دفعت نفسها في طريق غير قويم ... فزالت الابتسامة عن شفتيها ، وتمتمت قائلة :

ــ لا . . لا . . لا يحق لي ان افعل هذا ! . . ان ما أفعله تخالف لمبادىء النبل والشرف !

وطفرت دمعتان من عينيها ، فرفعت يدها تمسحهما في اللحظة التي دخل فيها هنري الى مكتبه ، فرأى الفتاة تبكي !

ــ مونك ! . . ما بك ؟

لم ترد عليه . . فانحنى على كتفها وكرر السؤال :

ــ ما بك ؟ ولماذا تبكين ؟

فالتفتت الفتاة اليه فجأة ، وقالت :

ــ آه ، لو كنت تعلم ! لو كنت

تعلم لما رثيت لحالي ... بل لاحتقرتني يا هنري !

فقبض بيديه على كتفيها واجاب بلا مواربة :

ـ انني اعلم يا مونك !

فانتفضت الفتاة ، وحدقت فيه البصر :

ـ لا يمكن .. هذا محال .. انت تعلم ؟

ـ نعم ، اعلم كل شيء ! فقد اردت ان اكشف السر عن ذلك الخطاب الذي ارسل اليك باسم والدتي ، فقمت ببحث واستقصاء دقيقين ، لدى ادارة البريد في الجزيرة . وكانت النتيجة واضحة جلية لا شك فيها .. لم يرسل خطاب من مكتب البريد في تانا ، ولا من اي مكتب آخر في الجزيرة كلها . ولم تصدر حوالة مالية من تلك المكاتب الى مدينة نوميا في الاشهر الثلاثة الاخيرة . فالنقود لم ترسل اذن اليك من تانا او من اية بلدة اخرى في جزيرة هبريد . ومنذ يومين ، رأيتك تنسخين قائمة حساب لوالدتي ، فدهشت للشبه العظيم بين خطك وخط الشخص الذي وقع على الخطاب باسم والدتي . فادركت يا مونك انك انت كاتبة الخطاب ، وانك اختلقت مسألة الحوالة المالية اختلاقا ... فهمت هذا ، ولكن الشيء الذي لم افهمه ، ولم احاول ان افهمه ، هو السبب الذي دعاك الى هذه الخدعة !

بدت على مونك مرتيل دلائل اليأس ، وخارت قواها ، وهي تقول :

ـ هنري ... كان بودي ان اذهب عائدة الى نوميا دون ان اطلعك واطلع والدتك على حقيقة ما حدث ! كان هذا خيرا . . ولكن ، ما دامت الظروف لم تساعدني على انقاذ الموقف بمظاهر كاذبة ، فانني سأقص عليك مأساتي ، وسأكون معك صريحة كما كنت انت معي صريحا . نعم .. لقد اصبت .. لم تصلني رسالة من والدتك ، ولم يصلني منها حوالة مالية .. وكل هذا اختلاق في اختلاق ! ففي الصيف الماضي كنت انت في نوميا ، وحضرت حفلة ساهرة في احد الفنادق . رأيتك في تلك الحفلة ، وحاولت ان الفت نظرك الي . لكنك كنت مشغولا بغيري . وكان المدعوون رجالا ونساء يحيطون بك . لم تنتبه انت الي ، ولكنني انا انتبهت اليك . سألت بعض الاصدقاء فحدثوني عنك ، عن حياتك في تانا ، عن اعمالك ، عن صفاتك . هل احببتك منذ تلك اللحظة ؟ هل شعرت نحوك بعاطفة غير عاطفة الحب ؟ لا ادري .. وانما الذي اعلمه ، هو انني اقدمت على فعلتي هذه دون ان افكر في عواقبها ، فنشرت اعلانا في الصحف ...

سكتت مونك مرتيل ... فشجعها هنري على المضي في حديثها ، فاستأنفت رواية المأساة :

ـ نشرت الاعلان في الصحف . وكتبت الخطاب على الآلة الكاتبة ، ووقعت عليه باسم امك ، وجمعت كل ما تبقى في جيبي من نقود ودفعت اجرة السفر ، ثم ادعيت ان الخطاب كان مرفقا بحوالة مالية . وصلت الى هنا ... فاستقبلت بالترحاب ، وفتحت لي امك بيتها وذراعيها . ومرت الايام ... ماذا كنت انتظر وآمل ؟ ان اثير في صدرك عاطفة الحب نحوي ؟ ان استهويك واوقعك في حبائل غرامي ؟ لقد شعرت بعد فوات الوقت بانني اقدمت على عمل جنوني ، وانني كنت على خطأ ، وان ليس لي الحق في ان انتزع الحب انتزاعا من صدر شاب لا يحبني .. فالحب لا يقتنص بالقوة والعنف . انني خسيسة ذميمة .. اشعر بذلك وادركه . لقد كنت عازمة على الاحتفاظ بسري ، والرحيل عن هذه البلدة بغير ان افوه بكلمة تخون عواطفي وتلقي النور على حقيقة امري ، وكان عزائي الوحيد ان اترك في نفسك اثرا طيبا وذكرى حسنة للفتاة التي استضفتها ثلاثة اسابيع . لكن الاقدار شاءت غير هذا ، فكشفت السر انت قبل ان ابوح به انا . فانفضح امري ... سامحني !

اصغى هنري بهدوء وسكون لاعترافات الفتاة ، ثم اخذ يديها بين يديه وقال :

ـ اذن هذا ما حدث ، ايتها الفتاة الطيبة القلب ؟ !

وضمها الى صدره واستطرد قائلا :

ـ اتظنين انني سأحمل موجدة عليك بسبب كذبة اقدمت عليها ، وقد فتحت امامنا نحن الاثنين ابواب السعادة ؟ انني احفظ لك اطيب الجميل يا مونك على ذلك العمل الذي تسمينه جنونيا . فقد رأيتني في تلك الحفلة الساهرة ، ولكنني لم ارك ولم انتبه اليك ، وهكذا مررت بالقرب من سعادتي دون ان اشعر بها ، ولولا جرأتك ، لما كنت انا الآن اسعد الناس !

سكت هنري .. واذا بالجرس يدق داعيا اهل البيت الى العشاء ، ودخلت مدام لينيو فرأتهما معا ، فقالت :

ـ اما انتهى العاشقان بعد من التناجي ؟

كان صوت الأم التي ادركت كل شيء ، ايذانا بأن مرحلة جديدة قد بدأت في حياة ابنها وحياة الفتاة التي ارادتها الاقدار رفيقة له في تلك الحياة . فتبادل هنري ومونك قبلتهما الاولى ، بينما كانت الأم تبتعد متجهة الى قاعة الطعام . وتمتم هنري في اذن مونك

ـ حبيبتي !

[عن « جورج فيدال »]

نجوم لها قصص !



ما أكثر المآسي التي تختفي وراء أنوار هوليود الساطعة .. ان لكثير من النجوم قصصاً ، تمتزج فيها الدموع بالابتسامات . وعلى هذه الصفحات نقدم ثلاث قصص لثلاث نجمات ، واجهت كل منهن الجماهير بابتسامة ، وإن كانت في قرارة نفسها أبعد ما تكون عن الابتسام !

١ — اسيرة المخدرات

اشتركت « بفرلي شو » النجمة الذائعة الصيت ، في سن الثامنة عشرة ، في مسابقة للفوز ببطولة الجمال في الولاية التي كانت تعيش فيها بامريكا .. وبعد ذلك بقليل رشحت نفسها للفوز بلقب « مس امريكا » . وقبل ان تبلغ التاسعة عشرة من عمرها تعاقدت معها احدى الشركات السينمائية المعروفة ، فارتفعت الفتاة الى مصاف كبار الممثلات

واحتفالا بها اقام لها اصدقاؤها والمعجبون بها وليمة فاخرة في احد فنادق نيويورك الكبيرة ، وهنا نترك لها المجال لتروى قصتها ، وما جرى لها في تلك الحفلة الساهرة :

« كان القائمون بهذه الحفلة لفيفا من الممثلين والممثلات .. كمن الشيطان في صدورهم ، فلم يراعوا تقليدا ، ولم يرعوا حرمة. وكنت في ذلك الحين ساذجة جاهلة ، فخيل الى أن التهتك والاستهتار والاندفاع الى الوان المتعة واللذة ، من مقتضيات العصر الحديث . ورايت احدهم يتطوع بحقن كل الحاضرين بنوع من المخدرات . ولما جاء دورى خفت في باديء الامر ، ولكنني لم اجرؤ على الرفض ، لئلا يقال انني اتصنع الحشمة ، وارتدى قناعا من الحياء الكاذب . وما كادت هذه الجرعة تأخذ طريقها في الوريد ، حتى شعرت بموجة من السرور والابتهاج تشع في نفسي . ومنذ ذلك الحين اصبح الهروين والمورفين لا يفارقاني لحظة واحدة ، بيد انني كنت شديدة الثقة بقوة ارادتي ، ظنا مني ان في وسعي نبذها متى شئت

« وبعد ثلاثة اشهر اصبحت اسيرة المخدرات وامتها الذليلة المطواعة .. واصبح كل عصب من اعصابي ، وكل جزء من



بفرلى شو . . أسرت الجماهير بفنها . . وأسرتها المخدرات بسلطانها

جسمى ينادى فى طلب المخدرات ، فاذا حاولت عصيان أوامرها ، وعدم الاستجابة لرغباتها ، أصابتنى نوبة من الجنون ، فانطح الحائط براسى ، واطعن نفسى بمدية ، وينتابنى عذاب قاتل ينتهى بتغلب الشر على الخير ، وانهزام الارادة أمام العدو القاتل الجبار

« وتطورت الحالة من سىء الى أسوأ ، ففقدت كل شهية للأكل ، وكل رغبة فى النوم ، واضطررت الى دخول المستشفى للعلاج ، فلم يجد علاج ولم يفلح دواء .

وغادرت المستشفى وتركت عملى نهائيا ، ورحت اهيم على وجهى ، أسعى الى الكهوف والسراديب ، والمخادع السرية القذرة التى يرتادها المدمنون

«وبينما كنت ذات يوم خارجة من زقاق حقير فى احد الاماكن المهجورة فى مدينة نوستن ، وقد لعب المخدر برأسى ، امسك بى رجال البوليس ، ثم حكم على بقضاء سنتين فى اصلاحية المدمنين ، كدت اجن فى خلالهما ، وقد طار عقلى شعاعا . وبكيت وتوسلت اليهم بكل ما لدى من قوة ، ان يمنحونى جرعة تهدىء اعصابى ، فلم أجد الا آذانا صماء

«وبعد اطلاق سراحى تزوجت ، ثم اتهمت بتهمة كنت بريئة منها فطلقت . ولما لم اجد عملا عدت الى الادمان ، وسجنت المرة بعد المرة .. وفى المرة الخامسة عيرنى الجندى المنوط بحراستى بقوله : ان المدمن لا يتوب .. فتحديته ، ولجأت الى الله مستغيثة .. وقد كنت لا اومن به ، وبدأت اكافح واناضل واصلى . وكان الكفاح شديدا مضنيا .. ولكنى كنت قد عقدت النية على أن انتصر هذه المرة .. واعاننى الله ، واجتزت المحنة !

« واخيرا غادرت السجن انسانا جديدا ، واشتغلت محررة فى صحيفة ، اكتب المقالات والنصائح لمدمنى المخدرات . ثم وهبت نفسى لمساعدة اولئك البؤساء ، واتصلت بطبيب الصحة وتعاونت معه على خدمتهم .. فاصبحت أواصل ليلى بنهارى فى زيارة اصلاحيات النساء ، اللائى استجبن لشيطان الغواية .. واسدى اليهن النصح والارشادات . وصرت أجد لذة كبيرة فى ان اقضى ساعات طويلة مع المدمنين ، اتحدث اليهم ، واشجعهم على فتح صدورهم لى ، وسرد قصصهم على مسامعى

« ومن العبارات التى اعتدت ان ارددها امامهم ، ووجدت أن لها صدى فى نفوسهم ، قولى لهم : لقد روضت نفسى على نسيان الامس ، لأن الامس لا يعود . اما الغد فقد لا يجىء .. لهذا اوجه كل همى الى اليوم ، واعيش للحاضر . وبهذه العقيدة قضيت على عدوى .. وبهذه العقيدة يستطيع كل واحد منكم ان يقضى على عدوه »

٢ ــ تعيش ٧ سنوات فى اكذوبة !

تروى هذه القصة النجمة السينمائية ديل إيفانز ، وفيها تتحدث عن سر أخفته ٧ سنوات !

●

ليس أشق على فتاة من ان تعيش بهوليود فى اكذوبة لمدة سبع سنوات .. ولكن هذا ما فعلته ..! فقد اضطررت الى ان اقدم ابنى لأصدقائى ومعارفى على انه أخى الاصغر !

وقد حدث فى حفلة اقيمت فى

ليلة عيد الميلاد ان حضرت نجمات من صديقاتي ومعهن ابناؤهن وبناتهن .. فشعرت بالالم يحز في نفسي عند ما التقت نظراتي بنظرات ابني !

وذهب بعد هذا الى الخدمة العسكرية . وكم كان بودي أن انظر الى الناس في تيه وفخر ، واقول : « هذا هو ابني » .. ولكني لم اجرؤ

واخيرا قدر لعذابي ان ينتهي .. فقد كنت استمع الى الراديو ذات ليلة وكانت المذيعة تقدم نشرة اخبارية عن هوليود وكواكبها . وفجأة ذكرت اسمي ثم استرسلت تذيع مني خبرا وقع فوق راسي كالصاعقة ..

قالت : « ان الفتى الذي يعيش معي في بيتي ابني وليس اخي ! »

صعقني كشف السر واذهلني ، في حين نظر هو الى — وكان معي — نظرة اشفاق . ولكنني عند ما افقت من الصدمة حمدت الله على أن هذه الاكذوبة قد انتهت

ولاكشف الآن عن سبب التجائي اليها ..

في عام ١٩٢٦ .. كنت في الرابعة عشرة من عمري ، اعيش مع اهلي في ولاية اركنساس . ووقعت وقتها في غرام شاب من طلبة المدارس العليا اسمه توماس فوكس ، فتزوجت منه في يناير عام ١٩٢٧ . وفي اواخر العام انجبت ابني توم فوكس الصغير. ولم يلبث زوجي أن مات بعد مولده بسنتين ، فاضطررت الى أن اعمل لاكسب عيشي

وذات يوم استدعاني مدير شركة التامين التي كنت اشتغل بها ، وظننت انه سيطردني ، ولكني عند ما دخلت الى مكتبه ، قال لي : انه سيقدمني للاذاعة في الراديو — اذا كنت أجيد الغناء — مع احتفاظي بوظيفتي في الشركة

ونظرا لانشغالي في الاذاعة ، فقد تكفل اهلي بتربية ابني الذي سافر معهم الى ولاية تكساس . وشعرت بعد مدة قصيرة انني لا أطيق فراقه ، فاعتزلت عملي ، ولحقت به

ولكني عدت الى الاذاعة ثانيا ، واصطحبته معي هذه المرة الى بلدة « والاس » التي كنت اذيع من محطتها . وفي هذه البلدة التقيت بموسيقار قدم لي معاونات كثيرة ، وانتهت علاقتنا بالزواج

وحدث ان سمع احد رجال هوليود صوتي في الاذاعة ، فجاءني يقول : ان شركة بارامونت تبحث عن فتاة تظهر امام بنج كروسبي في احد افلامه ، وطلب مني بعض صوري واسطواناتي

فلما استدعيت للسفر الى هوليود في عام ١٩٤١ ، حذرني مندوب الشركة من ان اذكر شيئا عن ابني ، لئلا يؤثر ذلك على مستقبلي في السينما ، واقترح علي ان اقدمه على انه اخي

وهكذا ابتدات اعيش في هذه الاكذوبة مرغمة . ثم تعاقدت مع شركة فوكس للظهور في احد افلامها ، وظللت احتفظ بالسر الذي كان يتوثب الى الانطلاق من صدري . وكنت في نفس



ديل إيفانز .. انتهى عذابها عند ما افتضح سرها

الوقت اعيش فى خوف من أن يكشف أحد مخبرى الصحف السر فيذيعه

وافترقت عن زوجى بعد ذلك بالطلاق ، ثم انضممت الى شركة « ريبابليك » التى لا ازال أعمل معها . وكان ابنى يعيش معى طوال هذه المدة فى هوليود على انه أخى !

ولكن كل اكذوبة مصيرها الافتضاح .. وهكذا أراحتنى محطة الاذاعة من عبء الاحتفاظ بسر كان يؤلمنى بقدر ما كان يخيفنى

٣ ـ غراميات لانا تيرنر

لم تتحدث هوليود عن غراميات نجمة من نجومها ، كما تحدثت عن غراميات لانا تيرنر ، التى تم زواجها اخيرا من احد اصحاب الملايين فى امريكا

وليست هذه هى المرة الاولى التى تتزوج فيها الممثلة الفاتنة ، فقد سبق لها ان تزوجت ثلاث مرات . ولها من زوجها الثالث ابنة فى الثامنة من عمرها

وكان اول من اقترن اسمه باسمها من بين نجوم هوليود ، الممثل المعروف ترهان بك .. وقدكان غرامهما مضرب المثل فى عاصمة السينما . وكان رأى الاثنين قد استقر على الزواج ، وحددا له موعدا . ولكن هوليود فوجئت قبل الموعد باسبوعين بانتهاء كل علاقة بين العاشقين !

وسافرت لانا بعد ذلك الى « اريزونا » لتخفف عن نفسها وقع هذه الصدمة

ولم يمض وقت طويل حتى بدا اسمها يقترن باسم النجم المعروف تايرون باور .. فقد التقى الاثنان فى حفلة اقامها احد المنتجين ، ولازم كل منهما الآخر طوال السهرة

وفى حفلة أخرى التقيا ثانيا ، وكان حديثهما عن الادباء ومؤلفاتهم .. وابدت لانا اعجابها بمؤلفات جبران خليل جبران ، بينما اثنى تايرون على مؤلفات سومرست موم . وكان ميلهما المشترك الى الادب والقراءة سببا فى اشتعال جذوة الحب بينهما

وسرعان ما انتشرت اشاعة قرب زواجهما . وعزز هذه الاشاعة سفرها الى المكسيك مع تايرون الذى قصدها لتصوير بعض مناظر فيلم جديد له

وشوهدا بعدئذمعا فى مجتمعات هوليود . وقد صرحت لانا وقتها لاحدى صديقاتها من الصحفيات قائلة : « بالطبع اريد أن اتزوج ثانيا ، فانا اريد اطفالا آخرين يؤنسون وحدة ابنتى »

وفجاة سافر تايرون فى رحلة بطائرته زار فيها بعض اقطار أوربا ، ثم طار الى السودان ، ورجع قافلا الى امريكا .. وكانت لانا فى استقباله بالمطار ، فذهبا الى بيت احد الاصدقاء حيث دار بينهما حديث طويل لم يعرفه أحد .. ولكن الجميع عرفوا نتيجته .. وهو افتراقهما

وهكذا انتهت قصة غرام اخرى .. لتفسح الطريق بعد وقت ليس بالطويل لقصة جديدة .. فقد التقت لانا فى نيويورك بالمليونير بوب توبنج ، الذى دعاها لقضاء راس السنة هى وامها وابنتها فى مزرعته بولاية « كونكتكت »

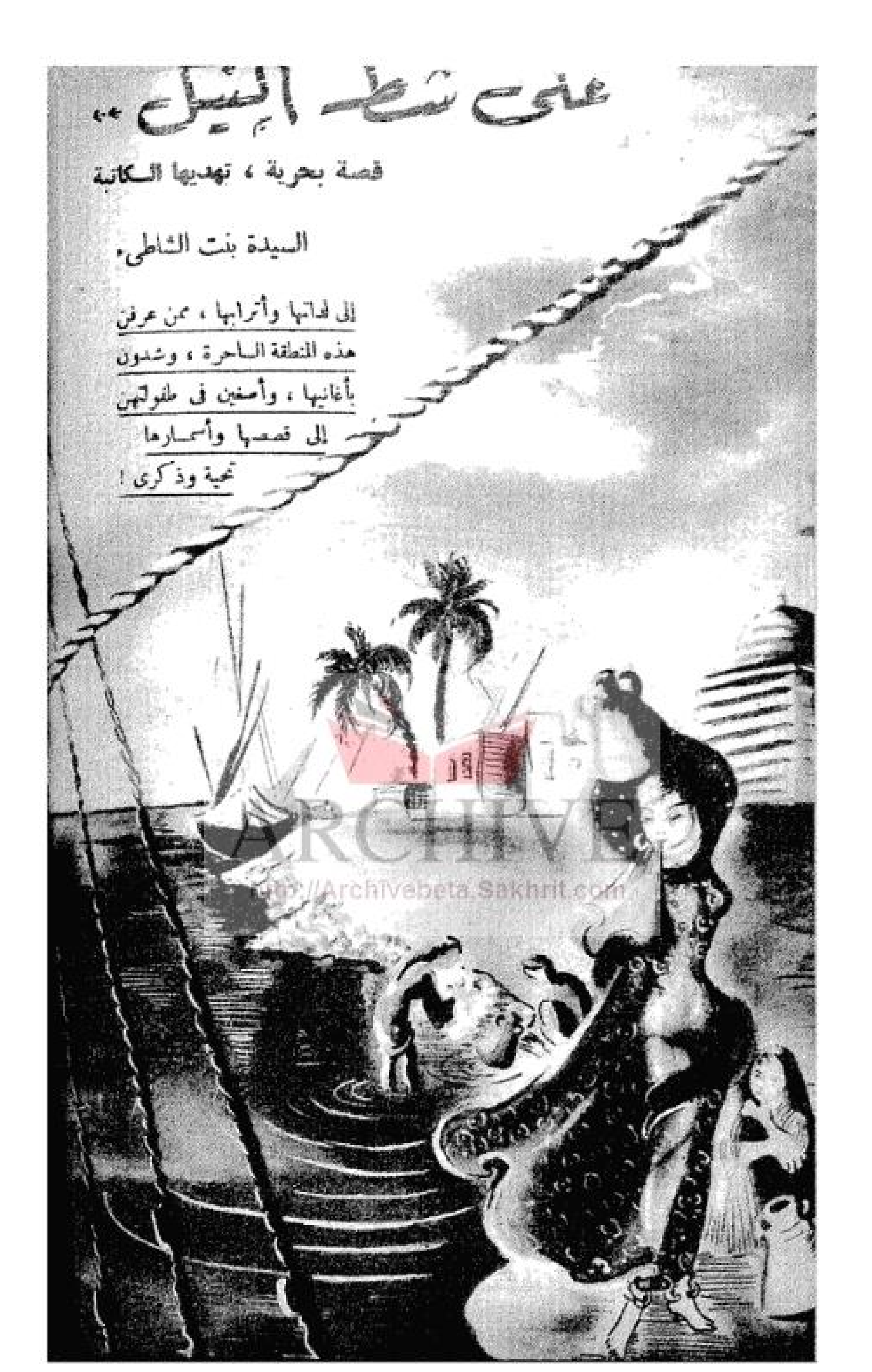
وشعرت لانا بان بوب يوليها اهتماما غير عادى .. وقد اهداها هدايا ثمينة ، وجعل يعطف على ابنتها



لانا تيرنر .. شغلت هوليود بأنباء غرامياتها المتعددة

وكان بوب منفصلا عن زوجه ولكن اجراءات الطلاق لم تكن قد تمت بعد ، وعلمت زوجه بعلاقته بالنجمة الحسناء ، فلم تقبل الطلاق الا بعد ان وصل المبلغ الذى عرضه عليها الى نصف مليون دولار !

وقد تم الزواج الجديد من غير ان يعوقه عائق .. فكانت المرة الرابعة التى تتزوج فيها لانا تيرنر ، كما كانت المرة الرابعة ايضا التى يتزوج فيها بوب توبنج ! فهل تكون المرة الاخيرة لكل منهما ؟ من يدرى ؟ !


على شط النيل **
قصة بحرية ، تهديها الكاتبة
السيدة بنت الشاطىء
إلى لداتها وأترابها ، ممن عرفن
هذه المنطقة الساحرة ، وشدون
بأغانيها ، وأصغين فى طفولتهن
إلى قصصها وأسمارها
تحية وذكرى !

نشا فى الفضاء الطلق الفسيح ، ودرج ايامه الاولى لاعبا بزوارق من ورق ، ممتطيا ظهر الماء ، فلما شب عن الطوق ، شاقه ان يغلب النهر ويسبح فيه الى الشط البعيد ، لكن اباه كان يمسكه ويروى عليه مآسى ذلك اليم المرهوب

ثم جاء يوم كل فيه ساعدا الشيخ ، فأسلم الزورق لفتاه ، واقام بكوخه يريح شيخوخته المتعبة ، اثر جهاد طويل

كان الفتى الملاح ، ينهض من فراشه فى خفة قبل أن تشرق الشمس ، فيحمل طعامه فى سلة صغيرة ، وينطلق الى الشاطىء حيث يعمل فى زورقه الصغير

ولم يكن له ولأبيه غير كوخ فقير قرب النهر ، فيه حشية من قش الارز ، ومصباح ضئيل ، وبعض الاوانى مبعثرة هنا وهناك ، ثم .. هذا الزورق العزيز الجميل

وكان «زكى» برغم ذلك الفقر ، سعيدا مرحا ، لا تكاد الابتسامة الصافية تفارق وجهه الصبى . وهو قد جاوز العشرين من عمره لكنه يبدو كالطفل الساذج ، لا يعبأ بما حوله ، ولا يفكر الا فى عالمه ذاك المحدود . وقلما نظر الفتى كسواه الى القصور القديمة المشيدة على الشاطىء ، حتى ايقن زملاؤه انه غرير ساذج ، واشفقوا عليه من يقظة مفاجئة ، يرى معها الحياة بما فيها من هموم وآلام !

●

اقبلت الفتيات الى الشاطىء



يحملن الاواني والثياب ، وشمرن عن أرجلهن وسوقهن . ونزلن الى الماء ينظفن ما حملن من اوان ويغسلن ما معهن من الثياب ، بينماترتفع اصواتهن تارةبالضحك وتارة بالغناء

وكن حريصات على التبكير فى الحضور ، حريصات على الابطاء فى العودة ، يرينها فرصة للمرح الحلو واللهو البرىء . وقد القى اليهن – بالتلقين تارة وبالايحاء أخرى – ان بين الفتية الملاحين املهن المنشود فلذ لهن أن يغدون الى النهر كل صباح ، يعرضن مهارتهن فى العمل ونشاطهن فى الخدمة ، ويتسابقن فى المباهاة بما يشترين من حلي ، بالنقود التى يربحنها من الغزل والتطريز وشغل « المناديل »

وكان ذووهن يبعثون بهن الى النهر ، توفيرا لثمن الماء . فكل غدوة من هذه الغدوات ، قد توفر عشرة مليمات ثمن قربتين يحملهما السقاء

وهكذا كانت تشهد «دمياط» فى كل صباح ، هذا المنظر الرائع البديع ، منظر الصبايا المرحات بثيابهن الزاهية ، ورؤوسهن المتوجة بمناديل بديعة الوشي والتطريز ، وارجلهن الصغيرة العارية ، أوالمستترة بغلالة رقيقة شفافة من الماء ، يملأن الافق مرحا وضجة وغناء

ويكادالرائى يحسب انه يشهد منظرا فى احدى قرى الريف ، لولا هذه الاناقة التي لا تجدها فى بنات القرية ، وتلك النعومة التى تفردت بهافتيات السواحل، ولولاهذه القصور القديمة المشرفة على النهر ، تكاد تخبرك – لو تكلمت – كم اقامت على مشاهد جيلة رائعة ، وكم رات من جرائم تسترها المياه وتسدل عليها غطاء من الابهام ، وكم من جثث استقرت هناك فى الاعماق ، فرارا من الحياة ، أو تسترا على جريمة ، أو انتقاما من انسان !

●

ويأبى مرح « زكى » الا ان يشمل أمور العيش أيضا ، فانت ترى الملاحين وقدغادروا زوارقهم وتفرقوا فى الشوارع والطرقات الآتية من المدينة ، يبحثون عن مسافرينقلونه الى الشط الغربى حيث يوجد القطار – ولم يكن « الكوبرى » قد انشىء بعد – على حين يظل « زكى » فى زورقه لاهيا ضاحكا ، لا يبغى مسافرا ولا ينشد راكبا . وبينما يصيح الملاحون : « هل من مسافر ؟ » يرتفع صوت « زكى » مترنما بأغنية عزيزة له ، فتدع الصبايا ما بأيديهن ويصغين الى نغماته وهى تجلجل فى الفضاء ، فتصفق لها الامواج ، وتخفق بها الامواه ، وتتشربها الانسام

ولقد يحدث أن يبدأ الفتى فى أغنيته – وله فى ذلك ميعاد يحدده كل يوم ، وجه يرمق مطلعه – فيتمهل المسافرون ويقفون على الشاطىء الغربى منصتين فى شجو وذهول ، حتى يوقظهم صفير القطار من نشوتهم الذاهلة ، فيمضون اليه وفى أعينهم طيف

الفتى الاسمر فى سترته البحرية الزرقاء ، وفى أسماعهم صوته الجميل يغنى :

يسعد صباح الحبايب
دا الهوى اصل العجايب
يا نازلين البحر تملم
انا مستعد ابعت ركايب
واجب علينا نصبح
يا قمر بين الكواكب

فتضطرب الفتيات وتتطلع كل منهن الى زميلاتها متسائلة ، عدا واحدة منهن كانت تتشاغل بما بين يديها ، منحنية على المياه لتخفى وجها قد اصطبغ بحمرة قانية ، شبيهة بتلك التى تلون وجنات بنات النخيل بعد أن ترشف ماء النيل فى موسم الفيضان !

لقد كانت « عائدة » تحس انها التى يغنى لها الفتى ويعنيها « بالقمر بين الكواكب » ، ولقد نما حبهما فى رعاية النهر المبارك ، نقيا كالهواء ، رحبا كالفضاء ، صافيا كالسماء ، جياشا كالموج . وكثر لقاؤهما هناك فى الصبحيات الباكرة ، يستقبلان الاشعة الأولى راجفين مبتهلين ، يغنى لها وحدها أغنيته العزيزة ، فتصغى اليه مبهورة الانفاس خافقة القلب ، حتى تترامى اليهما أصوات الغاديات الى النهر ، فتتلهى بغسل اوانيها ، ويضرب هو بمجدافيه فى عرض النهر ، وصوته يجلجل فى الفضاء شجى النغم :

واجب علينا نصبح
يا قمر بين الكواكب

●

ثم انقطع شهورا لا يرى ..

وانزوى زورقه فى ثنية من الشط تغشاه كآبة ووحشة ، وكان أبوه الشيخ يحمل نفسه ويمضى اليه سعيا وراء الرزق ، فاذا وهنت قواه اغفى فى الزورق صامتا يجتر احزانا مجهولة لا يعرفها سواه

ونسجت حول غياب الفتى الملاح اقاصيص ..

قيل : عشقته احدى جنيات البحر ، من بنات ملوك الماء ، فاستدرجته ومضت به الى مملكة أبيها فى أعماق اليم !

وقيل : تعلق به احد الشيوخ من تجار الشام الذين يفدون على دمياط فى مراكبهم الشراعية ، يحملون الزيت والخشب والحرير ، ويعودون بالارز والسكر والمصنوعات المحلية . وكان الشيخ عاقرا فما زال بالفتى حتى أغراه بالرحيل معه ، واعدا اياه بأن يجعله الوريث الوحيد لتجارته الواسعة ، وأملاكه العريضة

وقيل : بل امسكته ارملة ثرية عجوز ، كانت تعيش وحدها فى احد هذه القصور العتيقة المشرفة على النهر ، وقد مات زوجها منذ عشرين عاما ، وترك لها ــ مع الثراء الفاحش ــ غلاما نزح الى الغرب حين بلغ مبلغ الرجال ، وبقيت الأم العجوز .. لأفاعيل الفراغ ، وتصاوير الوهم ، وتهاويل الوحشة ، وأكاذيب السراب ، وأساطير الاشباح ... وأراجيف الناس ! !

وقيل ... وقيل ...

ولم تكن بنـات الشط يدرين اى هـذا الذى قيل حق ، وأيه خيال !

●

وكثر تخلـف « عائدة » عن الغدو الى النهر ، فلم تعد ترى مع اترابها الا فى فترات قليـلة متباعدة ، وبدا عليهـا شحوب وهزال ، وزايلها ما عرفت به من مرح ونشاط . وكانت اذا جاءت الى الشط ، توجهت الى الزورق المهجور فقبلت يد الاب الشيخ ، ثم أخذت تعينه بقدر ما تسعفها قواها الواهية .. تنظف الزورق، وترتب حشاياه ، وتغسل الاغطية، وتملأ « القلة » ثم تكر راجعة .. بطيئـة السير ، متعثرة الخطو ، تترنح ضعفا واعياء

الى ان حبستها الحمى فى دارها ، فلم تخرج الا الى القبر ، وتحامل الشيخ فشيعها الى مأواها الاخير ، وعاد من بعدها يبكى .. .

●

ثم كانت المفاجأة الكبرى ..

رئى « زكى » عشية ماتت عائدة ، يدب الى الشط واجما مهزولا ، يسأل عن موعد الدفن، فلما علم أن كل شىء قد انتهى ، دلف الى زورقه ساكتا لا ينطق، جامدا لا يتحرك

واحاط به زملاؤه الملاحون يفتقـدون فيـه الصبى الغرير الضاحك الذى عرفوا ، فلقيهم منه مخلـوق آخر .. واهن القوى ، مستنفد الحيوية ، بادى الهزال ، منقبض الاسارير

وتسامعت الفتيات بنبأ عودته، فتسللن الى النهر واحـدة بعد الاخرى ، تحدو بهن امان ارهقها الانتظار ، وتترنح على شفاههن كلمات حفظنهـا ـ من كثرة ما اعدنها ـ لتحية العائد العزيز

وسعى معهن طيف « عائدة » ـ فى هزاله وضعفه ـ يلتمس القاء نظرة مودعة على اطلال عاله المنهار

وقد رق جمود الفتى لحظة ، وهو ينقل بينهن نظرة متسائلة ، ثم ما لبث بصره أن شرد عنهن ، وراح يعدو ـ فى أسى مجنون ـ وراء الطيف الذى ولى وغاب ... فتراجعت الفتيات فى خيبة وذعر، ثم عدن من حيث جئن ، واجمات مطرقات ، كانهن قـد شيعن عزيزا مات ...

وقال سامر الحى فى تلك الليلة :

« .. وهكذا اطلق الفتى من سجن الارملة العجوز ، بعد ان اقام فيه ما اقام أسيرا ، لا يملك سبيلا الى الفرار ، حتى عاد الابن من بلاد الغرب ، فانكر مكان الفتى من امه ، وطـرده من قصر الآباء والجدود .. ثم اطلق فى اثره نذر الشر ، وصيحات الوعيد !

« وفرغ لامه : يسقيها كاس العقاب ، فى سجنها المرهوب ! »

●

وحمل نسيم الصبح على اجنحته الندية الناعمة ، نغمات الاغنيـة القديمة ، ترجعها فى الفضاء قيثارة خافتة حزينـة ، ملؤها نحيب وشجن، فعدا الرفاق الى صاحبهم يتساءلون ، ونفضت بنات الحى أيديهن من عمل الصباح ، وهرعن

الى النهر ، وتطلعت من وراء الستائر السميكة المسدلة على نوافذ القصر الكبير ، عيون جامدة النظرات ..

ولكن الاوان قد فات ..

وتوارى « زكى » تحت الماء ، وعبثا حاول رفاقه أن ينقذوه ، فقد تشبث بالموت ، وتشبث الموت به

وبسطت الشمس اشعتها الحنون على المياه المضطربة اثر جهاد المنقذين ، ثم هدأ الموج وسكن الماء سكون الموتى ، وحدقت الجدران ـ جدران القصور العتيقة المطلة على النيل ـ لتقرأ الاسم الجديد وتضمه الى الاسماء التى وعتها منذ شيدت حارسة على النهر ، ولم يبق من اثر للفتى الا بقية صدى من اغنيته النائحة ، ثم هذا الزورق يترنح من هول الصدمة ويكاد يتبع صاحبه الى جوف اليم

●

وسكن كل شىء بعد حين ..

وانتشرت الزوارق الرشيقة على سطح الماء تحمل الركاب بين الشاطئين ذاهبة آيبة ، بينما كانت رؤوس النخل الباسقات المتجمعة فى ضاحية « السنانية » ، تنحنى فى بطء ووجوم على شاطىء النيل الغربى ، كأنها تحيى الغريق العزيز ...

بنت الشاطىء
من الأمناء

الحجاج والدرويش

ظهر فى بغداد درويش ، زعم الناس أنه مستجاب الدعوة .. فاستدعاه الحجاج بن يوسف مرة ، وقال له : « ادع لى بالخير » . فقال الدرويش بعد أن رفع وجهه الى السماء : « اللهم اقبض روحه » . فصرخ الحجاج فى وجهه غاضبا : « بحق الله ما هذا الدعاء ؟ » . فقال الدرويش : « هذا الدعاء خير لك ولكافة المسلمين ! »

المريض والبيطار

أصيب قروى ساذج بمرض فى عينيه .. فذهب الى طبيب بيطرى وطلب منه أن يعالجه .. فوضع الطبيب فى عين الرجل ما يضعه فى عين الدواب من دواء ، فعميت عينه ..

فلما رفع الامر للقاضى ، قال له : « ليس على الطبيب من اثم .. اذ لو لم تكن حمارا ما ذهبت اليه ! »

صراع الروح والجسد





بقلم الأستاذ عباس علام

هل انتصرت روحها التي يسودها الطهر والتسامي على جسدها الانساني بما فيه من غرائز ومغريات ؟

- ١ -

قال الدكتور سعد بك طبيب الاعصاب المعروف :

سميرة هانم ..؟ رحمة الله عليها .. لقد كانت زهرة ناضرة. وكم يضم التراب من زهرات ناضرات كان مقدرا لها ان يطول بقاؤها على أغصانها ، يستمتع الناس بشذاها الذكي ، ويتأملون سر تركيب الوانها ، ويسبحون باسم الخالق لما ابدع في تكوينها

ما زلت اذكرها طفلة في ثوبها القصير ، اذ تراني مقبلا على قصرهم فتصيح متهللة : « عمي .. عمي الدكتور » وكنت طبيب عائلتها وصديقا حميما للمرحوم أبيها ، وقد ولدت نحيفة وزادتها الدراسة نحافة. وكان مطلوبا من طبيب العائلة ان يصف لها ما يزيد في وزنها ، ويجعل جسمها مكتنزا باللحم وبشيء من الشحم ، جريا على «الموضة» التي كانت سائدة وقتئذ .. ولكن الطبيب عجز ، ودواءه فشل

وعندما فاتحني المرحوم طاهر باشا برغبته في طلب يدها من أبيها ، كانت هي لم تبلغ الثالثة عشرة من عمرها وكان هو قدجاوز الخمسين ، فثرت في وجهه وقلت له : « الا تخشى الله يا رجل ، فتتزوج بمن هي في سن حفيدتك؟» . فلم يغضب لثورتي عليه وخشونة ما وجهته اليه ، بل اجابني على طريقته الهادئة اللينة : « وهل قلت لك ، سأتزوجها ؟ . اني سأطلب يدها من أبيها فاذا أجابني بالقبول ، فمعناه أنها هي تقبل.. ولا يمكنك انت او غيرك ان تتهموني باني اثرت عليها بمالي او نفوذي ، فان ثروتها الشخصية الموروثة عن أمها ــ دعك من ثروة ابيها ــ تفوق ثروتي ، وأن نفوذ ابيها وسلطانه فوق نفوذي وسلطاني»

وتقدم لخطبتها عدد من الشبان

الذين من سنها وفى مثل جاه ابيها وثروته ... الا انها تبعا لنصيحة ابيها آثرت عليهم طاهر باشا .. وكان زواجها منه حديث المجالس ومثار القيل والقال، حتى لقد نظم بعضهم قصيدة شبه فيها اباها بتجار الرقيق وانه طرحها فى المزاد فباعها لمن دفع اعلى ثمن

ولقد تنبأ الجميع لهذه الزيجة بالفشل العاجل، الا انى اقرر ، بناء على ما لمسته بنفسى ، انها كانت زيجة صالحة مباركة . لقد تحولت طبيبا لعائلتهما بعد ان كنت طبيبا وصديقا لكل منهما . .

وبحكم صلتى هذه كنت احوم حول القصر الذى نقله الله لهما من فردوس السماء الى الارض ، وكانت ابوابه مفتوحة لى ادخله غير مستأذن ، واجوس خلاله واسمع كل ما يجول فيه ويجرى .

وبوسعى ان اشهد امام الله والناس انى شممت بانفى واستطعمت بلسانى لذة الهناء الذى كان يرفرف عليهما بجناحيه

كان الخبيث الذى نظم القصيدة وشبه اباها بتجار الرقيق ، قد بعثها اليها بطريق البريد . . فحدثتنى عن فضول الناس وبذاءتهم ، ثم قالت تخاطبنى .

« اليس الزوج هو الوصى على زوجه نيابة عن ابيها ؟ فما لهم يريدوننى ان اتخذ وصيا على غلاما من سنى هو فى حاجة الى وصى عليه ؟ الست ترانى على حق يا عمى ؟ »

جرى هذا الحديث فى مستهل حياتهما الزوجية، فقلت فى نفسى : « اذا كانت تخاطبنى بلقب « عمى » وانا اصغر من زوجها ، فبماذا عساها تخاطبه ؟ ! » ... لذلك اجبتها وانا افرغ نصيحتى فى قالب الدعابة : « لاتنسى ان الشيخ اذا جلس فى حضرتك تذكر شبابه وندم على ما فاته من ايامه، وانه يمقت من يذكره بانك صغيرة بالنسبة اليه . فكيف اذا كان التذكير صادرا منك انت ! . . حذار اذن ان تناديني « يا عمى » مرة اخرى ! »

هل انا قدمت لك فى اوصافها انها كانت نادرة الذكاء ؟ . . اذا لم اكن ، فان ما ارويه من حديثنا هذا يكشف لك عن المعيتها وبداهتها

خطفت ما اعنيه خطفا من الهواء، واطلقت ضحكة كان لها فى اذنى وقع الموسيقى الناعمة، واجابت : « اما عنك فستظل عمى ، ماعشنا انا وانت . . . اما « عنه » فسأعوده على ان يكون بالنسبة الى « توتو » و « ريرى » و . . . وكل شىء ! »

— ٢ —

وظلت سميرة تعامل زوجها كحبيب وعشيق ، وتنظر له كأب شفيق فتعتبر اشارته امرا عليها واجب العمل به . وزادت كمالا ورصانة فوق ما اعرف عنها من كمال ورصانة ، فلم يوجه اليها نقد طوال حياتها الزوجية ، ولا اخذ عليها تصرف

يدعو الى الكلام فى حقها او حق زوجها. ولعل طاهر باشا اراد ان يضرب لها المثل على الفرق بين زواجها من شاب يقضي على هنائها بالتضييق عليها وبين زواجها من شيخ مثله يكون لها نعم الزوج ونعم الأب فى وقت واحد .. فجعل يستصحبها فى رحلات الى سوريا وتركيا واوربا. واذ كان ــ كما كان ابوها ايضا ــ من انجب تلاميذ السيد جمال الدين الافغانى ، فقد اخذت هى تكتب فى الصحف محبذة الآراء الحرة التى نادى بها الشيخ محمد عبده كما تشيعت لقاسم امين ، واخذ زوجها يروج لما تكتب ويشايعها فى تاسيس الجمعيات واقامة الحفلات ، داعية لحرية المراة واشتغالها بالامور العامة . وكان ذلك منه ومنها اعجوبة الزمن ، فاقفل فى وجهيهما قصر الخديو عباس ، وجعلت جريدتا اللواء والمؤيد تتناولانهما بالنقد والتجريح

ولقد انجبت له ولدهما حسينا بعد عام من الزواج ، ثم اعتلت صحتها عقب الوضع فرفضت ان يطببها غيرى . ومن الغريب انى كنت الطبيب الطبيعى لمرضها لانها كانت تشكو حالة شخصتها بانها حالة عصبية ، وظللت اعالجها نحو عامين، ثم انقطعت عن دعوتى لبيتها او الحضور لعيادتى، فقلت فى نفسى لا بد انها شعرت بانها لم تعد فى حاجة الى طبى ودوائى ...

وترملت ولما تبلغ العشرين من عمرها ، وكانت هذه آخر مرة رايتها فيها اذ تقدمت اليها مواسيا معزيا، وعرضت عليها استعدادى لخدمتها ليس كطبيب فقط ــ بل كعم او والد ، وكأخ للمرحوم زوجها

لم ارها بعدئذ .. ولكنى كنت ارى صورتها فى الصحف واقف على اخبار نشاطها الاجتماعى ، وقد تضاعف هذا النشاط عقب وفاة زوجها.. ومر على ذلك اكثر من خمسة عشر عاما

\- ٣ -

على الرغم من تقدمى فى السن ــ اذ بلغت الثانية والسبعين من عمرى ــ فان لى ذاكرة اعتز واباهي بها ... لذلك لم اكن فى حاجة الى من يعرفنى بالفتى الذى دخل على فى عيادتى ومد يده لمصافحتى

ابتسمت ابتسامة يسميها البعض ماكرة، وما هى الا ابتسامة الاعتزاز بذاكرتى ، وبادرته بالسؤال :

ــ السيت ابن المرحوم طاهر باشا ..؟

ــ اجل ، واسمى حسين

ــ هل تعرف ان المرحوم والدك كان زميلى من عهد الدراسة، واننا ظللنا صديقين متلازمين الى ان اختاره الله لجواره ..؟

ــ عرفت ذلك من والدتى

ــ تفضل فاجلس .. ولهذه المناسبة ، كيف حال والدتك فان لى عامين لم اسمع او اقرا عنها ؟

ــ من اجلها جئتك ، فقد

قضت العامين الاخيرين مريضة ، وهى تجتاز الآن أزمة صحيـة عصبية . وعرضنا عليها أن ندعو طبيبا فرفضت ، وظلت على الرفض الى ان شددنا عليها صباح اليوم . . فرضيت بشرط أن يكون الطبيب هو حضرتك

ـ هلم بنا اليها اذن

وخرجنا معا وظللنا طول الطريق صامتين ... كنت افكر فى الماضي ، وفى « سميرة » ذات الثوب القصير التى كانت تدعونى عمها، وفى يوم فاتحنى طاهر باشا فى الزواج منها ، وفى ثورتى عليه. وهنا تذكرت ان له ابنة من زوجه الاولى تزيد سنها على سن سميرة هانم، والدة الفتى الجالس الى جانبى فسألته : « وكيف حال اختك رامزة هانم ؟ » اجاب : « هى على احسن حال ، واصغر أولادها تزوج فى الاسبوع الماضى » فقلت ضاحكا : « وخاله ، الم يتزوج بعد ؟ » فاجابنى : « لن افكر فى الزواج قبل أن اتم دراستى الجامعية . وامامى على اتمامها ثلاثة اعوام »

ووقفت بنا العربة أمام قصرهم، فاستقبلنا فتى آخر حسبته ابن اختـه رامزة هانم . . وكادت ابتسامة الاعتزاز بذاكرتى القوية تومض على شفتى، لولا ان حسينا قدمه الى بقوله : « صديقى وزميلى فى الكلية محمد رافت »

وتهامس الفتيان . . ثم دعانى حسين الى الدخول عند أمه

رأيتها على مثل ما كانت منـذ خمسة عشر عاما . . نحيلة القوام، ناضرة الوجه ، غير انها اليوم فى سريرها فى حالة تشبه الغيبوبة. قست الضغـط ، وفحصت القلب والصدر والكبد ، ثم سالت ابنها :

ـ ما شكواها . . ؟

ـ لا شىء غير انها تعتريها هذه الحالة كثيرا فيصيبها الاغماء ويطول أو يقصر ، وأحيانا يكون الاغماء مصحوبا بتشنج او تيبس. وعلامة عودتها الى الوعى انها تتأوه وتتألم وكثيرا ما تبكى. أما فى حالة الصحو فتكون دائما مكتئبة حزينة ضيقة الصدر ، وهى لا تنام نوما هادئا عميقا . وقد ضعفت قابليتها للطعام ، او عدمت فى الواقع ، فهى ـ بعد الحاح شديد منا ـ تكتفى بجرعة من اللبن أو الاوفالتين

وعادت المريضة الى وعيها أثناء الحديث فجعلت تئن ، ثم تحول الانين الى صراخ مكتوم وبكاء

اقتربت منها وحييتها ، ثم سألتها : « الا تذكرين وجهى ؟ » فسألتنى هى : « رافت؟ . الست رافت ؟ » أجابها رافت : « لا يا تيزه . . هذا هو الدكتور سعد بك الذى طلبتـه » واردت ان أمازحها ، فقلت لها : « ايختلط عليك العجوز الكركوب بهذا الغلام الناعم ؟ » . فعضت شفتها ، واستغرقت فى البكاء .

ولما اخذت أصف العلاج اللازم لها والنظام الذى يجب أن تسير عليه، صاحت : « النوم يا دكتور . .

النوم قبل كل شيء .. أريد النوم الهنيء . أكتب لي مورفين » .. قلت : «مورفين .. ؟ولماذا لاسمح الله،وانت في حالة عادية؟ » قالت : « شكواي في اني عندما تحين ساعة النوم يستعصى علىان انام» قلت : « انا أعرفك مؤمنة بالله ، وانك تحفظين الكثير من آي القرآن الكريم .. فعندما تريدين ان تنامي ، اطفئي النور واغمضي عينيك واقرئي آية وأعيدي تلاوتها فتنامي باذن الله » . قالت : «انى افعل ذلك وأقرا طويلا واعيد القراءة .. ولكنى لا انام »

التفت لولدها حسين وسألته : « هل سبق لطبيب آخر ان وصف لها المورفين ؟ » . أجاب : « لم يفحصها أحد غيرك،وهي لا تعرف المورفين الا بالسماع »

خطرت على بالي فكرة .. سألتها : « لماذا تصرين على الا يعالجك سواي ؟ » اجابت : «لانك طبيبي مذ كنت طفلة .. هل يسيئك هذا ؟ » : قلت : « على العكس ، بل هو يشرفني .. ولكن افرضي اني في حاجة الى استشارة طبيب آخر من المختصين بالامراض النسائية .. » . قاطعتني بلهجة الطفلة العنيدة وقالت : « لا لا لا .. لست في حاجة الى طبيب امراض نسائية » قلت : « فلتكن طبيبة .. وقد أصبح لدينا بفضل جهودك عدد من الطبيبات المتخصصات .. » فسكتت

واستاذنت فخرجت .. وعند سيارتي ، قلت لولدها حسين :

« لا بد من فحص والدتك من الوجهة النسائية ، فالذي تشكوه هو الهستيريا .. ويخيل الى أن منشأ الهستيريا عندها امر نسائي . فعليك ان تقنعها بالاستعانة بطبيب أو طبيبة في الامراض النسائية ، واتركوا لها اختيار من تشاء . وليكن كلامكم معها بالتلطف والحيلة .. وعلى ذكر هذا ما قرابة صديقك رافت بكم ؟ » اجاب : « رب أخ لك لم تلده أمك .. انه ليس من أقربائنا ، ولكنه شب معي وكان يدخل بيتنا من عهد الطفولة ، ووالدتي تعده ولدا ثانيا لها ، وهو يعدها أمه الثانية »

وودعت حسينا وانا افكر في شأن امه وما تقاسيه

— ٤ —

بعد بضعة ايام جاءني خادم يحمل الى رسالة مكتوبة من سميرة هانم تدعوني بها الى الذهاب اليها على عجل ، فهي تريدني في خلوة ولاتجد وقتا أكثر مناسبة من هذا الوقت

هرولت اليها .. فوجدتها جالسة في الحديقة ، واستقبلتني بابتسامة مشرقة كطلعتها ودعتني الى الجلوس . وكان في يدها كتاب « رفاييل » .. ولما جعلت اتامل فيه ، قالت انها تحب أن تقرأ كثيرا من مؤلفات لامارتين ، وان احب كتبه اليها هو هذه القصة ، وانها تحب « الصوفية » المتجلية فيها .. ثم انتقلت فجاة الى

حديث آخر ، فقالت : « اسمع يا دكتور »

قاطعتها : « قولي ، عمي »

قالت : « لقد كان هذا ندائي اليك وانا طفلة لم تشب عن الطوق .. اما وقد اصبحت عجوزا كما ترى .. »

قلت : « عجوز !؟.. انت عجوز ؟.. الا تعرفين كم سنك الآن ؟ »

اجابت : « ان رافت يدعوني « تيزه » .. »

قلت : « ذلك لانه ... »

قاطعتني : « لانه من سن ولدي حسين ، بل هو اصغر منه بعام او اكثر .. ثم دعنا من هذا .. تريد ان ادعوك عمي ؟.. فليكن .. اسمع يا عمي : اني اعلم ان حالتي ميئوس منها .. هل تعرف الصور التي تجول في خاطري عندما احاول النوم ؟ . اتخيل اني مت ، واسمع اصوات النادبات والنائحات ، وارى نعشي يخترق الطريق ويدخل الى المسجد وتقام الصلاة علي ... ثم اراه من جديد يسير نحو المقابر ، واراهم وهم يدخلون جثتي في القبر ويهيلون عليها التراب .. لا شيء من ذلك يخيفني . هل تذكر يوم قبضوا على المرحوم الباشا في مقر بيتنا وكيف قاومتهم وتعرضت لأسلحتهم ؟.. هل تذكر المظاهرة النسائية التي كنت على راسها ، وكيف قابلنا الجنود البريطانيون مصوبين أسلحتهم الينا ، وكيف عرضت لهم صدري وصحت فيهم : اطلقوا رصاصكم فليست فينا من لم تتاهب للموت ..؟ لقد كنت جادة وقتها وكنت اتكلم من اعماق نفسي ، فاني طوال حياتي لم اخش الموت ، ولم احسب حسابه الا في فعل المبرات تاهبا لمقابلة الله وفي يميني حسناتي وصومي وصلاتي وزكاتي وحجي الى بيته الحرام .. غير ان الذي يزعجني الآن عندما احاول النوم واتخيل اني مت ودفنت ، هو سماعي صوت ولدي يبكي علي .. لقد بكى على المرحوم ابيه ، ولكني كنت الى جانبه اكفكف دموعه .. ولكن من ذا الذي سيكفكف دموعه علي ؟.. اني لا اقصد ايلامك ، كل ما في الامر اني اشرح لك آلامي كطبيب وظيفته تخفيف الآلام . اعيد عليك ان حالتي ميئوس منها ، وان لا دواء يفيدني ، واني اذا كنت قد سايرت ولدي فدعوتك لفحصي فليس ذلك لكي تشفيني من مرضي ، ولكن لكي اخفف عنه هو عذاب الضمير بعد ان اموت ، وبعد ان يخاطبه ضميره بانه قصر نحوي فلم يعرضني على طبيب .. ثم ، وهو الاهم .. الخوف من ان تكثر الظنون وتتضارب الأقاويل حول ولدي ، فيقال انه تركني أموت ، أو ساعد على موتي ، لكي يستأثر بثروتي وثروة ابيه

« هل أبلغت ..؟.. اللهم فاشهد »

قلت وأنا أحاورها : « اذا كنت تقصدين ان أشهد لولدك بالولاء

لك والبر .. فأنا أشهد والله يعلم انه نعم الابن لخير ام واب .. ولكنى من جانب آخر ، لا املك ان انكر امام ضميرى وامام من يسالنى من الناس انك فرطت فى شان نفسك ، وانك بتصرفك هذا انما تنتحرين عمدا . والانتحار لا يقدم عليه عباد الله المخلصون »

سألتنى : « ماذا تريد منى لكى امحو هذه التهمة التى تأبى الا ان ترمينى بها ظلما ؟ » .. أجبتها : « اريد أن تتركى هذا العناد ـ ولم أعهد من شيمتك العناد ـ وان تسمحى لطبيب فى الامراض النسائية ان يفحصك لانى مشتبه فى منشأ مرضك . اذا كنت لا تريدين ان يراك رجل فاختارى من تشائين من النساء اللواتى اكتسبن مركزهن فى عالم الطب بفضل جهادك وجهودك »

اجابت : « ليكن ما تريد ... استدع من تختارها »

ـ ٥ ـ

على ان الزمن لم يمهلنى ويمهلها . ففى صباح اليوم التالى خاطبنى ولدها بالتليفون وهو يغص بالدمع . وكانت صدمة قاسية أن اعلم ان روحها فاضت الى بارئها

وشيعناها الى مقرها الاخير .. والحشد الهائل الذى اجتمع فى جنازتها ، والدموع الغزيرة التى ذرفت عليها .. كل هذا لم يستلفت الانظار بقدر ما استلفتها نحيبى ، انا الرجل البالغ اثنين وسبعين عاما . لقد كنت طول الطريق أبكى كالاطفال .. وعندما اودعوها اللحد لم املك ان القى بنفسى ليدفنونى قبل الميتة ، حتى لقد وصل الحال بابنها ان ينشغل بى عن نفسه وعن أحزانه فجعل يواسينى ويربت على كتفى ليهدئنى

وفى الواقع ما آلمنى الا تذكرى حديثها معى بالامس .. وكنت أسائل نفسى : « اتراها الآن تسمع أصوات النائحات والنادبات وتسمع بكاء ولدها ونحيبى عليها »

فى جنات النعيم يا سميرة .. والا فلمن تكون الفردوس اذا لم تعمرها مثيلاتك القانتات المصونات ..!

ـ ٦ ـ

بعد أن تأهبت للنوم جعلت اناجى نفسى حول المرض الذى اصاب هذه المسكينة ، وسبب فجيعتنا فيها وهى فى شرخ الشباب انى ، كطبيب مختص بالاعصاب ولى خبرة واسعة بامراض القلب ، أقسم على صحة ما ذكرت فى شهادة وفاتها من أنها ماتت بآفة قلبية .. واضيف الى ذلك أن الآفة القلبية نشأت عن الهستيريا

ولكن ما الذى اوصلها الى الهستيريا او اوصل الهستيريا اليها ؟

هنا يتسع المجال للحدس والتخمين .. وليس احد مثلى يستطيع ان يصيب الحدس

والتخمين فى شانها ، فانا الطبيب الذى تلقاها بين ذراعيه منذ ولدت وتولى تطبيبها طوال حياتها القصيرة الى أن توفيت . وقد كنت طبيبا لوالدها وامها قبلها ، كما كنت طبيبا لزوجها .. فاستطيع أن اقرر ما أن كانت ورثت عن أحد منهم أحد الامراض، ثم انى كنت ـ بحكم صلاتى بها وبأهلها ـ مطلعا على دخائلها وأحوالها، وكنت لها بمثابة الصديق الحميم والوالد العطوف

اتكون الهستيريا التى أصابتها نشأت عن تفردها دون أهلها جميعا بالنحافة ؟ .. ولكن مثل هذه النحافة كانت خليقة بأن تصيبها بمرض صدرى أو قلبى دون الهستيريا ، وخاصة أنها لم تظهر عليها الا فى أواخر أيامها

اتكون الهستيريا أثرا من آثار الحالة العصبية التى عانتها عقب أن وضعت ولدها حسينا ؟ قد يكون ذلك ، وان يكن ينفيه أن هذا الاثر ظل كامنا مختفيا أكثر من عشرين عاما

وجعلت أراجع تاريخ حياتها ، فأراها فى المدرسة تصمم على أن تكون الاولى فى فرقتها برغم ما يحيط بها من مظاهر الثروة ومغريات اللهو .. انه «التسامى» الذى رافقها صغيرة، وظل يرافقها بعد أن أصبحت شابة وزوجة . انه « التسامى » الذى جعلها تخالف العرف فتختار لنفسها زوجا فى سن والدها ، لانها تعتبر الزوج وصيا على زوجه نيابة عن أهلها، ولانها تضن بنفسها على أن يحكمها غلام فى سنها ... انه «التسامى» الذى جعلها ـ عندما رأت النقد يوجه الى أبيها والى زوجها ـ تحبس نفسها فى دائرة من التصون والحيطة لتتقى أية ملاحظة توجه الى سلوكها أو تصرفاتها. وفى سبيل ذلك تزمتت فحرمت نفسها من كل متعة تهواها من كانت فى سنها ... انه « التسامى » الذى جعلها ـ عقب وفاة زوجها ـ تحصر حياتها فى تربية ولدها ولا تفكر فى الزواج . وفى سبيل ذلك أيضا زادت من تصونها وحيطتها لعلمها أنها ـ بحياة العزوبة ـ ستكون فى مهب النقد والتجريح . وها قد مر عليها ، منذ وفاة زوجها، أكثر من خمسة عشر عاما قضتها بين هذه الجدران السميكة التى اختارتها لنفسها ، أو اختارها لها « التسامى » والترفع

ثم من يدرينى ..؟

هذه سيدة فى نحو الثلاثين من عمرها ـ وهى أحلى سنوات العمر وأحرجها ـ لاتحتك برجل، ولا تسمح لرجل أن يحتك بها .. تجد الى جانبها فتى فيه كل الرجولة هو رأفت .. حقيقة أنه ربى على يديها وأنها كانت تعطف عليه عطفها على وليدها .. ولكن ما المانع ـ من وجهة نظر بسيكولوجية ـ أن يتحول عطفها الى حب ؟ ما المانع أن تكون نفسها قد مالت اليه وهو «الرجل» الوحيد الذى يلازمها وترى فيه صورة من

شبابها الذاوى ؟.. هل انسى يوم دميت لفحصها وسألتها عقب أن افاقت من غيبوبتها : « هل تذكرينني ..؟ » .. الم يكن أول ما جرى على لسانها اسم رافت؟ وهل انسى اذ عضت على شفتها عندما قلت لها مازحا : « أيختلط عليك العجوز الكركوب بهذا الغلام الناعم ؟ » .. وهل انسى ان كتابها المفضل كان «رفاييل»؟ الم تكن « رفاييل » قصة شابة تزوجت من شيخ عجوز كانت تعتبره الوصى عليها ثم احبت فتى من سنها؟ .الم يكرر لامارتين فى هذه القصة معنى أن الانسان بحبه للانسان انما هو فى الواقع يحب الله ويعبده ؟.. الم تسم هذا المعنى الذى كان لامارتين يدور حوله « صوفية » ، بينما هذه الصوفية تعكس أمامها صورة من نفسها ؟.. واخيرا ، هل انسى عندما قالت لي بالامس ـ والحسرة تغلب على نفسها ـ ان رافت يدعونى « تيزة » ؟

نعم ، نعم .. من المرجح انها احبت رافت ، ولا بد أن تساميها وقف حائلا دونها ودونه ... بدليل انه ظل يدعوها « تيزة » لانه لم تبدر منها بادرة تشعره بحبها اياه . فهل كانت روحها النقية الطاهرة تسمح لها ان تغدو عشيقته ؟.. ام كانت عزة نفسها وترفعها يسمحان لها أن تتخذ منه زوجا ، بينما هو يصغر ابنها بعام او عامين ؟ وماذا يقول الناس عنها اذن ؟

لقد تصارع جسدها الانسانى بما فيه من غرائز ومغريات ، مع روحها الملائكية التى يسودها الطهر والتسامى .. وكانت تكبت احساساتها وتقهر جسدها

ومن اثر هذا الكبت والقهر ، وخلال هذه المصارعة بين الجسد والروح ... ضعفت اعصابها وجعلت تتفتت الى أن تحطمت

وفارقت الروح الجسد ، وملائكة الله تشيعها بالآية الكريمة « يا ايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » .

عباس علام



خطبة موفقة!

تمثيلية مترجمة عن الفرنسية

بقلم الأستاذ زكى طليمات

فى النفس أغوار بعيدة ، يدرك العقل الظاهر منها بعضاً ، ويخفى عليه بعضها الآخر ، والانسان يعمل أحياناً لتحقيق غرض من الأغراض وهو شاعر بما يعمل ولماذا يعمل ، ولكن سرعان ما ينكشف له ، أو لمن يراقبه ، أنه كان يعمل لتحقيق غرض آخر وهو لا يدرى

اشخاص الرواية

دونان	عمره	٥٦	سنة
روبيرفلوري	«	٢٨	«
الآنسة لورن	عمرها	٤٦	«
الآنسة روز	«	٢٠	«

•

المنظر : نحن فى بهو فخم فاخر الأثاث ، فى الصدر باب كبير يؤدى الى الحديقة ، وفى كل من جانبي البهو باب صغير

المشهد الأول

روبير ـ لا اكاد أصدق ... احقا يا عمى انك اجريت كل هذا التدبير ... هذه الاكذوبة ! !

دونان ـ اكرر عليك انك الشخص الوحيد الذى يعرف حقيقة الامر فيها .. اما الشابة فلا يخالجها شك فى صحتها

روبير ـ اعنى انك ستقدمها الى ، وهى تجهل كل الجهل لماذا جاءت ؟

دونان ـ بالتاكيد .. وهكذا ستكون لك فرصة التعرف اليها وفحصها كما يحلو لك ... من غير أن يضايقك من جانبها فحص اواختبار. فاذا اعجبتك ووقعت من نفسك كان بها ، وسارت الامور سيرا حسنا ، والا فلك أن تصارحنى برفضك اياها ، وينتهى الامر دون أن تخدش كرامتها فى شىء

روبير ـ حسن جدا ، اذ بغير هذا التدبير تكون قساة ظالمين ، وما كنت لأستطيع ان ارفض يد شابة تحضر الى ، وهى تعرف تمام المعرفة لماذا حضرت

دونان ـ هون عليك ، فلن يؤنبك ضميرك فى شىء

روبير ـ بقى يا عمى ان اكرر عليك أن طيبة قلبك تدفعك الى ان تكابد كثيرا من اجلى ، ولكن..

دونان ـ دعنا من هذا ، وقل لى أتريد ان تتزوج ام لا تريد ؟

روبير ـ أريد .. لانى اعرف ان الرجل مقضى عليه أن يتزوج ، ولكنى لست متعجلا قضاء الله . اننى ما برحت فى اول مراحل الشباب

دونان ـ ماذا ؟ بلغت الثامنة والعشرين ... السن التى يحلو فيها الزواج ، بل ويجب

روبير ـ الحاحك فى ان اتزوج ، وان اتزوج عاجلا .. امر يثير العجب فانت تدفعنى بكل قواك الى أن آتى شيئا لم تفعله ابدا.. انت اعزب ، اعزب مع سبق الاصرار، ولم تفكر يوما فى الزواج

دونان ـ من اجل هذا اريد الا تقع فى الخطأ الذى تورطت فيه .. ليكن العم امثولة لابن اخيه وعظة وعبرة

روبير ـ ومع عزوبتك الطويلة هذه يلوح لى أنك لم تكن تعسا

دونان ـ تخطىء اذ تتصور ذلك .. لقد تألمت كثيرا من عزوبتى .. لا ذرية لى .. ان حياتى خالية خاوية

روبير ـ ولماذا لم تتزوج ما دمت تحس كل هذا ؟ عندك

ثروة وثراء ، وفيك الصفات التى تجعلك مرموقا من كل النساء، ما كان عليك الا ان تلمح برغبتك، أو ان تلوح بمنديلك المعطر ... الم تصادفك امرأة ؟

دونان — بلى صادفتنى .. ولكنى لم اجرؤ على خطبتها .. اننى موفور العاطفة ، غير انى مرهف الشعور الى حد الخجل

روبير — انت ؟!

دونان — انا .. ألا يبدو على هذا ؟ آه لو عرف الشباب

روبير — (ضاحكا) وآه لو قدر لك عم ، عم من طرازك الطيب اللطيف ، يمهد لك أسباب التعارف ، ويفتن فى اجراء ما يلزم لتدبير الخطبة

دونان — من يدرى ؟

روبير — هون عليك ، فان الوقت ما زال متسعا

دونان — اتمزح .. لقد جاوزت السادسة والخمسين يا بنى

روبير — وماذا يهم ، انها ستة وخمسون ربيعا ، وصحو الربيع ينسى برد الشتاء !

دونان — ولكن الشتاء لم ينسنى

روبير — انت تبالغ .. فما زلت صلب العود فياض العافية

دونان — دعنا من هذا الآن .. وخلنى أؤكد لك ان الشابة التى ستحضر الساعة غاية فى اللطف والوسامة و ...

روبير — اتعرفها ؟

دونان — لا ..

روبير — اذن كيف تخلع عليها كل هذه الصفات ؟!

دونان — عمتها تؤكد لى هذا .. عمتها الآنسة لورين صديقتى القديمة

روبير — مزاعم عمة تحب ابنة اخيها ، والتحيز من صفات الحب ، وعين الرضى .. ولكن قل لى ، الم تطلع الآنسة لورين ابنة اخيها على ما دبرته لها ؟

دونان — لا .. لقد وعدتنى واقسمت على أن يبقى السر مكتوما بينى وبينها

روبير — تقول انها شابة لطيفة ووسيمة .. نصيحة متواضعة لك يا عمى ، لماذا لا تتزوجها ؟

دونان — انت تهذى ..

روبير — ولا شك انك قلت للعمة بدورك ، واكدت القول ، باننى شاب لطيف ووسيم

دونان — وهل فى هذا شك ، هيا بنا نجول بالحديقة ريثما تأتى الشابة وعمتها

(يخرجان من باب الصدر)
فترة سكون

المشهد الثانى

(الآنسة لورين وابنة اخيها تدخلان من الباب الايمن)

لورين — اكرر عليك القول ان المسيو روبير يجهل كل شىء عن سبب قدومك

روز — هذا ما يقال دائما فى مثل هذا الموقف

لورين — اؤكد لك انك انت وحدك التى تعرفين السبب ..

وسيطيب لك أن تفحصيه من غير أن يلقى بالا الى ما تفعلين

روز ــ ولكن حضورنا هذا ، الا ترينه مباغتا ؟

لورين ــ على العكس ، المسيو دونان صديقى منذ الطفولة ، وهو من لداة صباى ، وطالما لهوت واياه فى هذه الحديقة

روزــ وعليه فقد دبرت الامر مع المسيو دونان ؟

لورين ــ اتفقنا ودبرنا كل شيء

روز ــ ولم يطلع ابن اخيه على شيء ؟

لورين ــ ابدا .. وعدنى بالكتمان واقسم

روز ــ ولكن يا عمتى، اسالك مرة اخرى ، لماذا تلحين كثيرا فى امر الزواج ، وفى الحال ؟ انى لم اتم بعد العشرين من عمرى .. وفوق هذا ، فلست راغبة فى الزواج الآن ، ربما افكر فى الامر فيما بعد

لورين ــ فيما بعد .. ولماذا لاتتزوجين الآن مادامت الفرصة سانحة ؟

روز ــ ولم لم تغتنمى انت فرصة كهذه، ألم تسنح لك يوما ؟

لورين ــ ربما .. ولكنى اضعتها ، وانى لآسفة

روز ــ أحق هذا ؟

لورين ــ بل انى لمتالمة ، ولهذا اود أن تفيدى من تجاريب حياتى

روز ــ وهل فى مراجعة تجاريب البعض ما يفيد فى اصلاح حال البعض الآخر ؟

لورين ــ ربما .. ونحن لانملك الا نؤمل فى هذا

روز ــ أعجب يا عمتى ، وانا اراك من انصار الزواج ، كيف لم تتزوجى ؟ الم يخفق قلبك بالحب يوما ؟ ؟

لورين ــ كفى .. هذه اسئلة لايجاب عليها ... ان لكل قلب ذخائره واسراره

روز ــ بربك اكشفى لى عن بعض خفايا قلبك فاننى ...

لورين ــ ما هذا الفضول .. نحن امام مسالة تخصك انت

روز ــ كما ترين يا عمتى .. ولنرجع الى حديث زواجى ، هذا الشاب الذى جئت بى الى هنا لاراه ، ما هيئته ؟

لورين ــ وسيم وانيق وفاتن

روز ــ يبدو أنك تعرفينه

لورين ــ لم تقع عيناى عليه بعد

روز ــ اذن كيف ... ؟ !

لورين ــ عمه أخبرنى عنه ، وهو لايكذب .. واننى واثقة من انك ستتدلهين بالفتى حبا بمجرد رؤيته

روز ــ (ساخرة) حب ينقض على قلبى انقضاض الصاعقة على الدوحة الباسقة فيمزقها ! ! ولكنى اخشى يا عمتى أن اضل الطريق الى قلبه وانا اتعثر بحطام قلبى ! !

لورين ــ لا تسخرى يابنيتى، اذا لم تحبيه اليوم فستحبينه فى الغد

روز ــ اعجب يا عمتى من امرك .. ما دام هذا رايك فى

الحب وفى الزواج ، فلماذا لم تجربيما تشيرين به على وتلحين فى ان اقبله ؟

لورين ـ دعينا من هذه الثرثرة.. هيا ابتسمى وتحفزى لتأسرى رجلك، اصلحى تصفيف شعرك ، فقد اختل نظام بعض جعداته ، اذهبى الى الغرفة المجاورة (تشير الى الباب الايسر) فبها مرآة ، وهى غرفة صديقى رب المنزل .. هيا اسرعى فقد اتيا ..

(تختفى روز فى الحجرة وتخرج العمة من حافظة بدها مرآة صغيرة وتأخذ فى اصلاح شعرها ، وصبغ شفتيها ، وما ان تنتهى من زينتها حتى يدخل العم دونان من الباب الاوسط)

المشهد الثالث

دونان ـ (متقدما فى شغف وقد انحنى مقبلا يد العمة لورين) طاب يومك ياعزيزتى

العمة ـ طاب يومك ياعزيزى

دونانـ (باحثا فى اركان المكان) اين هى ؟

لورين ـ هنا (مشيرة الى الباب الايمن) وهى تتزين .. وهو ؟ ؟

دونانـ فى الحديقة.. اسمعى، لقد اعددت ابن اخى روبير احسن اعداد وهيأته لما نريد عمله

لورين ـ وانا بدورى فعلت هذا مع ابنة اخى

دونانـ ولكننى لا ارى روبير متحمسا للزواج

لورين ـ وروز لا تقل عنه زهدا فيه

دونان ـ ارجو ان يتغير الموقف اذا امتلأت عين كل منهما بالآخر

لورين ـ لا تخف ، فنحن خلفهما .. نذكى ضرام الرغبة

دونان ـ ارجو ان يتم هذا

دونان ـ والآن لندع الشباب ولنتحدث عن انفسنا .. ارجو ان تكونى قد سعدت بأوبتك الى بيتك ، لقد مضى زمن طويل لم نتقابل فيه ! !

لورين ـ ثمانية اعوام

دونان ـ يا للشقة الطويلة .. طالت غيبتك وانت تطوفين من بلدة الى اخرى

لورين ـ اجل ...

دونان ـ وقد عدت لاقامة قصيرة .. ام لتبقى بيننا دائما ؟

لورين ـ بل لابقى دائما ... لقد بعثت فى نفسى اسفارى الطويلة رغبة ملحة فى ان اخلد الى الراحة فى منزلى . وانت ماذا فعلت طوال هذه المدة ؟

دونان ـ كنت اسير العمل المتواصل ، ولكننى تحررت من كل هذا منذ ستة اشهر ، وبى شغف ان اتحرك ، ان اسافر ، ان ابدل من لون حياتى ، اريد ان اتجدد ..

لورين ـ يبدو لى اننا كلينا مصيب فيما ينتوى عمله . فما احوجنا الى التجديد .. الى ان نغير من طقوس حياتنا

دونان ــ ومع التغيير الذى تنشدينه .. فانت لم تتغيرى ولم يتبدل فيك شىء

لورين ــ لقــــد تقدمت بى السن .. انظر هذا الشعر الابيض

دونان ــ تبالغين .. انه وخط المشيب ، وهو يعقد هالة فوق راسك

لورين ــ لا ، بل انت من اراك على سابق عهدى بك وكانك لم تتغير ، فانه يبدو عليك انك لم تتجاوز من الستين ..

دونان ــ الا العشر سنوات التى اكبرك بها ..

لورين ــ شد ما تنطلق الحياة بنا وتجرى ! !

دونان ــ أجل .. وهــذا ما يجيز لنـا أن ننتهبها انتهابا وان نسعد بها . ليست الحياة الا حلما .. هــذه حقيقة معروفة منذ القدم ، فما علينا الا ان نعمل على أن يكون هذا الحلم بهيجا

لورين ــ وعلينا ايضا ان نجعل لحياتنا اهدافا نعمل على تحقيقها .. قل لى ، وكن صريحا ، أحققت شيئا من أهداف حياتك ؟

دونان ــ (ضاحكا) هذا فضول منك ... وأنت ؟

لورين ــ (ضاحكة بدورها) وهذا تطفل ..

دونان ــ اذن كفانا فلسفة .. ولنهتم بامر الشباب . سأذهب الى الحديقة لاعود بروبير ، وانت تحضرين روز ، سنقدم كلا منهما الى الآخر ، وبعد حديث قصير ادعوك الى جولة فى الحديقة ، ونتركهما بسعيان لشق طريقهما .. هذا شريط سينمائى تروقك مشاهدته ولا شك ؟

لورين ــ للغاية ..

(يخرج)

المشهد الرابع

لورين ــ (منادية) هل انتهيت يا روز ؟

روز ــ (تدخل) ها أنذا ..

لورين ــ دعينى ارى كل شىء فيك .. (تفحصها جيدا) حسن ..

روز ــ ها قد جاء وقت الفحص والمعاينة ، يخيل لى اننى جندى يتهيا للاستعراض . عمتى بى ميل الى ان استغرق فى الضحك

لورين ــ ليس الزواج بالامر الذى يبعث على الضحك

روز ــ اذن أريد ان ابكى

لورين ــ مجنونة انت ، يلوح لى انك لن تكونى يوما جادة فى اقوالك ... كفى ، فقد اقبل المسيو دونان وابن اخيه

(يدخل دونان وروبير)

دونان ــ يا صديقتى اقدم لك ابن اخى روبير فلورى الذى فاجانى اليوم بزيارته . (مقدما اليه السيدتين) الآنسة لورين .. وهذه ابنة أخيها

لورين ــ سعيدة بمعرفتك .. كثيرا ما حدثنى عنك عمك

روبير ــ وعمى بدوره طالما ذكرك في حديثه .. انتما صديقان منذ عهد قديم

لورين ــ نعم ، منذ عهد قديم فمنذ اربعين سنة كنا نمرح سويا في هذه الحديقة ، (الى دونان) أتذكر يا صديقي ؟

دونان ــ كيف لا .. يخيل الى انه لم يمض على هذا غير يوم واحد .. وما زلت اراك بعين الخيال تلك الفتاة اللعوب التى تخطر في ثوبها الازرق القصير

لورين ــ وما برحت اراك في قبعتك المدلاة على جبينك ، وانت تحاول ان تقلد في مشيتك هيئة رجال الاعمال .. شد ما كنت لطيفا ! !

روبير ــ ما اجمل ذكريات الصبا .. (لروز) اليس كذلك يا آنسة ؟ (الى دونان ولورين) ولكن لماذا لا تصلانها بالحاضر وتستأنفان معاشرة لطيفة في ظل الماضي ؟

دونان ــ آه .. لا ادرى ..

روبير ــ وانت ياآنسة لورين ؟

لورين ــ ولا ادرى انا ايضا .. انه امر مكتوب

دونان ــ القدر يريد هذا ..

روبير ــ نحن نذكر القدر ونتعلق به حينما تفلس ارادتنا . اعمالنا اقدارنا

دونان ــ أتعتقد في هذا ؟

روبير ــ (الى الآنسة لورين) ماذا تقولين يا آنسة ؟

لورين ــ ربما كنت على حق ..

روبير ــ وانت يا آنسة روز ؟

روز ــ لقد قلت الحق .. فان المثل يقول بدل ما بنفسك تتبدل لك الايام ، وساعد نفسك تساعدك السماء

دونان ــ (لروز) اذن انت تشاركين ابن اخي رايه ؟ .. بديع للغاية .. (الى الآنسة لورين) يا صديقتي العزيزة ، خطرت لى فكرة اريد ان اطلعك عليها .. لندع الشباب يأخذان بأسباب الفلسفة ويتناقشان في القدرة والارادة ..

لورين ــ لك ماتريد

(يخرجان الى الحديقة ويتبعهما روز وروبير حتى الباب وتسود برهة سكون ، ثم ينظر كل منهما للآخر ويتبسم ، ثم ينطلقان في ضحك شديد)

المشهد الخامس

روبير ــ لقد ضحكنا ، والسبب واضح .. ويبدو لى انك لست من السذاجة بحيث تخفى عليك دخائل هذه الفكاهة اللطيفة التى كانت تمثل الساعة ؟

روز ــ لم يخف على شيء منها

روبير ــ يريدان ارغامنا على الزواج

روز ــ اجل

روبير ــ انت لطيفة وسيمة ؟ !

روز ــ وانت أنيق فاتن ؟ !

روبير ــ آه ، انهما من الشطار فيهما خبث لطيف بنسج مؤامراته بخيوط حريرية بيضاء ، وقد

تركانا أطيب ما نكون هـدوءا واحسن ما نكون امتدادا بالنفس. لى عم يعتقـد انه من دهاة الساسة !

روز ـ ولى عمة ..

روبير ـ كلاهما من معـدن واحـد . ارجو أن تصرحي لى يا آنسة ، هل انت مصرة على الزواج ؟

روز ـ كلا ..

روبير ـ وانا ايضـا .. كذا المصـارحة والتفاهم ! ! اعطنى يدك .. (يقبل يدها) ها نحن على وفاق .. وها قد أصبحنا صديقين

روز ـ ما أكثـر ما تعجبنى صراحتك !

روبير ـ ارجو الا اكون قـد آلمتك فى شيء ..انت فى الواقع مؤنسـة ولطيفـة وجديرة بان تسعدى بالزواج ، ولـكن ماذا اقول؟ ؟ اصارحك باننى لم اهيىء نفسى بعد لمهمة الزواج

روز ـ ولا انا .. يبـدو لى انك حقا آسر بلطف حديثك ! !

روبير ـ لندع تبادل انخاب المديح ، لانه لن يحل الموقف الذى تحرجنا فيـه ، ولنبحث كيف نبسط لهما اسباب ما انتهينا اليه من هذا الخلاف الودى

روز ـ هذا حق .. ان عمتى ستغض من سـماع رفضـنا الزواج

روبير ـ ولن يكون عمى اقل منها غصة ونكدا . وفوق هذا فانه سريع الغضب، واننى وريثه الوحيد .. ولهذا فاننى أخشى نتيجة غضبه ، ولا بد لنـا من مخرج

روز ـ اذن كيف السبيل الى ارضائه وارضاء عمتى ؟

روبير ـ اسمعى .. خطرت ببالى فـكرة ، فـكرة صائبـة (يضحـك) ماذا تقولين فى امر زواجك من عمى ؟

روز ـ اقبل .. ولـكن على شريطة ان تتزوج عمتى

روبير ـ آه .. لا . هذا لن يكون .. لنفكر فى مخرج آخر (يفكر قليلا) اليك .. اليك .. ما قولك فى ان نزوج عمى من عمتك ؟

روز ـ (وهى تقفز من الفرح) فكرة رائعة ! ! حقا ، ان كلا منهما يصلح للآخر

روبير ـ وفوق هـذا ، فانه يلوح لى ان جانبا من حيـاتهما يؤلف قصة هما بطلاها .. وقد حالت الايام دون انهائهـا على الوجه الذى كانا يرغبان فيه . فلنحـاول اصـلاح ما افسـده الدهر .. ولنسـاعدهما على تسجيل الفصل الاخير من القصة

روز ـ لعلك مصيب فى ظنك .. ولكننى أخشى أن يرفضا هـذه المساعدة

روبير ـ سـنرى .. آه ، يريدان أن ينصبا لنا فخا ، وقد جاء دورنا فى رد هذه التحية . يرغبـان فى اتمام عقـد قران ، ويفتنان فى سبيله ، ويركبان من أجله كل حرج ! ! حسن فليكن

لهما ما يرغبان فيه ، ولكن على وجه آخر ، وسيضحك جيدا من يضحك اخيرا

روز ـ لقد كانا يتبادلان الحديث فى حنان عجيب .. الم تلحظ هذا ؟

روبير ـ بل وفى شغف يقارب الوله الكظيم .. هيا يا آنسة ولنعد العدة لمفاجاة نطلع بها عليهما . فلنجلس هنا (يجلسان على الاريكة) .. وليقترب كل منا الى صاحبه (تقترب منه) ايضا، ايضا، وارجوك.. لنتظاهر بأننا على وئام ، واننا قد اتفقنا على الزواج

روز ـ ولكن ...

روبير ـ اسكتى فقد اقبلا.. هيا اهمسى فى اذنى معسول الكلام .. وهاك ذراعى احوط بها كتفيك

(تمضى فترة صمت يدخل اثناءها السيد دونان والآنسة لورين فيقفان مبهوتين لما يريانه)

المشهد السادس

دونان ـ (بصوت منخفض الى الآنسة لورين) بديع للغاية لقدنجح تدبيرنا.. انهما يسيران، بل يركضان ركضا لتحقيق ما نريده لهما

لورين ـ هكذا ولما يمض غير وقت قصير ؟ ؟

دونان ـ انهما يسرعان الى تحقيق امنية راودتهما ولايعبآن بشىء . هذا فى حين ان غيرهما ، ويا للأسف ، يداور ويتلكأ ! !

لورين ـ اراهما لاينقطع لهما حديث ! !

دونان ـ وغيرهما صامت لا ينبس بحرف (يتظاهر بالسعال) ايه يا صغيرى ، يظهر انكما لم تضيعا وقتا طويلا فى التفاهم ..

روبير ـ نعلم جيدا يا عمى ان نجاح عمل من الاعمال لا يتقيد بطول الوقت أو قصره . لقد تفاهمنا فى الحال . وكيف لايكون غير هذا ؟ ان الآنسة تفيض لطفا ورقة ووسامة كما اخبرتنى ! !

روزـ وهو يسطع اناقة ويشع فتنة ، كما اكدت يا عمتى ! !

دونان ـ (الى الآنسة لورين) كذا ! .. ان الامور بين ايديهما تنطلق سراعا ولا تلهث

روبيرـ فى عصرنا تمرق الطائرة فى الجو بسرعة خسمائة كيلو فى الساعة .. وكذلك الحال امام رغباتنا فى دنيا الغرام

دونان ـ اذن فقد اتفقنا ؟

روبيرـ تماما . وسوف ترى ! اتفقنا على أمرين : الاول اننا لا نتزوج

لورين ـ (والدهشة تعقد لسانها) ان لا تتزوجا ! !

روبير ـ (مستمرا) والامر الآخر أن نعمل على عقد قرانكما انتما الاثنين

دونان ـ نحن الاثنان ، ماهذه الفكاهة السخيفة ! !

روبير ـ ليست هناك فكاهة

من نوع ما ، بل هو الجد ما نتحدث فيه ، كلاكما يضمر امرا ويظهر امرا آخر . كان قلبك يحكي كثيرا في حين ان شفتيك بقيتا مربوطتين كحواف الكيس المغلق ، لم تجرؤ يداك على أن تمتدا نحومن تهوى ، ولكن ايدينا جريئة . هات يدك يا عمي (يمد يده نحوه)

دونان – (يقاوم بملامح وجهه) ماهذا ! ! ماهذا السلوك العجيب

روبير – لا تقطب جبينك يا عمي ، ولا تعقد ما بين عينيك . هذا غير جميل منك .. لا ... لا تحاول أن ترفع صوتك ، وان تأخذ في الخطابة ، فاني المح دمعة صغيرة تنبثق في عينك ، انت في اعماقك جد سعيد أن ترى ابن اخ لك قد هدته العناية الى استبطان دخائل قلبك

روز – (الى عمتها لورين) هات يدك ياعمتي (تشبك يديها ولا تجيب ثم تشيح بوجهها)

روبير – ايديكما ترتجف ، الانفعال فيها يهزها هزا ، ولا تبدو عليها علامة للرفض

روز – انها ايد رقيقة انحلتها العاطفة المكبوتة المعذبة ، ولكنها ايد تنطق بالرضا والقبول

(فترة صمت ، يشخص كل من العم والعمة نحو الآخر في حنان)

دونان – (وقد ارتسمت ابتسامة على فمه وهو يوجه القول الى الآنسة لورين) لقد استطاعا ان يخلصا منا ..

لورين – (مقاطعة) وهكذا تنعكس الآية

دونان – سامحي هذا الشباب المجنون

لورين – (جادة) يا صديقي انهم العقلاء ، ونحن المجانين

دونان – اذن انت توافقين ؟

لورين – بكل سرور ، ومن كل قلبي (يمسك كل منهما بيد صاحبه)

روبير – والآن يا آنسة روز بما أننا أصبحنا اولاد عم ، أو ما يقرب من هذا ، فقد اصبح مسموحا (يقبل كل منهما صاحبه) وانتما ؟ (مشيرا الى العم والعمة) تقفان هكذا جامدين كتمثالين ! ! شيئا من الحياة والجراة ، هانحن ندير وجهينا ، بعد ان ارشاكما ما يجب ان تفعلاه (يقبل العم والعمة كل منهما صاحبه)

لورين – وأنتما يا ولدى ؟

دونان – ما الذى انتويتما عمله ؟

روبير – يكفي ما عملناه اليوم اكملنا حبا كان الحياء يحول دون بلوغ تمامه ، لقد امتلأت سعادة وغبطة ، واخشى سوء الهضم ، ولكن كلمة يا عمي ... ارجو أن لا تنجب أطفالا ، فانني ما زلت وريثك الوحيد !

(ويضحك الجميع)

ستار

هب انك صرت قاضياً .. وعرضت عليك هذه القضية ، فماذا تحكم فيها ؟

السارق الذي لم يسرق !

بقلم الأستاذ حسن جلال

القاضي بالمحاكم المختلطة

لما نزلت بلدة (ط) في الصعيد «الجواني» — كما يسميه أهله — لأكون قاضيا لمحكمتها ، كان ذلك منذ حوالي عشرين سنة تقريبا . وكان لهذه المحكمة في ذلك العهد قاضيان . وكان زميلي الذي اشتركت معه في تناوب «الجلسات» هو المرحوم (ع . س) ذلك القاضي الصارم الذي كانت تتندر الدوائر القضائية بشدة أحكامه ، وتروى عنه الغرائب وبخاصة في جرائم السرقات . فلقد كانت له حساسة خاصة لهذا النوع من الجرائم . لا يكاد يطيق أن يسمع رجلا يقول : « سرقوني ! » ، كما لا يكاد يطيق أن يرى رجلا يقال له : «حرامي»! . وكنت قد سمعت عنه — قبل أن أراه — أنه حكم مرة على رجل بالحبس مع الشغل سنة ، لانه سرق « كوزا » من الاذرة . أما من كان يضبط في داخل منزل من منازل الناس ، فلم تكن له عند زميلنا — وسع الله عليه — الا عقوبة السرقة في حدها الاقصى الذي قرره القانون (الحبس ٣ سنوات)!

وكنت أعرف أن معظم هذه الاحكام كانت تخفض مدتها عند ما تستأنف . فان سارق « كوز » الاذرة مثلا ، لن يجد قاضيا يحكم بحبسه غير أيام معدودة . ذلك هو ميزان العقوبات الذي تواضع عليه القضاة فيما بينهم . والذي يأخذه حديثهم عن قديمهم ، ويتلقن أصوله صغيرهم عن كبيرهم .. ولكن أخانا — رحمه الله — اتخذ لنفسه معايير خاصة كان « يكيل » بها اذا « جلس » . وهو لا يبالي ما يفعل بعد ذلك أصحاب المعايير الاخرى الذين يراجعون أحكامه عند استئنافها ...

ومن عجب أن هذه الخطة التي رسمها زميلي لنفسه قد أرضته ، وحققت له أهدافه . على الرغم من تفرده بها وعدم معاونة زملائه له في تدعيمها واقرارها . فقد كان من المفروض مثلا — وقد اشتهر عن هذه الاحكام الصارمة أنها تعدل بالتخفيض في دوائر الاستئناف — ألا يكون لها تأثير خاص في نفوس المجرمين . ولكن الواقع

غير ذلك . فانه لم تكن تنقضي على زميلي هذا في أية دائرة من الدوائر التي يعمل فيها بضعة أشهر حتى تكون نسبة الجرائم في محكمته قد نقصت — وبخاصة جرائم السرقات . وكان وجوده في بلدة من البلاد يعطل الحوادث الجنائية فيها لقسوة أحكامه، وخروجه بها عن دائرة المألوف والمعروف . وكان من المأثور عنه أن اللصوص يهاجرون في عهده من البلدة التي يتولى القضاء فيها . ويتسربون الى البلاد المجاورة يتربصون فيها «للحركة القضائية» التي تزحزحه عنهم ، ليستأنفوا نشاطهم المعهود في ظلال الاحكام العادية « العادلة » !

●

كنت سعيدا برؤية زميلي هذا عند ما نزلت تلك المدينة القاصية . . وكنت أميل الى حديثه ، وأعمل جاهدا على كشف سر قسوته التي اشتهر بها لاني حسبت — كما قد يتبادر الى ذهن كل انسان — أنه هو نفسه كان ضحية سرقة آلمته في وقت ما ، ولذلك كتب على لصوص هذا القطر أن يكفروا عن خطأ زميلهم الفاسد الذوق الذي لم يحسن اختيار فريسته . فجر على « الطائفة » تلك المصيبة الثقيلة ، حين مد يده الى متاع القاضي ليسرقه ! ولكنى عرفت منه في أحاديثنا الخاصة أنه لم يقع عليه قط أي اعتداء من هذا النوع . وأن ما يراه الناس اسرافا منه وشططا ، يراه هو اعتدالا وحكمة . فالامر بينه وبين غيره لا يعدو أن يكون اختلافا في تقدير العقوبة . والمشرع حين جعل عقوبة الحبس في السرقات من أربع وعشرين ساعة الى ثلاث سنوات ، ترك للقاضي أن يحدد المدة التي يراها صالحة لكل حالة من الحالات التي تعرض عليه . وليس أدل عنده على صحة موازينه ومعاييره من تلك النتائج الباهرة التي كان يصل اليها عن طريق أحكامه الشديدة

قال لي يوما :

«لست غافلا عما يقوله الناس عني، ولا عما تفعله « الدوائر الاستئنافية » بأحكامي . وان كان لواحد منا أن يدهش لتصرفات صاحبه ، فان لي أنا أن تأخذني الدهشة كيف تصدفون عن الاخذ بطريقتي الناجحة في القضاء على الجريمة . وتصرون على اتباع طريقتكم الفاشلة التي أحالت دور المحاكم في أيديكم الى « ساقية » من « سواقي جحا » التي تملأ أحد « قواديسها » بماء « قادوس » آخر . فهي أمام من يراها آلة من آلات رفع المياه ، بدليل هذه القواديس التي لا تزال تمتلئ وتفرغ . ولكنها في الحقيقة لعبة فارغة لا نفع فيها ، لانها لا تنتج شيئا . واذا كنتم تشهدون بأن أحكامي هي التي تطارد الاشقياء ، وتخنق في نفوسهم عوامل الشر . فقد وجب عليكم أن تعترفوا بأن « الاحكام

العادلة » الاخرى التى تواضعتم على معاييرها التافهة ، هى المسئولة عن اختلال الامن وانتشار المجرمين !

وأقول الحق : لم أدر كيف أجيبه — عليه رحمة الله

●

كان زميلى أقدم منى. ولذلك كانت تسمى جلساته «جلسات الدائرة الاولى» وكان موعدها السبت والاحد والاثنين من كل أسبوع. أما أنا فكنت صاحب « الدائرة الثانية » وكانت جلساتى تشغل بقية الايام ..

فلما جاء دوره فى ترك الصعيد والزحف شمالا نحو القاهرة وما وراءها ، عين بدلا منه قاض حديث . فوجب على أن أتقلد رياسة « الدائرة الاولى » بدورى لاترك «الدائرة الثانية» للقاضى الجديد ..

وشعرت بما سأجد من حرج فى الجلوس مكان زميلى .. فان قسوته لم تكن فى طبعى. وكنت أومن بأن القسوة قد يكون فيها مزدجر . ولكن الذى لم أكن أسيغه أن يسجن رجل لمدة عام بسبب «بصلة» أو نحوها ، وذلك لكى يكون عبرة يعتبر بها غيره . فان فكرة العدالة المجردة تقتضى أن يحمل الانسان وزر عمله وحده . والضرورة — كما تقول القاعدة الشرعية — تقدر بقدرها . وسارق البيضة لا يجوز أن يعامل معاملة سارق الجمل . نعم ان من يسرق البيضة اليوم قد يسرق الجمل غدا .. ولكن هذا لا يبرر عندى أن أتعجل الحوادث . فلتكن له اليوم عقوبة يومه .. أما الغد فقد لا يجيء بالقياس اليه . وان هو جاء فقد يجيء مع التوبة وانصلاح الحال ..

وكان ما توقعت فعلا ..

ففى مستهل الجلسة الاولى التى حضرتها مكان زميلى .. عرضت على قضية «شروع فى سرقة» — أى أن المتهم لم يسرق فيها شيئا بعد ، ولكنه كان بسبيل ذلك . وكانت هذه القضية قد عرضت من قبل على زميلى السابق ، ولكن المتهم لم يكن حاضرا فى الجلسة اذ ذاك . فصدر عليه « حكم غيابى » بحبسه سنة مع الشغل ، كالمعتاد ..

وظلت جهة الادارة تسعى فى البحث عن هذا المتهم « الغائب » حتى عثرت عليه أخيرا . فلما شرعت فى تنفيذ الحكم الصادر بحبسه استعمل حقه القانونى بأن «عارض» فى التنفيذ . وطلب اعادة النظر فى قضيته ، حتى يسمع القاضى دفاعه على الاقل قبل أن يحكم بادانته

وتصادف أنى كنت أنا قاضى هذه المعارضة ..

فلما نوديت القضية ، وجهت التهمة الى المتهم .. فأنكرها . فتصفحت أوراق القضية على عجل . فوجدت فى محضر تحقيق البوليس ما خلاصته أن رجلا يشتغل بالحراسة الليلية فى « شونة »



كيف تنكر التهمة اليوم وقد اعترفت بها يوم ضبطك ؟

غلال بالمدينة،عاد الى منزله قبيل الفجر ذات يوم • وطرق باب الغرفة التى يسكنها هو وزوجه • وبعد برهة سمع صوت زوجه من داخل الغرفة وهى تستغيث • ثم رأى رجلا يفتح نافذة الغرفة ويثب منها الى الطريق العام محاولا الهرب • فتعقبه حتى رآه يدخل منزلا قريبا يتوارى فيه • فدخل عليه ، فاذا هو ممدد على فراشه يتظاهر بالنوم • فأيقظه وعاد به الى داره ، حيث اجتمع الخفراء والجيران • • فعرفته زوجه لاول وهلة،وقالت : انه هو «الغريب» الذى شاهدته يثب من النافذة عند ما استيقظت على طرق زوجها للباب • وقدمت لزوجها الملابس التى كان هذا الغريب قد أخرجها من « الدولاب » تمهيدا لسرقتها والهرب بها • فقام رجال الضبط بالقبض على المتهم، وساقوه الى المخفر • وهناك اعترف أمام الضابط بأنه هو الذى ارتكب الحادث فعلا •

فحوله الضابط الى «النيابة» ! ولكنى لاحظت أن النيابة لم تأمر بحبسه — على حسب المألوف فى مثل هذه الملابسات — بل قررت «اخلاء سبيله» فورا — وبغير ضمان — أيضا! وكنت أعرف أن العمل جرى عند اخلاء سبيل المتهم فى سرقة أنه لا يخلى سبيله الا ان جاء بالضمان الشخصى ، أو — على الاقل — بالضمان المالى الذى تقدره النيابة فقلت فى نفسى وأنا أبتسم :

— سبحان الذى جمع كل هذا « التسامح » فى صورة وكيل للنيابة مع كل ذلك «التشدد» فى صورة قاض ثم ضم الاثنين فى مجلس واحد !

●

وبعد أن فرغت من تصفح التحقيقات ، ألقيت نظرة سريعة أيضا على «حيثيات» الحكم الغيابى الذى قضى بحبس هذا اللص الفاشل سنة كاملة ، لانه لم يعرف كيف يهرب بصرة فيها ثوبان قبل أن يفتضح أمره ويجتمع عليه أهل الحى . فلم أجد شيئا جديدا يبرر شدة الحكم . اذ كان الحادث من حوادث السرقة الخفيفة غير ذات « الظروف المشددة» من «اكراه» أو «حمل سلاح» أو غير ذلك . كما أن المتهم لم تكن له « سوابق » تدعو الى تشديد العقوبة وأدركت أنها واحدة من آحاد زميلى الراحل . فقلت فى نفسى :

— سأقرأ له « الفاتحة » وأستغفر له ربى اذا فرغت من الجلسة !

ثم رفعت رأسى الى المتهم ، وسألته :

— كيف تنكر التهمة اليوم ، وقد اعترفت بها يوم ضبطك ؟

قال : «أنا لا أنكر التهمة . ولكن عندى كلمتين أحب أن أقولهما لك على انفراد ! »

قلت : « ما ينبغى أن يكون بينى وبينك كلام على انفراد . . فقل ما تشاء هنا فى الجلسة ، لكى يثبته الكاتب فى محضره ان كان لديك ما ينفعك قوله »

قال : « هل كتب عندك وكيل النيابة ما قلته له وأنا فى غرفته ؟ »

قلت : «نعم ! لقد استجوبك ، وأثبت أيضا اعترافك بدخول غرفة « المجنى عليه » وبضبطك بعد ذلك وأنت تصطنع النوم فى منزلك ! »

قال : « ألم يذكر غير ذلك ؟ »

قلت : « بلى ! »

قال : حسنا ! فأنا ما أزال ألح فى أن أقول لك ما عندى على انفراد ، كما فعلت مع «النائب» ، ثم احكم بعد ذلك بما تشاء

وكان فى حديث الرجل ما يشعر بأن لديه كلاما يستحق أن يقال على انفراد . فأخرت نظر قضيته الى ما بعد الفراغ من بقية قضايا ذلك اليوم «الميمون» الذى كنت أتوقع بركاته ونفحاته من قبل ! وانصرفت — صابرا ممتثلا — الى عملى حتى انتهيت منه . ثم قمت من مجلسى وأويت الى غرفتى . وهناك دعوت ذلك المتهم «المعارض» فجاءونى به . فأدخلته

وأوقفت الجندى بالباب حتى يكون قريبا ممن يحتاج اليه منا ! ونظرت الى المتهم نظرة من يقول : ها أنذا أستمع اليك .. فماذا عندك من كلام ؟ ولكنه وقف فى مكانه صامتا مطرقا ، لا ينطق ولا يبس ..

فقلت : « لعلك لم تشأ أن تذكر بالسوء أمام الناس صرامة الحكم الذى أصدره عليك زميلى السابق ؟ »

قال : « لا .. فانى أستحقه ! »

ففتحت عينى واسعتين أنظر بهما الى وجه هذا المجنون ، وقد بات يخامرنى الشك فى سلامة عقله .. وقلت فى نفسى :

— يعلم الله انى كنت دائما أعترض على أن يؤخذ الرجل بجريرة غيره ! وها أنذا لا أرانى الا مكفرا عن قسوة زميلى نحو هؤلاء المجرمين على يد هذا المجنون الذى أمامى ، والذى عرف كيف يستدرجنى الى خلوة !

وعدت اليه ملاطفا أسأله فى وداعة ظاهرة عما يعنيه بقوله انه يستحق ذلك الحكم « الشديد » ! وقد حرصت على أن أصف الحكم الغيابى « بالشدة » عسى أن يفهم ذلك التعس أن الامل كبير فى تخفيفه ، وعسى أن يكون هذا بدوره عاملا على الاحتفاظ له بما بقى من سلامة أعصابه ..

ولكن الرجل نظر الى نظرة استعطاف وذلة وهو يعترف بخطئه ويقول :

— أنا غلطان ! وأستحق كل ساعة من ساعات السنة التى قضى على بأن أحبس فيها ! ولكنى لست سارقا ولا شارعا فى السرقة .. والامر لكم على كل حال !

وومض فى خاطرى ذلك الاعتذار الآثم الذى يوحى به ذلك الشرير . اذ يعترف بخطئه فى الوقت الذى ينفى فيه أنه دخل للسرقة — فوجدتنى أكاد أفقد أعصابى اشمئزازا من هذا الدفاع السمج الممقوت . ولم تكن هذه أول مرة أسمع فيها من مثل هذا اللص الحقير الذى يضبط متلبسا بجريمته أنه انما دخل بناء على دعوة خاصة من ربة الدار — وكنت فى كل مرة أظفر فيها بمثل هذا الآثم الميت الضمير الذى يأبى الا أن يضاعف من جرمه بسوء الاعتذار — كنت أراعى فى معاقبته أن يأخذ حظه كاملا . فأغلظ له العقوبة بقدر سوء اعتذاره . ولم أنس فى هذه القضية بالذات أننا كنا فى صميم « الصعيد » . وأن العرض عند أهله يقوم بأضعاف قيمته . وأن كلمة واحدة فى هذا الصدد تتسرب من غرفتى الى أسماع الزوج ، قد تكون سببا فى قتل امرأة ، وهدم بيت ، وفضيحة أسرة ..

●

فعاودت الرجل فيما يوشك أن يقول ، وحذرته عاقبة السخف الذى يوشك أن يتورط فيه . فقال :

— أنا لا أريد شيئا كثيرا .. انما

أريد أن أوجه لصاحبة الدار سؤالين اثنين !

قلت : « ما هما ؟ »

قال : «أولا : هل كان الباب مقفلا من الداخل عند ما طرقه الزوج ؟ »

« ثانيا : هل كان الشباك مقفلا من الداخل أيضا قبل أن أخرج منـه الى الطريق ؟ »

قلت : « ان جواب السؤالين ظاهر في التحقيقات .. فالزوج يقـول انه طرق الباب لتفتحه له زوجه، وهذا معناه أنه كان مقفلا من الداخل . والزوجة تقول انها عند ما استيقظت على طرق الباب رأتك وأنت تفتح الشباك من الداخل لتثب منه الى الطريق ، وهذا معناه أنه كان كذلك مقفلا من الداخل

قال : الحمد لله ! .. دلوني اذن من أين أكون قد دخلت اذا لم يكن الامر كما أقول ..

فوجمت !

واستمر الرجل في كلامه ، فقال :

– لقد ذكرت «للنائب» هذا الذي أقوله الآن ، فأمر بالافراج عني فورا وبدون ضمان .. ولكني توسلت اليه ألا يثبت شيئا في محضره مما قلت !

قلت وأنا شارد الذهن :

– نعم ! لقد فعل !

●

في ذلك اليـوم لم أشأ أن أنطق بحكمي في تلك القضية . ولكني أرجأت النطق به الى أجل سميته ..

ويخيل الى أن من حق القاضي أحيانا أن يشرك الناس معه في بعض ما يحيره ولذلك فاني لا أقول اليـوم أيضا كيف صدر الحكم في تلك الدعوى . ولكني أترك لكل قارىء أن يجلس ولو مرة مجلس القاضي وأن يصدر ولو مرة في الحياة حكما واحدا

حسن جلال

شكوى أديب

كان مصطفى باشا العرب رئيسا لقسم الترجمة بالديوان الخديوى في عهد المغفـور له محمـد توفيق باشا ، وكان صارما في معاملته لمرؤوسيه .. فرفع أحدهم – وهو محمد عثمان جلال بك صاحب « العيون اليواقظ » – الى الخديو ، قصيدة يشكوه فيها ، ويلتمس نقله الى عمل آخر ... وكان مطلعها :

الجوع والفقر والافلاس والجرب
ولا يكون رئيسى مصطفى العرب

الفكاهة

الأستاذ عبد الحميد عبد الحق ـ الأستاذ عباس محمود العقاد ـ محمد خطاب بك ـ الأستاذ نجيب الريحانى ـ الأستاذ بديع خيرى

ساهم فى هذه الندوة خمسة من أقطاب الأدب والفكاهة .. ولكى تنقل للقراء صورة صادقة لهذه الجلسة « الضاحكة » سجلت عدسة الهلال « قهقهات » المتحدثين وتعبيرات وجوههم وهم يتبادلون الدعابات ويروون أطرف ما سمعوا وقالوا من فكاهات

كان موعد انعقاد الندوة الساعة العاشرة والنصف .. وحضر المدعوون فى الموعد المحدد ، وظلوا يترقبون حضور الاستاذ عبد الحق أكثر من ربع ساعة. وعندئذ قال الاستاذ العقاد :

ـ افضل أن نبدأ الحديث .. فلا بد أن زميلنا الاستاذ عبد الحق قد نسى الموعد

الاستاذ خطاب ـ اذكر ان الاستاذ عبد الحق دعانى مرة لتناول الغداء فى بيته، فلما ذهبت فى الموعد المضروب ، قيل لى انه سافر الى « برج العرب » منذ الصباح الباكر بقصد الاستجمام

الاستاذ العقاد ـ يظهر انه ذهب كى يحضر لك « حمام » من البرج !

الاستاذ الريحانى ـ والله حال .. بقى كده ، عبد الحق ما يقولش « الحق » .. القصد خلينا ندخل فى الموضوع ..

كيف تعلمنا الضحك ؟

الاستاذ العقاد ـ الانسان حيوان ضاحك .. فهو ينفرد بهذه الخاصة . وبالرغم من أن الطفل يولد وهو يبكى لدخول الهواء فى جوفه ، الا أنه لا يضحك الا بعد أن يبلغ من العمر نحو أربعة أشهر، وذلك لأن الضحك يحتاج الى تدرب وتفكير . هذا طبعا فى الطفل العادى، أما الاستاذ الريحانى .. فلعله بدأ يضحك ولما يبلغ الاسبوعين من عمره

الاستاذ خطاب بك ـ بل يغلب أن يكون قد ضحك من الدنيا لاول ما رآها

الاستاذ الريحانى ـ اعتقد ان الانسان الذى يضحك كثيرا ، هو الذى بكى كثيرا .

خطاب بك ـ تصديقا لقولك اذكر انه مرت على فترة كنت لا أكف فيها عن الضحك ..

وذهبت الى أحد الاخصائيين فى التحليل النفسى ، فقام بتحليل نفسيتى تحليلادقيقا . والعجيب انه اكتشف ان مبعث افراطى فى الضحك ، يرجع الى حزن دفين اردت ان اكتمه واخفيه عن اقاربى واصدقائى ومخالطى . فلا ريب فى ان الضحك يكون احيانا نتيجة احزان كامنة فى اعماق النفس

الاستاذ العقاد ـ من الاقوال المأثورة لبيرون فى هذا الصدد : « اننى اضحك كى لا ابكى »
I laugh so that I may not weep

الاستاذ الريحانى ـ كلام حلو!

خطاب بك ـ وكما يقول الاستاذ العقاد ، الضحك وليد العقل والتجارب .. اما العبوس فيدل على الجهل وقصر النظر

الاستاذ الريحانى ـ اعتقد ان الضحك ينطوى على شيء من التشفى . فنحن اذا رأينا رجلا ـ داب على الزهو بشجاعته ـ يجرى فى الطريق لأن كلبا «هوهو» عليه .. ضحكنا ، اما اذا رأينا طفلا مكانه او امراة فاننا نعطف عليه

خطاب بك ـ يحب الانسان عادة ، ان يشعر بالسمو على الغير .. فاذا وقع شخص امامنا ضحكنا عليه ، لاحساسنا بأنه اقل منا

الاستاذ بديع خيرى ـ نحن بالفطرة نضحك على عثرات الغير

الاستاذ الريحانى ـ هذه روح

الأستاذ الريحاني ـ إلى اليمين ـ يقول لمحمد خطاب بك : « والله عال .. بق كده عبد الحميد عبد الحق ، ما يقولش الحق ! »



« بطالة » متأصلة فى نفوسنا ، ينبغى استئصالها ..

الاستاذ العقاد ــ لا ارى ان الضحك دائما وليد التشفى .. فكما يقول « برجسون » اننا نضحك من الانسان اذا اشبه الآلة فى تصرفه ، او لتصرف المرء تصرفا « أوتوماتيكيا » .. فهب انك طلبت من خادم مرة احضار كرسيين فى غرفة الطعام ، لان المدعوين كانوا ثمانية وكراسى المائدة ستة فقط . وفى مرة أخرى دعوت اربعة اصدقاء .. فاذا بالخادم يحضر كرسيين اضافيين، كما فعل فى المرة السالفة بغير تفكير فى عدد المدعوين .. فاننا نضحك لهذا الفعل

الاستاذ بديع خيرى ــ لعل هذا تفسير أفضل

خطاب بك ــ دنيانا مليئة بالارزاء والاحزان والآلام .. وكل امرىء عاقل يستخلص من تجاريبه فى الحياة ان الاستسلام للأحزان يسمم بدنه ويذهب بصحته وحيويته . لذلك يسعى الى التغلب على أحزانه بالاستغراق فى النواحى المرحة من الحياة . ومن يتصفح تاريخ الشعب المصرى ير انه اجتاز فترات عصيبة ، ذاق فيها مرارة الذل والحرمان .. ولكنه مع ذلك ظل محتفظا بشخصيته المعنوية بفضل روح المرح الاصيلة فى نفسه

الاستاذ العقاد ــ ان ما يقوله خطاب بك صحيح .. فالفكاهة قد تتخذ احيانا سلاح « بدل فاقد »

خطاب بك ــ لا .. ان سلاح الفكاهة ، سلاح دائم قوى

الاستاذ العقاد ــ فى قوة القنبلة الذرية ! ؟

خطاب بك ــ بل وخير منها .. فالقنبلة الذرية لا تفيد شيئا اذا فقدت الامة روحها المعنوية .. اما المرح فانه سلاح طبيعى يحفظ للأمة حيويتها

الاستاذ بديع خيرى ــ يتخذ الناس النكتة ابان فترات الاحتلال والاستعمار سلاحا للتشفى من المحتل، وفى فترات السلم للتشفى من الغاصب المستبد

الاستاذ الريحانى ــ وعندى ان النكتة وليدة الضغط ايضا.. واطرف نكتة هى النكتة الطبيعية الخالية من التكلف . مرضت وانا طفل فحضر جار لنا ليسأل عنى وقال لأمى :

ــ الم يشرب « شربة » ؟

فقالت له امى : « أيوه يا بنى. ولكن ما عملتش غير مجلس واحد .. وادى وش الضيف »

خطاب بك ــ ومما يدل على ان النكتة قد تهدف الى التشفى، ما اثير ابان الحرب من حملات ضد اثرياء الحرب الذين اكتوى الفقراء بنارهم

الاستاذ بديع خيرى ــ تحضرنى بهذه المناسبة نكتة عن ثرى حرب أنجب مولودا فصار يعنى به اشد العناية ، وجاء له بخادم خاصة . وحدث يوما ان مرض الطفل وقال له الطبيب الذى فحصه انه مصاب ببرد شديد، فثار ثرى الحرب ، وقال للخادم :

ـ معلوم الواد يجى له برد .. ما دمت شايلاه طول النهار وماشيه حافيه

الاستاذ العقاد ـ وتحضرني نكتة لخطاب بك يوم كان في مجلس الشيوخ وفيه عضو معروف اسمه « زعزوع » ، وقد اعتاد ان يقاطعه ، فنظر اليه خطاب بك مرة ، وقال له :

ـ انت حا تسكت يا «زعزوع» ولا « اعصرك » !

خطاب بك ـ في اول عهد الموظفين بارتداء البذلات الافرنجية ، سأل احد المديرين عن الذين يفصلون هذه البذلات ، فقيل له « الترزية » ، ونسي الرجل هذه الكلمة ، فأمر حاجبه باحضار « التذكرجي » . فلما حضر من المحطة القريبة .. وطلب منه تفصيل بذلة ، قال الرجل :

ـ آسف يا سيدي البك .. لست ترزيا .. انني تذكرجي

فنادى المدير الحاجب ، وقال له في حدة ظاهرة وهو يحاول أن يبرر موقفه :

ـ انت مرفوت !

فدهش الحاجب لانه لم يكن قد ارتكب ذنبا يعاقب عليه بالرفت ، وسأل المدير عن السبب ، فقال له :

ـ قلت لك احضر لي التذكرجي ولكنك احضرت لي الترزى !

لماذا نقبل على الفكاهة ؟

الاستاذ العقاد ـ لأن الفكاهة اختيارية ، بينما الجد تكليف . والانسان لا يحب عادة ما يكلف به

خطاب بك ـ و « الجد » ايضا لا جديد فيه .. فنحن نشاهده كل يوم .. بينما الفكاهة جديدة ، ولذلك فهي طريفة . حينما كنت عضوا بالشيوخ اردت مرة أن انتقد تصرفات الوزارة من غير ان أثير الاعضاء ضدي ، فعمدت الى الفكاهة .. قلت :

ـ سمعت أن موظفا أصيب بمرض مفاجيء في قلبه .. فلما سألت عن السبب ، قيل لي انه قفز من الدرجة الثامنة الى الدرجة الاولى مرة واحدة . ولو انه سمح للجرائد بنشر ما نال الموظف من خير ، لاتضح ان هذا الموظف لم ينل سوى ست أو سبع علاوات ، فلا يكون ثمة مجال للاشاعات التي تروجها المعارضة ..

كنت اقول هذا وجميع الاعضاء يضجون بالضحك برغم ما فيه من نقد للوزارة . ان وضع الحقائق في « برشامة » من الفكاهة يحقق هدف المتكلم ، بغير ان يثير المخاطب

الاستاذ الريحاني ـ سمعت أن اللجنة التي تألفت للاشراف على اليابان حارت في طريقة معاملة الميكادو ، فاليابانيون يعتقدون انه ابن السماء وسليل الآلهة . فتقدم احد الاعضاء باقتراح طريف لحل المشكلة ، قال :

ـ مادام جلالته ابن السماء .. فأحسن طريقة يروح يعيش مع امه وخلاص !

الاستاذ العقاد ـ قد يكون

الضحك نوعا من الاشفاق على مصائب « موقوفة التنفيذ » فالمتفرج فى المسرح قد يضحك على مصيبة حلت بالممثل لأنه يعرف ان لا صحة لها .. ولو أنه شاهدها على مسرح الحياة الواقعية لبكى

خطاب بك ـ قرأت فى كتاب للعالم النفسانى « ادلر » انه بتر الذراع اليمنى لشابين بسبب حادث وقع لهما .. وبعد مدة رأى أحدهما فى ثياب رثة بالية .. فلما استفسر منه عن حاله ، أبدى له ما يعانيه من الهم والحزن بسبب الحادث الذى اعجزه من الكسب . وحضر اليه الشاب الآخر بعد فترة من الزمن باسم الوجه يفيض محياه بالبشر وتبدو عليه السعادة ، كى يدعوه لحضور حفلة زفافه ، وقال له انه هانىء سعيد ، وقد تعلم الكتابة بيده اليسرى ، وغدا ذا منصب كبير . وذكر لادلر انه كثيرا ما كان يتساءل لماذا خلق الله للانسان ذراعين مع ان يدا واحدة فيهما الكفاية .. وانه استخلص بعد التفكير أن اليد الاخرى لا بد أن تكون قد خلقت احتياطيا «ستيبن» ان المرح يجدد شخصية المرء ، ويجعل منه مخلوقا فتيا جديدا

الاستاذ العقاد ـ هذا مظهر من مظاهر قوة النفس .. ولو أننا تصفحنا تاريخ العظماء ، ما وجدنا واحدا منهم يخلو من روح الفكاهة . وهذا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ،كان يمزح ولا يقول الا حقا . قيل أن امرأة عجوزا سألته عن مصيرها ، فقال لها مازحا :

ـ لا تدخل الجنة عجوز

فلما بكت المرأة قال لها :

ـ ولكن شبابك سوف يعود اليك بعد البعث

خطاب بك ـ روى لى صديق ان أحد أثرياء الحرب اشترى راديو من الحجم الصغير .. وفى اليوم التالى اعاده الى صاحبه ، فلما سأله التاجر عن سر اعادته قال : « دا يا عم راديو صغير بيقول : «بسم الله اللحمن اللحيم» أثناء تلاوة القرآن

الاستاذ الريحانى ـ كان « مسطولان » صاعدين الى شقتهما فى منتصف الليل .. فاصطدم الاول بصفيحة قمامة موضوعة عند باب احدى الشقق ، فأحدث ضجة كبيرة فزع لها

الريحانى يضحك لاحدى دعابات العقاد



صاحب الشقة، وقال بصوت عال:
ـ من بالباب ؟

فماء المسطول كالقط ، قائلا :
« ناو ناو ناو »

وبعد برهة اصطدم الرجل الثاني في الصفيحة ، فأحدث صوتا مشابها ، فكرر صاحب الشقة السؤال : « من بالباب؟ »

وهنا قال المسطول : « ما قلنالك ... ناو ناو »

الفكاهة فى المسرح

الاستاذ العقاد ـ لا ريب في ان لبعض التمثيليات الفكاهية اثرا كبيرا في نفسية الجماهير . وقد احدثت بعضها انقلابات في حياة الامم كروايات « دون كيشوت » لسرفانتس ، وروايات « الديكامرون » لبوكاشيو

الاستاذ الريحانى ـ المسرح الفكاهي احب الى الجماهير من المسرح الجدى .. وان كانا يهدفان الى غاية واحدة . ولا ننسى ما كان لمسرحيات موليير ـ التى اقتبست عنها كثير من الكوميديات العالمية ـ من اثر فى نفوس الناس

والجمهور يحترم الممثل الهزلى اكثر من الممثل الجاد

الاستاذ بديع خيرى ـ ان الجمهور يحترم الممثل الفكاهي ، لانه يحس انه واحد منهم .. ينزل الى مستواهم ، ويبسط لهم المغزى بطريقة تستسيغها نفوسهم . اما الممثل الجدى، فانه يضع نفسه فى مستوى اعلى من مستوى الجماهير

خطاب بك ـ والمشاهد الهزلية تبقى عالقة فى ذهن المتفرج اكثر من المشاهد الجدية . كما ان جمهور المترددين على التمثيليات الفكاهية اكثر من المترددين على التمثيليات ذات الطابع الفلسفى الجدى

الاستاذ العقاد ـ الرواية الفكاهية لا تلغى الرواية الجدية .. ولكنها تؤثر فى نفسية المتفرج من غير أن يدرى . وانا لا اشهد روايات الاستاذ الريحانى على انها تسلية . وانما كدراسة تنطوى على جوانب اجتماعية وفلسفية متعددة . وانا احرص دائما على الا تفوتنى احدى رواياته

خطاب بك ـ وانا اعتبر روايات الريحانى دروسا اذاكرها لاولادى وامتحنهم فيها

الاستاذ الريحانى ـ هذا تقدير كبير أعتز به

بديع خيرى يتحدث بحماس عن التمثيل الهزلى





عبد الحميد عبد الحق — الى اليمين — يروى آخر نكتة . وقد « استلطفها » العقاد . . فاستغرق فى نوبة من الضحك !

وهنا حضر الاستاذ عبد الحق، فقال له الحاضرون : « لماذا تأخرت يا عبد الحق بك ؟ »

فأجاب فى لهجته الصعيدية المحبوبة :

— وهو انا « جطر » سكه حديد.. لازم آجى فى المواعيد؟!

أطرف نكتة

وانتقل الحديث الى اطرف ما سمعه المتسامرون من دعابات :

الاستاذ عبد الحق — كنت اترافع يوم السبت الماضي فى قضية للعمال ضد احدى الشركات الاجنبيةفى راس غارب.. فسألت مندوب الشركة وكان يدعى « سيرايت » Seeright عن سبب تفضيله للعمال الاجانب ، فقال لأنهم ذوو مؤهلات . وبدا لى ان اطلب منه ما يثبت صحة كلامه ، فظهرانه مغال فى ادعائه. وحينئذ قلت للقاضى :

— يظهر انه « سيرونج » Seewrong وليس سيرايت. وكلمة « رايت » فى الانجليزية تعنى صحيح ، بينما كلمة « رونج » تعني خطأ

الاستاذ العقاد — ولهذه المناسبة اذكر من نكت المحاكم ان أحد الموظفين المحالين الى المعاش، رفع قضية على الحكومة يطلب تعديل معاشه بين اللائحة القديمة واللائحة الجديدة ، وكان محاميه

ساويرس بك ميخائيل فسأله القاضي : « تحب نعاملك بالقديمة والا بالجديدة ؟ »

فاجابه على الفور: «باللى تطلع فى دماغكم ! »

الاستاذ عبد الحق ــ سألنى مرة ابنى الصغير: « مين بيسخن الشمس يا بابا ؟ »

فقلت له : « الملائكة يا بنى »

فقال الولد : « لازم الملائكة عندهم كوبونات جاز كتير قوى .. علشان كده الشمس مش بتبرد ابدا ! »

خطاب بك ــ شغلت ــ فى اول عهدى بالوظائف الحكومية ــ منصب سكرتير خاص لرشدى باشا . ودخلت عليه فى مكتبه للمرة الاولى بمجموعة من « الدوسيهات » والاوراق ، كى اعرضها عليه . وكان من بينها بطاقة من جمعية الرفق بالحيوان ــ وكان قد تبرع لها بعشرة جنيهات ــ كتب عليها «وتشكرات المدير» . فقال لى رشدى باشا بعد أن دقق النظر فى هذه العبارة :

ــ كلمة تشكرات هنا معطوفة على ايه ؟ !

فقلت له على الفور : «معطوفة على الجنيهات العشرة التى تبرعت بها للجمعية ! »

فقال فى ابتسام : « ولكننى قرات « الفية ابن مالك » من اولها لآخرها فلم أر حالة عطف مشابهة »

قلت له : « لازم تكون دولتك قرات طبعة قديمة من الالفية »

الاستاذ العقاد ــ كان حقك قلت له : انها واو بغير عطف ــ على أجرومية مبيض النحاس الذى يخرج من بيته وهو ينادى : «وابيض النحاس وابيض النحاس!»

الاستاذ عبد الحق ــ رشحت نفسى مرة عن دائرة ابى قرقاص، واضطررت أن أزور بلدة فى الدائرة بقصد الدعاية الانتخابية .. لم يكن قد سبقت لى زيارتها ، ولم يعرفنى أهلها الا بالاسم .. فوجدت أن معالم اهلها من ذوى الحجم « الممتاز » .. طول وعرض .. وكان وزنى فى ذلك الحين ٥٢ كيلو، وطولى كما تعرفون حوالى المتر ، واحسست اننى لو كشفت لهم عن حقيقتى لتزعزعت ثقتهم بى. لذلك قلت لهم : « من تنتخبون ؟ »

قالوا : « عبدالحميد بك راجل طيب ، بس احنا واخدين على خاطرنا منه لانه مابيزورناش ابدا »

فقلت : « انا ابنه .. وقد ارسلنى اليكم كى ابلغكم اعتذاره لعجزه عن الحضور شخصيا لمشاغله الكثيرة ! »

فقالوا : « فيك البركة يا بنى احنا عارفين ايه اللى عند عبد الحميد بك »

وهكذا مرت الزيارة بسلام .. ونجحت فى الانتخابات . ولكننى عرفتهم بنفسى بعد ذلك

الاستاذ الريحانى ــ والخلاصة ان الضحك لازم كالاكل والشرب

الاستاذ العقاد ــ ولذلك سننصرف فى موعد الغداء .. ونحن شبعانون مبسوطون

غرام .. في قصر معاوية !

قصة عربية

بقلم الأديب وهبي اسماعيل حقي

في حادثة الحب وقعت في قصر الخليفة معاوية بطلها ولي عهده « يزيد » ، أحب فتاة عربيا وأغرم بها ، واحتال وقته في تحقيق أحلامه ، ولكن المحاولة فشلت في النهاية ، وقد لعبت المرأة في هذه القصة دوراً مهماً

●

كانت الشمس قد توارت بالحجاب ، واصطبغ الافق بحمرة خفيفة ، ولاحت النجوم في صفحة السماء باهتة الضوء ، تؤذن أن القمر في الطريق وراءها ، وأخذت الحركة تخف في دمشق العاصمة ، وراح الناس يغادرون متاجرهم ، ويهرعون الى المسجد ليشهدوا مع الامام صلاة العشاء .

وتألقت الأنوار من نوافذ القصور وشرفاتها .. فتطل على المدينة شيئا من الجمال ، يطرب له من أغرم بفن الرومان في هندسة العمارة والبناء .

وكان قصر الخضراء أوفر القصور في دمشق بهاء ورواء .. تتراءى أطرافه واتسعت رحباته ، وتعددت نوافذه وأبوابه ، وتلألأت فيه الأنوار . وخلع عليه معاوية بن أبي سفيان كثيرا من الأبهة والجلال .. فقد جعل منه مستقرا ومقاما يتوافد عليه المسلمون من مختلف الأمصار ، وفيه كان يعقد لحكام الولايات ، ومنه تخرج الالوية ، وكان ابن أبي سفيان قد شبه بملوك الشام

من الرومان فى الفخفخة وأسلوب الحكم

والى جوار الخضراء ، قام قصر يزيد ابن معاوية . ولم يكن قد مضى وقت طويل على انتزاع البيعة له ، والناس ما زالوا من أمره وأمر أبيه فى ارتباك وحيرة ، فقد تنكبا طريق الخلفاء الراشدين ، وسلكا طريقا آخر لم تكن قد عرفته تقاليد الاسلام بعد . ولكن معاوية استطاع بسعة حيلته ، وحسن سياسته أن يقطع ألسنة المعاندين

وكانت أبواب يزيد تفتح كل ليلة للندمان والغزليين من الشعراء .. يتساقون الخمر ، ويتشببون بالجمال حتى يشيب غراب الليل — فى غير وقار ولا احتشام

ولكن قصر يزيد يلفه الليلة سكون القبور .. فلا حس ولا حركة ، اللهم الا نباح كلب من كلاب الصيد ينبعث من بين حين وآخر ، فيبدد السكون ، ويعيد للقصر شيئا من مظاهر الحياة

وهال رقيق — خادم معاوية الخاص — حين دلف الى قصر يزيد ، بعد انصرافه من قصر الخضراء الذى عج بالوافدين ، أن يرى القصر غارقا فى الظلمة ، تشيع فى جنباته الوحشة ، ولم يسبق له وقد طال به المدى فى خدمتهم — أن أحس ما أحسه الليلة من الضيق عند ما شهد القصر فى هذا الوجوم

عمد الى ايوان سيده وابن سيده ، يزيد .. فطالعه فيه ضوء شاحب ، ورأى يزيد فى أحد الاركان مطرقا فى منظر يثير القلق ، ويدعو الى التساؤل فايقن أن أمرا من الامور الجسيمة صرفه عن التفكير فى مجلس اللهو الذى تعود أن يعقده كل ليلة

ولكن أى أمر هذا الذى حال بين يزيد وبين تلك البشاشة التى ترتسم دائما على محياه ؟..

تردد رقيق طويلا وهو أمام سيده كالتمثال ، وتعثرت الكلمات فى حلقه ، ولكنه استطاع بعد محاولات كثيرة أن ينطق بهذه العبارة :

— أطال الله بقاء سيدى .. ليس لمن واتته الدنيا بمثل هذا الجاه ، وهذه الثروة العريضة ، أن يعبس للحياة ، ولا أن ينزوى فى أحد الاركان ، ان الدنيا بين أصبعين من أصابع أبيك ، فليس ثمة ما يعز عليك مناله ، فتبيت منه على هم ناصب

وما زال رقيق به حتى حمله على بث شكاته ، واستمع اليه يقول :

— حقا يا رقيق ، ان أمير المؤمنين قبض على الدنيا برجيح عقله ، وسديد رأيه ، وليس هناك ما يتأبى عليه اذا هو أراد ، ولكنى أحس أن أمور الدولة شغلته عنى فأغفل شأنى ، وأهمل أمرى .. وها أنذا يثقلنى الهم ، ويختلج فى قلبى الأسى على مسمع منه ومرأى ولست له على بال

ثم زفر زفرة أعلنت عن مكنون سره ،

ودخيلة فؤاده، وواصل حديثه يقول :

ـ كنت أرجو يا رقيق أن يسعفنى بالدواء قبل أن تستفحل العلة ، ويعز الشفاء ... انه الحب يا رقيق ، ملك قلبى ، وقيدنى بقيود لا أستطيع لها فكاكا ... أرينب بنت اسحق خلبت لبى بجمالها الندى ، ولطمت كبريائى ثم أشاحت عنى فى عزة واباء ..

وسكت يزيد وتحدثت عبراته بما كان يريد أن يتحدث .. وأراد رقيق أن يخفف عن سيده يزيد ، فقال :

ـ فداك أبى وأمى ، وأنى لأمير المؤمنين أن يعلم من أمرك الا أنك مثلوج الصدر ، قرير العين .. فقد حمل الناس على مبايعتك ، ومهد لك طريق الحكم من بعده ، وان شئت يا سيدى أن تلمس مدى حرصه على اسعادك، فائذن لى أن أحدثه فى شأنك هذا ، ثم أعود اليك بطيب البشرى

فقال يزيد بلهجة المتلهف :

ـ أذنت .. أذنت يا رقيق، فليس فى الصبر على تلك الحال سوى المرض .. ولست بزاهد فى الهناء .

فحياه رقيق وانصرف. ولكن يزيد اعتراه كثير من الندم على ما فرط منه وآله أن يضعف أمام خادمه فيبوح له بسره

وأسرع رقيق الى قصر الخضراء فهيأ للخليفة قهوة من بن اليمن، وهو يعلم شغف معاوية بها فى مثل ذلك الوقت من الليل، ودخل بها حين خلا الايوان الا من الخليفة. وكان لرقيق من الدالة على معاوية ما يجرئه على التحدث اليه فى أى حديث شاء ..

قال معاوية يداعب رقيق حين رأى ابريق القهوة بين يديه :

ـ ثكلتك أمك ، كيف عرفت أنى أشتهى القهوة الآن ..؟ لعلك يارقيق تقرأ الغيب ..

فأنس الخادم لهذه المداعبة، وقال:

ـ أطال الله بقاء أمير المؤمنين ، وثبت دعائم ملكه ، وسخر الدنيا فى خدمته ، ومكننا من القيام بواجب طاعته ...

فقاطعه معاوية ـ وكان ذا فراسة نافذة ـ بقوله :

ـ ولكنى أقرأ فى عينيك جديدا من الامور ، فبماذا أتيت يا ابن اللخناء ؟

فضحك رقيق وقال :

ـ انك يا أمير المؤمنين الدوحة الظليلة ، والشجرة الفرعاء ، ويزيد منك انسان العين ، وفلذة الكبد ، أسبغت عليه حبك ، وغمرته بعظيم فضلك ، ولكنى برحته الساعة مهموما يشتعل الاسى فى فؤاده .. لانك اشتغلت عنه، وأهملت أمره منذ أخذت له البيعة

وتجهمت أسارير الخليفة لتلك الكلمات ، وقال :

ـ وهل تتحدث الآن بلسان يزيد؟

فقص رقيق ما سمعه من يزيد .. فسكت معاوية برهة .. ثم قال :

ــ الى به الآن ! لن أراك يا رقيق الا ويزيد معك ..

وكانت عادة معاوية أن يدعوه اليه فى أى وقت من الليل كلما جد من أمور الدولة ما يستعصى حله مع كبار القوم ، ورجالات السياسة . وكان ليزيد الرأى الصائب والفكر النير ، لما اتصف به من الذكاء، ونضج العقل وسلامة الحكم على الامور

فلما دعاه رقيق بتلك العجلة ظن أن شيئا هاما قد حدث .. فلما مثل بين يدى الخليفة بادره أبوه :

ــ وماذا أهملنا من شأنك يا يزيد!؟ ما أخالنى الا أسرفت فى تهيئة السعادة لك ، ولقد كنت واهما حين اعتقدت أن قلبك يجيش بالسرور والغبطة ، وأن نفسك تفيض بالشكر، لقد مهدت لك الطريق الى المجد ، وطوقت عنق أصحاب النبى ، ورؤوس العرب بمبايعتك ، وأخذت عليهم المواثيق بطاعتك ، مع أحقيتهم بالأمر دونك، فماذا تبتغى يا بنى فوق ذلك من رعاية ؟.. فهل بعد كل هذا تشعر بانصرافى عنك ، واهمالى لشأنك ؟!

فخجل يزيد ... وهم أن يتكلم فخانه لسانه ، وأخيرا نطق فى صوت أقرب الى الهمس ، فقال :

ــ والله يا أمير المؤمنين ما كفرت بنعمتك ، ولا نسيت جميل فضلك .. ولكنه اليأس من تحقيق أمنيتى دون أن تمدنى بمعونتك ، جعلنى أن أقول ما بلغك آنفا من رقيق ، ولن أنكر يا أمير المؤمنين ــ عز سلطانك ــ أنك غمرتنى بموفور النعمة ، حين أخذت لى البيعة ، ولكنى كنت آمل أن تتم على نعمتك فتجمع بين أرينب بنت اسحاق وبينى ، وقد حدثتك عن رغبتى فيها لأنى بهرت بروعة جمالها ، وكريم خلالها

فقال معاوية :

ــ وليس لدى أبيك ما يحول دون الجمع بينكما لتتم عليك النعمة ، ولا تحدثك نفسك أنه أهمل أمرك

فقال يزيد فى حرقة ولوعة :

ــ وأنى ذلك يا أمير المؤمنين وقد حيل بيننا ... انها زفت الى واليك بالعراق عبد الله بن سلام من أبناء عمومتها ، وهو بها قرير العين ، ناعم البال

فقال معاوية :

ــ أو ليس فى نساء العرب من تملأ مكان أرينب من قلبك ؟ ان فى أحياء العرب من تخجل من طلعتها الشمس. ولن تعدم طلبتك. . فهذه دولة مترامية الأطراف مليئة بربات الحسن والجمال، فاختر لنفسك من تشاء ولا تقف عند واحدة

ــ وكيف السلوى يا أمير المؤمنين؟! لقد ضل بى الطريق اليها.. ان أرينب ملكت على جميع جوارحى ، فلست ارى الا طيفها ، ولا أسمع الا صوتها ،ولا أحس بغير وجودها، انها السمع والبصر

والفؤاد .. ثم اختنق بالبكاء . فقال أبوه وقد تأثر بحديثه :

ـ هدئ من روعك يا يزيد، وتجمل بالصبر ، فما قريب سيأتي الفرج ..

ـ وكيف الصبر يا أمير المؤمنين، واللهفة تحز في قلبي ، والأسى يلتهب في صدري ، فان خيط الأمل فيها قد انقطع

ـ انك من أولى النهى يا يزيد .. فلا تجعل لليأس الى قلبك سبيلا ، ولا تقطع الامل

ـ وهل للنهى مع الحب سلطان ؟! وأى أمل لى فيها بعد زواجها ؟!

ـ لست أدرى يا بنى أي شاغل ذاك الذى شغلنى عن العقد لك عليها حين حدثتنى عنها !؟ ما كنت أقدر تلك العواقب .. استمع لأبيك يا يزيد : « لا تستسلم لخواطرك ، ولا تتحدث الى غيرى بما تكنه فى نفسك ودع لى معالجة الامر وحدى، وسأبذل كل ما فى وسعى لأصل الى ما تشتهى نفسك .. »

فانحنى يزيد وقبل راحتى والده مرات عديدة ، وقال :

ـ أطال الله عمرك يا أمير المؤمنين، فقد انتعش فى نفسى الأمل ، وقوى الرجاء ، فانك ما اتجهت الى شىء الا حولته الى ما تريد ، وما كنت أبغى أكثر من أن تتولى الامر بنفسك لأضمن له النجاح .. فابتسم معاوية وبادل ابنه تحية الوداع .. وخرج يزيد سعيدا هانئا ، ونام فى تلك الليلة نوما هادئا تخللته أحلام لذيذة لم يهنأ بمثلها مذ خفق قلبه لابنة اسحق

●

كانت أرينب بنت اسحاق رائعة الجمال ، ليس فى العالم العربى أبهى منها ولا أسنى ، فتنت الدنيا وحامت حولها الابصار معجبة ، ووقفت ببابها الوفود خاطبة متوددة ..

وحظى بها عبد الله بن سلام من أبناء عمها ووالى معاوية على الكوفة .. بهره الحسن المبسوط الروعة، العابق الطيب، فطلب يدها من أبيها فأجاب طلبته ، وزفها اليه زهرة من الياسمين على عود من الند ، فملأت دنياه بهجة وبهاء

وكان لابن سلام لدى معاوية المنزلة التى يحسد عليها .. فهو عنده موضع تقدير وكرامة ، اذ مهد لسلطانه فى العراق، معين الثورة ، ووكر الفتنة. وكان معاوية يثنى على حزمه وحسن سياسته .. فلما علم من يزيد أن أرينب زفت اليه، لم يجد بدا من اللجوء الى الحيلة .. فأرسل الى ابن سلام من يستصحبه الى دمشق ، مقر الخلافة ، وحاضرة الاسلام

وارتاع والى العراق للنبأ ، وأطلع زوجه على دعوة الخليفة .. ولم يخف عنهـا ما اختلج به قلبه من الخوف . وقالت له أرينب :

ـ تستطيع أن تعتذر لأمير المؤمنين عن التلبية، انى أتوجس خيفة من هذه السفرة العاجلة .. لست شديدة الثقة

فى ساكنى الخضراء .. ان اشاعات السوء يهمس بها الناس فى كل ناد .. انى أحس يا عبد الله توازى الشر فى هذا الطلب .. انك لست ندا لمعاوية، انه يجرعك السم وأنت تخاله يغدق عليك النعمة . ان همه أن يصل الى ما يريد ولو على أشلاء الآخرين .. لا تقوض ركن سعادتنا يا ابن عمى . ولا تهدم بيدك هذا العش الوادع .. لا تركن الى ابن هند .. لست استبين فى هذه الرحلة شيئا من الخير

فاعتدل ابن سلام ، ورفع رأسه بعد اطراق .. وشاء الكلام فأعياه النطق . لقد كان يعلم أن ما حدثته به زوجته ينطوى على كثير من الحق ، ولكن معاوية ولى الأمر ، وليس ابن سلام ممن يعصى أولى الامر — وأخيرا استطاع أن يقول فى صوت متقطع

— ليس لى بد من اجابة أمير المؤمنين يا أرينب .. فما مثلى من يخرج من طاعة ، ولا من يقعد عن تلبية .. انى من عماله ، أتوجه حيث يوجهنى ، وقد يكون لنا من وراء ذلك مغنم

فقالت بنت اسحاق :

— وماذا نبغى من دنيانا فوق مانحن عليه يا ابن العم .. حسبنا أن نفى هذه النعمة ما تستوجب من شكر .. لست براضية عن الشخوص الى دمشق

ولكنها حين رأت منه العزم الصادق أمسكت عن الكلام .. ولم تستطع أن تمسك دمعها المنهمر ، ولا تخفى لوعتها المحرقة ..

وبرح عبد الله الكوفة الى دمشق ، يستحث المطى ، ليلحق بأمير المؤمنين قبل أن يستبطىء تلبيته .. وفى الطريق انثالت على قلبه الخواطر ، وتتابعت التخيلات . انه ما تهاون فى أمر معاوية .. مهد لسلطانه فى العراق ، وقتل الفتنة قبل أن تستفحل ، وملأ القلوب خشية لبنى أمية ، ومكن لهم فى السواد ، فلأى مهمة استعجل الامير شخوصه الى الشام ؟ .. لعل ابن أبى سفيان شكر لى ذلك ، ورأى أن يجزل لى المكافأة .. ورجح ابن سلام هذا الرأى الاخير ، لانه لم يرتكب ما يوجب عتابا أو عقابا

●

وبلغت الحفاوة بأمير العراق فى دمشق ما جعل الناس تتنبأ له بالمنزلة الرحيبة فى الدولة الناشئة ... أنزله أمير المؤمنين منزلة الاعزاز والمودة ، وهيأ له قصر الضيافة ، على ساحل بردى ، قريبا من الخضراء ، وجمع له من ألوان المتع ، وضروب النعيم ما حمله على الاعتقاد أنه يوفيه حق الاخلاص ، ويجزيه بالحسنة أحسن منها ، وداخله أن أرينب أخطأت حين توجست من الرحلة ، وتحدثت بالسوء عن معاوية

وانقضى يومان من وصول ابن سلام الى دمشق .. وفى ضحى اليوم الثالث هبط اليها شيخان جليلان نما بصحبة

النبى صلى الله عليه وسلم والاخذ عنه زمنا ليس باليسير، فتلألأ فى محياهما الوقار والجلال ، ومنذا يستطيع أن ينكر فى «ابى هريرة» و«أبى الدرداء» الورع والتقوى ؟ ..

ورأى الشيخان أن يزورا الخضراء للتسليم على الخليفة .. فقابلهما معاوية فى صدر الايوان ، وعانقهما عناق المشوق ، وأجلسهما الى جانبه مبالغة فى الاحتفاء . وتشعب بينهم الحديث فقال لهما معاوية أخيرا :

ـ لا أستأثر دونكما برأى ، ولا أحجب عنكما أمرا ، فقد استمعتما الى النبى صلى الله عليه وسلم فنضج منكما الفكر ووزن الرأى .. وان ابنتى صفية قد رشدت ، وأصبحت أهلا للزواج ، وهى من رجحان العقل وسداد التدبير فى أرحب منزلة وأسمى مكانة .. ولست أضن بها على ابن سلام والينا على العراق ، فله من شريف النسب، وكريم المنبت ، ووافر التقى ما يؤهله لمصاهرة الخليفة ، وانه عندى لعدل يزيد فى القدر، فهلا تريان ما أرى ؟ وماذا تقولان فى ابن سلام ؟

فتحرك الشيخان فى مجلسيهما، ونظر كل منهما الى صاحبه يسأله بخلجة العين أن يجيب معاوية، وأخيرا قال أبوهريرة:

ـ نعم الاختيار يا أمير المؤمنين ، فابن سلام من أقوى الناس ايمانا ، وهو منهم فى النسب الرفيع ، والمنزلة السامية ، وقد وافاه السعد حين وقع عليه اختيارك يا أمير المؤمنين ، وليس هناك من هو أدرى منك باصطفاء الرجال

ثم سكت أبو هريرة ، وأمن أبو الدرداء على حديثه بايماءة من رأسه ثم اعتدل وقال :

ـ لقد لازمت النبى صلى الله عليه وسلم كثيرا ، وكتبت له الوحى طويلا، وأفدت من ذلك خبرة واسعة، وتجربة صادقة ، وان عبد الله لفى الذروة ، يقبض على ناصية المحامد ، ويتربع على عرش السؤدد ..

فقال معاوية :

ـ انى أحمد الله أبلغ الحمد ، فقد قويتما عزمى ، ومحوتما ترددى ، ولقد بلغت بى الحيرة منتهاها ، وكنت فى هذا الامر بين الاقدام والاحجام قبل أن أتشرف بوضىء طلعتكما .. ولن أعفيكما أن تبلغا ابن سلام مبتغاى لتضيفا الى أفضالكما فضلا سابقا ، ولكما موفور شكرى ..

فقال الشيخان بلسان أبى هريرة:

ـ لأمير المؤمنين أن يوجهنا حيث أراد ، وعلينا أن نقوم بكل ما يرضاه

فقال معاوية :

ـ انى لجد مغتبط بزورتكما، وانى أود قبل أن تتحدثا الى ابن سلام أن تكونا على علم بأنى قد تركت لصفية حرية الاختيار ، ولا أخالها الا توافق على من اختار لها أبوها، فانها شديدة الثقة بى ...

ودع الشيخان وانصرفا الى حيث يقيم ابن سلام ضيف الخليفة ، ورجع معاوية ــ بعدأن سار معضيفيه خطوات تكريما لهما وتشريفا ــ الى حيث كانت ابنته ، وقال لها :

ــ ان أبا هريرة وأبا الدرداء من صفوة صحب النبى صلى الله عليه وسلم، وقد يوفدهما عبد الله بن سلام اليك ليسألاك فى زواجه، فقولى لهما : «انى أقدر لابن سلام تقاه ، ومكانته عند أمير المؤمنين ومنزلته فى قريش، ولكنى أخشى ألا أكون معه على وفاق، ما دامت تنازعنى فيه زوج ثانية . . فانى شديدة الغيرة ، لا تطمئن نفسى اذا كانت هناك من تقاسمنى قلب من أختاره زوجا ، فان لم يلحق عبد الله عنت فى طلاق زوجه ، فليس ما يقعدنى عن الزواج منه . .

فقالت صفية :

ــ السمع والطاعة لله ولك يا أمير المؤمنين

●

ورحب ابن سلام بضيفيه العظيمين وهش لهما وبش ، ولاحت لهما منه المعزة والمحبة . . ورأيا أن يعاجلاه بالبشرى ويزفا اليه التهنئة ، فقال أبو هريرة :

ــ ومن أولى منك يا ابن سلام بايثار الخليفة . . ان الله قد كتب لك السعد، وساق اليك الخير على يد ابن أبى سفيان، فقد اختارك بعلا لابنته صفية . . وما جئناك الا لنبلغك الرغبة السامية، ونقدم لك خالص التهنئة بما أسبغ الله عليك

فابتهج ابن سلام للنبأ الندى ، وشاع السرور فى وجهه ، وامتلأ بالفرح قلبه ، وخطرت بباله زوجه الحبيبة ، أرينب بنت اسحاق ، مالكة فؤاده، فدفع الخاطر عنه بأنها لن تكره له علو المنزلة ، ولا بعد الصيت . .

واعتدل ابن سلام وقال للشيخين :

ــ أعجز أن أوفى أمير المؤمنين ما هو له أهل من الشكر . . فقد غمرنى بأفضاله، وأفاض على من وافر نعمته ما تنبو البلاغة عن الاعراب عنه ، وانى لعظيم الشرف كثير الفخر برضا الخليفة عنى . . وانى لارجو أن تتكرما بأن تنوبا عنى فى القيام بخطبة صفية بنت مولانا أمير المؤمنين ، فلست أرى من هو أجدر منكما لهذه المهمة

ففرح الشيخان وتبسما ضاحكين وقال أبو الدرداء :

ــ لك يا ابن العم ما يرضيك، فأنت منا فى سويداء القلوب ، وليس أحب الى قلوبنا من أن تتم لك المسرة ، وتواتيك الهناءة . .

ثم ودعاه الى قصر الخضراء ، وقصا على معاوية ما كان منهما لابن سلام ، وما كان من ابن سلام لهما ، فقال لهما معاوية :

ــ ان قلبى لشديد الاطمئنان الى عبد الله بن سلام، ولكنى تركت لصفية

حرية الاختيار .. وعليكما أن تعرضا عليها الأمر، وتعلناها بأني أختار لها والينا في العراق، وأني أحله في نفسي في منزلة أخيها يزيد ..

فلما دخل الشيخان اليها وحدثاها بخبرهما ، قالت لهما :

ــ لست أجد في ابن سلام منفذا لطعن في خلق أو دين ..

ثم أعادت ما أوصاها به أبوها على مسمعيهما ، وطلبت اليهما أن يتفضلا بتبليغه لابن سلام

فخرج الصحابيان والتقيا بعبد الله وحدثاه بما سمعا من صفية .. فداخله شيء من الهم ، واستعظم أن تحدثه نفسه بفراق أرينب ولم يجد منهاسوى الاخلاص والوفاء ..

ولكنه بعد أخذ ورد بينه وبين نفسه، رأى أن رفض رغبة سكان الخضراء لا يتفق مع المجاملة في شيء ، فأشهد الشيخين على طلاق أرينب زوجه المحبوبة، وفوض اليهما أن ينهيا الخبر الى قصر الخضراء

فعاد الشيخان الى أمير المؤمنين وأخبراه بما كان من عبد الله لأرينب، وانه خلص لصفية ..

فتظاهر معاوية بالأسى وقال :

ــ لم أكن أود أن يحدث ذلك ، ولو علمت به قبل وقوعه لحلت دونه ، ولكنها ارادة الله .. كنت أرجو أن تتما مثل هذا أن يكون وقد سمعتما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« ان أبغض الحلال الى الله الطلاق »

ثم تقطب جبينه ، وعبس وجهه ، وساد المجلس وجوم ممل .. لم يجد الشيخان معه بدا من الانصراف واستأذنا على عزم أن يعيدا الزيارة..

وعجل معاوية بدعوة يزيد .. فلما كان في حضرته على خلوة ، ابتدره بقوله :

ــ هنيئا لك أرينب يارجاء أبيك .. انها خلصت لك، فقد طلقها ابن سلام. فانعم بالا ، واعلم أنك لن تكون في يوم ما في زاوية النسيان من أبيك الذي أخلص لك المحبة والود

فقال يزيد والبشر يتلألأ في محياه:

ــ متعني الله بطول حياتك يا أمير المؤمنين ، وأظلني برعايتك، وأسعدني في عهدك الزاهر ، وملكك الوطيد ، هذه بشرى وقعت من سمعي موقع النغم، ومن قلبي في السويداء

فقال معاوية :

ــ واني أنصحك أن تعقل لسانك ، فلا تتحدث في هذا الموضوع، كي تسلم من العثرات ، وتأمن الزلات ويظل الطريق لنا معبدا

ــ سمعا وطاعة يا أمير المؤمنين .. لا عدمنا نصحك ، ولا حرمنا ارشادك

ثم أمطر راحتي الخليفة وابلا من قبلاته ، وخرج وليس في الدنيا أسعد ولا أرضى منه بالا

●

وقصد الشيخان الى قصر الخضراء

للزيارة واستطلاع الرأى ، ليعودا الى ابن سلام بما ترى فيه صفية بعد الذى كان منه لاسترضائها ، وأجلسهما معاوية الى جواره ، ورحب بهما

فقال أبو هريرة :

ـ أعزالله بك الدين ياأمير المؤمنين، وأجرى على يديك الخير، انك تبالغ فى الحفاوة بنا حتى ما نحس أننا فى غير منازلنا وأهلنا .. واننا نود أن نعود الى ابن سلام بما يملأ فراغ قلبه ويعوضه عن عديلة نفسه أرينب.. فقال معاوية :

ـ انكما تعلمان الرأى عندى ، فاسمعا الى صفية ، لانى جعلت لها ـ كما حدثتكما ـ الرأى الطليق ، فى غير تقيد برأيى، ولا ارتباط باختيارى.. اننى أفضل ابن سلام، ولكنى لا أجبرها عليه، ولا أراكما الا توافقان أن تكون لها الكلمة المسموعة ..

ولما اجتمع الشيخان بصفية حدثها أبو هريرة عن تضحية ابن سلام بمالكة قلبه ، وأسرة له ، ليصفو لها جوه ، وأنه فوضهما بابلاغها رغبته فى التعجيل بالزواج، وذكر لها أبو هريرة ماسمعاه من أبيها عن عبد الله. وحسبه فخرا أن يتخذ منه معاوية عضدا وساعدا ..

فقالت صفية فى تردد وهدوء :

ـ ان اختيار شريك الحياة من جانب الرجل أو من جانب المرأة ليس من الامور التى يسهل الحكم فيها لبعد الصيت أو طيب الاحدوثة ، وان ابن سلام ذاع ثناه ، واشتهرت مروءته ، ولكن لا يستطيع أحد أن يدعى أنه فى خاصة نفسه ولا مع أهل بيته فيما هو مع الناس .. ولن أسألكما شططا اذا استمهلتكما الى أن أستبين طرفا من حياته فى بيته ومع عشيرته لأكون فى أمره على بصيرة

فقال أبو الدرداء موافقا، وهو ينظر الى أبى هريرة نظرة من يستوحيه الرأى :

ـ هداك الله سبل الخير ، وثبت خطواتك على الحق، وألهمك الصواب، وكتب لك السعد.. لا يندم المتأنى.. ولا يسلم العجول من العثرات ..

فلما التقيا بابن سلام قابلهما بلهفة ذى الحاجة، ولما استمع الى حديثهما تمالك نفسه وقال فى صوت الواثق من الوصول الى غايته :

ـ ليس عليها من بأس ، من صبر ظفر .. وان غدا لناظره قريب ..

ارتسمت علامات الاستفهام على الشفاه حين ذاع ذلك النبأ الذى اهتزت له جوانب الشام والعراق.. ابن سلام تخلى عن أرينب !؟ كيف طاوعه قلبه!؟ انها ريحانة ناضرة ، لم تتفتح البساتين على أبهى منها ولا أحلى.. من كأرينب اجتمع لها جمال الخلق وجمال البدن؟..

خاض كل فى الحديث على هواه ، وقال كل واحد ما اشتهى ، ولكن أحدا لم يستطع أن يمس أرينب بمعتبة، أو يرى لها هفوة .. فان صحيفتها

ضية ، وانها لمن قوم كرام ..

وتوارى عبد الله عن الانظار،ولزم بيته خشية أن تقحمه العيون،وأن يصل الى مسمعيه ما يكره من حديث الناس

وبعث الى الشيخين يستعجلهما العودة برأى ابنة الخليفة الذى ارتأته فيه ..

وقالت صفية للشيخين حين أذن لهما عليها :

ـ قلبت الامر على وجوهه،وفكرت فيه تفكير من تختار لنفسها، وأنا أرى أن أرينب بنت اسحق ليس لها من يدانيها .. فهى مثال الجمال ، وفيها اكتملت معانى الاخلاص والعفة والوفاء .. وقد طلقها ابن سلام وما خفق بغيرها قلبه ، ولا اكتحلت بمثل جمالها عيناه ، فمن أين لى أن أضمن أن يبقى على ، ولا ينالنى منه ما نال ابنة اسحق ولست ندا لها فى الجمال والفتنة.. .لقد قررت فى نفسى ألا أربط مستقبل حياتى بمن لا يؤمن جانبه ، ولا يركن الى عهده.. فاحملا الى ابن سلام عجزى عن الرغبة فيه بعلا ، وان كنت على يقين أن قلبه عامر بالايمان ، ملىء بالتقوى .. اننى كلما ذكرت ما كان منه لأرينب أحس أن قلبى يكاد يثب من موضعه .. لست آمن أن تتكرر المأساة معى ـ ان رضيته زوجا فلا أقوى على حملها ..اسأل الله أن يوفقه ، وأن يجزيكما خير ما يجزى به رسل الهداية والاصلاح..

وما أن وقف عبد الله بن سلام على فحوى المقال حتى أيقن أنها المكيدة ، حاك خيوطها قصر الخلافة وأحكم نسجها لحاجة فى نفس يعقوب .. وأطلق ابن سلام عنان لسانه ، وأفاض فى الحديث عن ختل معاوية وغدره ، وملأ الاندية والمحافل سبا ولعنا، وتجريحا وطعنا، فخفقت لشكواه القلوب ، وامتلأت بالموجدة والحقد على من أورد ابن سلام هذا المورد الآسن ، وحمله أن يفارق دنياه الفياضة بالبهجة والمسرة ..

واتخذ خصوم الدولة من قصة عبد الله مادة دسمة لقالات السوء ، فى شتى نواحى الجزيرة وغيرها من بلاد المسلمين، يذيعون نبأ المكيدة والسبة التى لا تزول

وكان معاوية بن أبى سفيان يسمع صدى الحديث،فيتظاهر بالاسف ويقول لخاصته :

ـ غفر الله لصفية،لقد هيأت ـ على غير قصد منها ـ للالسن أن تخوض فى أبيها حين رفضت خطبة عبد الله.. وما كنت أبغى له سوى الخير .. لم تحدثنى نفسى بسوء .. اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون

وتوالت الايام سراعا،ونسى الناس ابن سلام وأرينب ، وملت حديثهما الاسماع..وتحرك قصر الخلافة حينذاك لاتمام ما بدأ ، وقابل رسول معاوية أبا الدرداء وهو يغادر المسجد بعد صلاة العصر ودعاه الى الخضراء بأمر الخليفة ... ولقى أبو الدرداء من بشاشة اللقيا،وفيض التكريم ما أسكن

بلباله ، وهدأ روعه من هـذه الدعوة المفاجئة ، وأخيرا قال معاوية :

ـ وما زلت يا أبا الدرداء أحس الالم يحز فى نفسى ، ويموز فى قلبى، منذ أوقفتنى صفية من ابن سلام ذلك الموقف الشـائك .. لم يكن يجـول بخاطرى أن يصل الامر الى ذلك الحد الزرى ، وأن يترتب عليه فرقة ذينك الزوجين السعيـدين . لو تعلم يا أبا الدرداء أن صدرى يزخر بالاسى، واننى لم أطعم الراحة مذ طلق عبد الله أرينب، وأننى كثيـرا ما فكرت : ماذا يكون موقفها حين تسمع النبأ، وكيف تقوى على احتمال المفاجأة . لقد عقدت النية وصحت عزيمتى على أن أعوضها من ينسه فى نفسها فراغ عبد الله ، ويهيء لها حياة البهجة والفرح، واخترتك ـ لمكانتك عندى ـ أن تنوب عنى فى خطبتها ليزيد ، ولى عهد المسلمين ، والخليفة من بعدى .. وفوضتك أن تتصرف بسديد رأيك، وثاقب فكرك .. واحمل لها فوق ما تقدر من مال ، ولا تدع عقبة تقف فى طريقك، ولو أنفقت جميع ما فى خزائنى لازالتها، وأرى أن تتعجل الرحلة، فانى أخشى أن يسبقك اليها من يفوز بها دوننا

فقال أبو الدرداء وقد كسا محيـاه البشر لثقة الخليفة به :

ـ لن تشرق على شـمس الغد الا وأنا فى طريقى الى الكوفة ، ولك يا أمير المؤمنين ما تحب وتهوى ..

ثم ودع الخليفة وانصرف ليتـأهب للرحلة فى صبيحة الغد ..

وأشرف أبو الدرداء على الكوفة ، وشمس الحسين بن على تتلألأ فيها ، وذكره يملأ أرجاءهـا ، ورأى أن يتيمن بزورة الحسين سبط النبى الكريم قبل أن يبدأ ما كلف به ، ووجد فى منزل الحسين كرم الوفادة ، وحسن الملتقى ، وقال له الحسين :

ـ لقـد رأيت جـدى حين رأيتك يا أبا الدرداء، أجزل الله أجرك وبارك زورتك .. فقد ذكرتنى أيام السعد ، وما كان عليه المسلمون من مودة ومحبة، وشتان بين ذاك وبين ما أحدثه الناس فى هذا العهد

فقال أبو الدرداء وهو يديم النظر فى وجه الحسين لما يرى فى ملامحه من شبه لجده :

ـ أدام الله بقاءك يا سيدى ومد فى حياتك .. فانك بقية من النبوة، وكم رأيتك تمرح فوق ظهر النبى ، صلى الله عليه وسلم، وهو ساجد للصلاة، فيطيل السجود ، خشية أن يتكدر صفوك ، فاذا نزلت قام لصلاته ..

وظل الحسين وأبو الدرداء يتذاكران عهد النبى ، عهـد الالفة والاتحاد ، وقتا ليس بيسير ، ورأى أبو الدرداء أن يستأذن ليقوم بما وكل اليه أن يقوم به ، ولكن الحسين شدد عليه أن يطيل المقام عنده لما يحسه لوجوده من الاس والمسرة ، فقال الصحابى :

ـ لم يكن أسعد لقلبي ، ولا أهنأ لنفسي من أن يطول بي مجلسك،ولكن معاوية بن أبي سفيان قد اوفدني في مهمة ، واستعجلني تنفيذها ، ولم أستسغ أن أبدأ بالكوفة عملا، قبل أن أتبرك بزيارتك

فشكر له الحسين كريم عطفه ، وصادق مودته ، وسأله عما كلفه به معاوية في العراق

فقال أبو الدرداء :

ـ انتدبني معاوية لأنوب عنه في خطبة أرينب لابنه يزيد ..

فقال الحسين :

ـ وأي شيء دها عبد الله فصرفه عن أرينب ؟! انها شمس حياته ، وانسان عينيه .. ولقد عم الأسف جميع من هنا ، وما زال حديثه تلوكه الألسن وتضطرب فيه الآراء

فتحرك ابو الدرداء في مجلسه ثم قال :

ـ ان عبد الله ندم على ما فعل .. وقد قال الناس كثيرا في موضوعه ، ولكنهم سكتوا أخيرا،وانقطعت همساتهم وان من يعرف أرينب يعتب على عبدالله أشد العتب .. ورأى معاوية بعد أن خفت الحديث أن يبعث بي لأطلب يدها ليزيد ، ووكل الى أن أتم الموضوع

فخطر للحسين أن يستشير أبا الدرداء في زواجه من أرينب ، فقال له :

ـ وماذا يرى أبو الدرداء اذا أنا رغبت في مباعلتها ؟

فقال الصحابي .

ـ انك نعم الزوج ونعم العشير والأليف ، فاذا صح منك العزم فماذا يمنع من استطلاع رأيها ؟ ..

ـ لن أجد خيرا منك يقوم مقامي في هذه المهمة،فقدم لها نفس ما يعرض معاوية من صداق اذا هي أجابت طلبتي

فارتبك أبو الدرداء ، وتولته الحيرة ولكنه لم يجد مناصا من القبول ، وقال في نفسه : لست الا رسولا .. على البلاغ . اني لن أحملها على قبول واحد منهما .. ماذا يضيرني اذا أنا اديت رسالتهما كاملة غير منقوصة ، وعدت اليهما بما تراه في كل منهما

ثم قال للحسين :

ـ سمعت وأطعت يا سبط الرسول .. سأبلغها رغبتك في الزواج منها ، ورغبة معاوية أن تكون زوجا ليزيد وأعود اليك بما يقر عليه رأيها ..

ثم ودع وانصرف

وبالغت أرينب في الحفاوة بأبي الدرداء ، وأنزل من بيتها ومن نفسها منزلة التجلة والاحترام ، وجعل الصحابي يتخير الفرص ليبدأ الحديث، فلما واتت أول فرصة انتهزها وشرع يقول :

ـ جرت ارادة الله بما كان،ففارقك ابن سلام .. ويغلب على الظن أنكما تعادلتما في الأسف لما حدث ، ان لم يرجع عبد الله . والانسان لا يعلم من أين يأتيه الخير .. والله تعالى يقول :

« وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم » . ولعل لكل منكما فيما قضى الله خيرا . وانى رسول معاوية بن أبى سفيان والحسين بن على اليك . يريدك الخليفة زوجا لابنه يزيد ولى العهد من بعده . ويريدك الحسين سيد شباب أهل الجنة لنفسه . فاختارى لنفسك ، وانك لذات عقل ودين ..

فسألت أرينب فى شىء من التردد والتأثر :

— وهل بقى لى من العقل ما يقوى على التفكير فى الزواج بعد ما كان من عبد الله .. انى ما زلت مأخوذة بهول المفاجأة . فكرت فى كل شىء الا أن يهجرنى عبد الله .. ولم يحدث شىء سوى أن طلقنى عبد الله ..

فقال أبو الدرداء :

— على المسلم يابنية أن يقابل تصاريف القدر باستسلام ، والا يركن الى اليأس .. وان الله تعالى سيعوضك خير العوض - وان الحسين له المكانة الرفيعة ، والمنزلة الشامخة ، وهو من قريش فى القمة ، وحسبه أنه ابن فاطمة بنت الرسول الامين .. ويزيد بن معاوية ستؤول له الخلافة بعد أبيه ، وفيه يسور الشباب .. فاختارى من شئت فكل منهما على خير فياض

فأطرقت أرينب وطال بها الاطراق ، ولم تصل الى الرشد فى أمرها ، وتعجل أبو الدرداء حديثها فرفعت رأسها وقالت :

— والله انى لعلى حيرة ، ولو أنى خيرت بين هذين وأنت بالشام لبعثت اليك أستلهمك الصواب ، وانك لتعرف أن النساء لا يسلم لهن التفكير فى مثل هذا الامر ، لميلهن الى الهوى ، وانصرافهن الى العاطفة ، وعدم اصغائهن لصوت الضمير والعقل . وقد هيأ الله لى الخير حين وقع الاختيار عليك ، لتكون وكيلا عنى أنا الاخرى ، فاقبل من تشاء منهما وارفض من تشاء ، فأنت أعلم منى بالرجال ..

وأيقن أبو الدرداء — حين رأى التصميم من أرينب — أن موقفه قد تضاعف به الحرج بين الثلاثة ... وحاول أن يصرف أرينب عن موقفها ، فقال لها :

— ما أنا الا رسول ، وانك أنت التى ستعاشرين .. فاختارى من تأنسين لعشرته

فقالت له :

— ما أنا الا ابنة أخيك .. ومنذا الذى يضن على ابنته أن يشير لها الطريق ، ويأخذ بيدها الى الرشاد ؟!

فلما لم يستطع أبو الدرداء الافلات أعلن رأيه فى صراحة ، وقال ما يعتقده حقا :

— انك اذا أبيت الا أن تسمى لى ، فانى أختار الحسين بن على زين الشباب فى الجنة ، وبقية النبوة فى الدنيا ، كم ضمه النبى الى صدره ، وقبل كل موضع فى وجهه ... ان

السعادة التي لا تعدلها سعادة أن تربطي حياتك بحياته .. سدد الله خطاك

فقالت أرينب :

ــ أنعم به من اختيار ، فليس من يعدل الحسين ، أبلغه أني أوثره لي زوجا ..

وهكذا خسر معاوية ويزيد المعركة مع الحسين بن علي .. وفاز الحسين بأرينب ، وضمها الى نسائه ، فكانت واسطة العقد ، وريحانة البستان ..

ولم يكن لأبي الدرداء ــ وقد قام بالمهمة ــ الا الشخوص الى الشام ، فهو يعلم أن الخضراء ينتظر عودته على أحر من الجمر . ولما لاح ركبه، خف رجال الخليفة لاستقباله،وقصدالقصرآن وصوله ... ولما فرغ من تفصيل حديثه في الكوفة تطلع الى معاوية ، فرأى العبوس والتجهم قد صبغا وجهه، وجعدا جبينه،وغيرا ملامحه،وبدلا صوته فغدا أجش يشيع فيه الغيظ وهويقول:

ــ لست ملوما يا أبا الدرداء ، انما الملوم من اختارك لما لست له أهلا.. ان الرسول لا ينجح اذا خلا من الذكاء والفطنة ..

ورأى أبو الدرداء أن الامر أصعب مما كان يتصور وأنه لا ينجيه من هذا الضيق الذي ملأ قلبه سوى أن ينصرف ، فاستأذن وخرج في غيرعزم على رجعة ..

واشتد بمعاوية الألم ، وأحس وخز الهزيمة ، وذل الانكسار.. ولو أن غير الحسين هو الذي ظفر ، لما كان للأمر مثل هذا الوقع،ولكنه هو الذي كسب الجولة ، يا له من نصر أدبي !!

لقد حز في نفسه أن يتغلب خصمه عليه ويحول دون غايته ..

أما يزيد ، فقد تفطر منه القلب ، ونال منه الأسى .. ولولا أن حيل بينه وبين أبي الدرداء لأصابه بأذى.

فأبو الدرداء هو الذي حطم آماله ، وخيب رجاءه .. وعلى يديه تحولت حياته الى جحيم لا يطاق.

وأضحى ابن سلام في عداد المساكين: فقد اعتزل الولاية ، وزالت نعمته . واظلمت دنياه ، وتقطعت دونه السبل، وأغلقت في وجهه الابواب،ولم يستطب المقام في دمشق لما لحقه من سوء ، فبرحها غير آسف على شيء فيها . وجعل وجهته العراق

وكان لابن سلام في الكوفة مبلغ من مال،ولكنه أودعه لدى أرينب حين بدأ تلك الرحلة المشئومة ، وأرينب ذات تقى ودين ، لا تحدثها نفسها بخيانة ، ولا ينطوي قلبها على غدر . وعبد الله انما عاد ليستأديها الأمانة ويستردها الوديعة ، فاذا ذكر ما جازاها باخلاصها ووفائها تلاشى منه العزم ، ولحقه كثير من الخزي..

وهبط العراق ذليل النفس ،كسير الفؤاد

وزار الحسين بن علي في منزله ،

ولاقى من الحسين كرم الوفادة، والمبالغة في التحية، وأنس كل منهما بصاحبه، وزالت من عبد الله الوحشة ، وأطمعه احتفاء الحسين به أن يحدثه بغرضه من الزيارة فقال :

ـ فداك أبي وأمي يا ابن علي، انك لست تعرف ما يحمله قلبي لأرينب ، واني تركت لديها بدرات وبعضا من الجواهر ، وقد اشتدت اليها الحاجة ، ولكني لا أملك من الشجاعة ما أقوى معه على المطالبة ، فاني ارتكبت من الاساءة ما لا يقبل منه توبة ، ولايجدي فيه اعتذار . واني أتوسل اليك أن تذكرني عندها بما تحدثت اليك ، والله يتولى جزاءك ... ثم سكت وأطرق

دخل الحسين الى أرينب وقال لها :

ـ ان ابن سلام بالكوفة ، وانه يذكرك بكل خير .. وقد زعم انه استودعك ماله ، ويسألك أن تردي وديعته

فقالت أرينب ، وقد لاح عليها الاضطراب للخبر المفاجيء :

ـ نعم .. ان ابن سلام له عندي ما يتحدث به ، ولست أعلم مقداره ، لانه في أكياسه كما تركها لم أفض خاتمها .. ثم قامت الى بعض المتاع وأخرجت منها الأكياس وقالت :

« ها هي .. فاحملها اليه »

فشكر لها الحسين عظيم أمانتها ، وكريم وفائها ، وقال :

ـ خير لك ولهأن يتسلمها بنفسه ..

ثم خرج الى عبد الله وقال له :

ـ لا بأس عليك يا ابن العم اذا أنت دخلت الى أرينب وتسلمت مالك كما سلمته اياها ، وهو لديها في حرز حريز

فقال عبد الله :

ـ فداك نفسي وأمي وأبي ، أن تعفيني .. فلن أقوى على مواجهتها بعد الذي كان مني

ـ لا عليك ، أنها مشيئة الله، وليس لقضائه مرد .. هيا هيا ، ثم قاده الى بابها ونادى :

ـ ابن سلام بالباب جاء ليسترد بنفسه وديعته .. ثم عاد الحسين من حيث أتى

وطلعت أرينب الى عبد الله تحمل المال وقدمته اليه ، ثم قالت :

ـ ها هي أموالك كما تركتها ، بارك الله لك فيها

فأمسك ابن سلام بدرة منها وتناول بعض الجواهر وقدمها لأرينب قائلا :

ـ أرجو أن تقبليها هدية مني، فان الدنيا بما فيها لا تكافيء اخلاصك ووفاءك

ثم لم يستطع أن يتم حديثه، فاحتبس صوته وأغرق في البكاء . ولم تكن أرينب بأقل منه ، فقد علا نحيبها .. ودخل الحسين وهما على تلك الحال ، فقال :

ـ أشهد الله أن أرينب بنت اسحق ليست من نسائي منذ الساعة ، واني

أبنتها بينونة ليس لها من رجعة ..
ولا تخجل يا أخي ولا تحزن ، فاني
ما تزوجتها طمعا في جمالها ولا رغبة
في شيء من حطام الدنيا ، وانما لأبقى
لك عليها ، فلا تصل اليها ذئاب بني
أمية ، فقد أحسست من معاوية المكيدة
لك ، ليخلصها ليزيد ..

ان البيان يقصر دون الافصاح عن
شعور عبد الله بن سلام وأرينب بنت
اسحاق ، أسكرهما الفرح ، وأذهلهما
السرور المباغت ، وعقل لسانيهما
ما أحسا به في موقفهما من عطف الحسين
الشامل ، وفضله السابغ

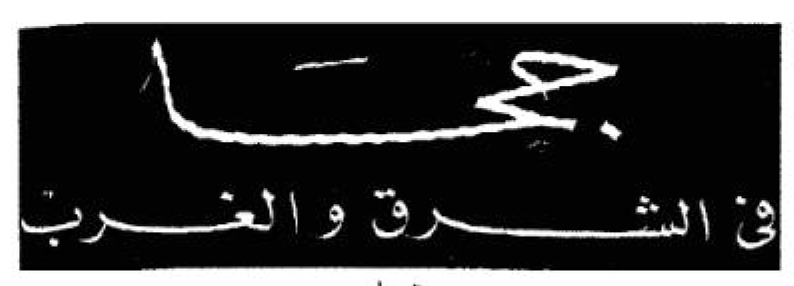
ورأى ابن سلام ورأت أرينب أن
يكافئا الحسين برد ما دفعه آنفا من
صداق ..ولكن الحسين أبى في شمم
وعزة ، وقال لهما :

— انني ما قمت بهذا العمل الا
لوجه الله ، لا أبغي جزاء ولا شكورا ..
فانعما بالحياة في ظلال الحب واهنأا
بالسعادة الوارفة .. فقد خسر هنالك
المبطلون

وهكذا عادت أرينب الى عبد الله
ابن سلام ثانية وعادت اليه بعودتها
بشاشة الحياة ، وابتسمت له الدنيا من
جديد ، وعاشا زوجين سعيدين مدى
حياتيهما يتبادلان الاخلاص والمحبة ،
والوفاء والمودة

وهبي اسماعيل حقي





بقلم

الاستاذ كامل كيلانى

الفاكهة ثمرة الارض ، كما ان الفكاهة ثمرة العقل.. وقد اتخذت كل امة من الامم فى كل عصر ومصر ، شخصا من الشخوص الجحوية الباسمة ، رمزا لفكاهاتها تسند اليه كل طريف من فنون دعابتها ، فكثرت الشخوص « الجحوية » لذلك وتعددت، فلم يكد يخلو منها زمان ولا مكان

وقد طوع القصاصون كثيرا من الطرائف الجحوية ، وفصلوا منها انماطا فكرية ، ألبسوها عرائس افكارهم ، وأودعوها نفائس توجيهاتهم وآرائهم . فلم تلبث — على مر الازمان واختلاف الامم — ان تشكلت بالوان العصور والامم التى قبستها ، كما يتشكل الماء بلون الاناء الذى يستودعه

واصبح الرمز الجحوى — على توالى العصور — اشبه بالرمز الجبرى ، يختلف مدلوله فى كل مناسبة عما سبقها

ولو خلا العالم من امثال هذه المفارقات لاصبح جحيما لا يطاق، وطالما استعان بها أعلام الفكاهة من المصلحين والقادة فى كسب قضاياهم . وربما أغنت النكتة العابرة الملهمة ينطق بها الفكه الموهوب عن المقالات المستفيضة

وطالما تناول الموهوب الفكه بدعابته الباسمة ادق الخفايا فاربى على الغاية. واى سخرية أبرع من سخرية أبى الغصن «جحا العربى» حين أذاع انه سيطير فى اصيل يوم الجمعة القادم من فوق مئذنة مسجد الكوفة، حتى اذا حان الموعد وتجمع الناس من كل مكان ، وضاق بجموعهم الميدان ، اطل عليهم « جحا » من أعلى المئذنة ، ونظر اليهم ساخرا من بلاهتهم ، يمد ذراعيه ملوحا بهما فى الهواء ، ويحرك يديه ، مرة بعد اخرى ، كأنما يتهيأ للطيران ، وقد خيل الى النظارة انه جاد فى محاولته

فلما طال بهم الانتظار ، التفت اليهم ساخرا ، وقال :

كنت اظن أن « جحا » هو وحده المتفرد بالجنون فى هذا البلد، فاذا كل من ارى اجن منه، خبرونى ايها العقلاء ، كيف صدقتم أن « جحا » قادر على أن يطير بغير جناحين ؟



جحا .. الفيلسوف !

[للمثال عباس الشيخ]

وكيف يصح فى الأذهان انى
على اظهار معجزة قدير
وكيف يصدق العقلاء زعمي
ولست بطائر ، انى اطير

*

واى سخرية أبرع من سخريته من والى الكوفة حين بدأ شكواه قائلا :

— ان لمولاى الوالى — فيما اعلم — ثورا احمر

— صدقت يا ابا الغصن ، فما باله ؟

— نطح بقرتى البيضاء ، فشق بطنها وأخرج امعاءها ، وقتلها على الفور

— وما شأن الوالى بذلك ؟ واى سلطان لى على الحيوان ؟ اتريد ان اعاقب الثور على فعلته ؟ ألا تعلم ان دم الحيوان جبار (هدر) ؟

— صبرا يا سيدى وعفوا ، لقد



جحا .. « النبيه » !
[للمثال سيد زيدان]

دفعتنى العجلة الى رواية القصة معكوسة

ــ ويحك ! فماذا كنت قائلا ؟

ــ أردت أن أقول : ان بقرتى البيضــاء هى التى نطحت ثور مولاى الوالى فقتلته

ــ ويلك .. لقد تغير وجه المسالة الآن ، فاعد على القصة ، لأرى فيها رأيى من جديد

ــ لماذا ؟

ــ لأنك ــ فيما يقــول ــ لن تجزيه على خدمته بأكثر من ضربات على ظهره ولعنات لصاحبه !

أليست هــذه الدعابة أروح وأعمق من قول زهير بن أبى سلمى

*

وأى قارىء لفكاهات هــذا الساخر المبدع لا يعجب بتهكمه البارع حين سأله جاره «سالم بن دينار» أن يعيره حماره، فاستمهله «جحا» ريثما يستشير حماره فى ذلك. ثم عاد اليه متظاهرا بالاسف

ــ ماذا قال لك الحمار ؟

ــ رفض مصاحبتك



جحا .. « الفلبان » !

[المثال حليم أسير]

فى معلقته الخالدة :

ومن يصنع المعروف فى غير اهله
يكن حمده ذماً عليه وينـدم

❋

وما ننس من طرائفه – لاننس اجابته لبعض الحمقى حين تهدد جحا ان يقتله اذا عجز عن اجابته عن اربعين سؤالا مختلفة بجواب واحد . فانصت اليه جحا ، حتى اذا فرغ من اسئلتـه ، قال له متظاهرا بالجد :

– اتريد جوابا واحدا عنها جميعا ؟

– لا اريد غير ذلك

– لا ادرى

فتكون هذه الكلمة الحكيمة جوابا شافيا لمسائله الاربعين ، يخلصه من بطش سيد المجانين

وما احكم قضاءه حين يتقدم اليه مختصمان يدعى احدهما على صاحبه انه اكل خبزه على رائحة شوائه ، ويطالبه بثمن الشواء الذى لم ياكله

فيسأله جحا : « وكم ثمن الشواء الذى اعددته له ؟ »

فيجيبه : « ربع دينار »

فياخذ الثمن من الآكل ، ويسمع الشواء رنينه ، ثم يرجعه الى صاحبه قائلا :

– ان رنين المال ، ثمن كاف لرائحة الشواء !

❋

ويختصم اليه رجلان آخران يدعى احدهما انه ساعد صاحبه فى حمل حزمة من الحطب بعد أن ساله : « ماذا تعطينى أجرا على مساعدتى اياك ؟ » فأجابه : « لا شىء »

فيسأله جحا : « وماذا تريد؟ »

– اريد أن يعطينى هذا اللاشىء الذى وعدنى به !

– ارفع هذه الوسادة ايها الرجل وخبرنى ماذا ترى تحتها ؟

– لا شىء

– خـذ لا شيئك من تحت الوسادة ، واذهب لشانك !

❋

وهذا احمد المعطرى من اعلام الشخوص الجحوية الحديثة فى صنعاء ، يأتمر به جماعة من الخبثاء ليورطوه فى مادبة عشاء ، فلايتردد فى القبول . ويصبر عليهم ، حتى اذا خلعوا نعالهم بالباب واستقر بهم الجلوس على وسائده ، جمع المعطرى « جحا صنعاء » احذية اصحابه ، واسرع بها الى السوق ، فباعها واشترى بثمنها طعاما لاصحابه

ثم يطيلون البحث عن احذيتهم على غير طائل ، ويقبلون عليـه يسالونه عنها ، فيجيبهم ساخرا : « احذيتكم فى بطونكم ! »

❋

وهذا ارتين « جحا الأرمن » يرى احد البخلاء مشرفا على الغرق ويسمع اصحابه ينادونه : « هات يدك » فيقول لهم ارتين ساخرا :

– لا تقولوا له « هات » فانه ينفر منها . بل قولوا له : « خذ أيدينا » ان كنتم جادين فى انقاذه

❋

فاذا تركنا باب السخرية الى

ما يشاع عن « جحا » فى بلاد العالم ، من ضروب الغفلة ، وجدنا طرائف لا تحصى

فهذا « پات » جحا ارلندة ، يبعث الى صاحبته بالكتاب التالي :

« أرسل اليك هذه الرسالة — يا عزيزتي — وأنا غير آمن على وصولها اليك ، لانني سيء الظن بالبريد فى هذه الايام

« فاذا لم تصل اليك فلا تتوانى عن الافضاء الى بذلك ، لابعث اليك برسالة اخرى

« واحب أن انبهك الى أن القلم الذي اكتب به الآن من نوع ردىء ، فاذا عثرت على خطأ فى رسالتي ، فعلى هذا القلم الملعون وحده تبعة ما تجدين من غلط »

*

وهذا « جورج » جحا لندن ، يقسم ليكفن عن الخمر ، فلا ينقضي على عهده ثلاثة ايام حتى ينازعه الحنين اليها فى اليوم الرابع — فاذا بلغ الحان ، عرج عليه قائلا : « هنيئا لك يا جورج عزيمتك الصادقة . لقد وفيت بعهدك اربعة ايام ، ولا بد من مكافأتك على ذلك بكأس من الخمر »

فاذا جرع الكأس الاولى ، قال :

— هذه مكافأة اليوم الاول ، والثانية مكافأة اليوم الثاني

ثم أسلمته الرابعة الى العشرين !

لمحة تاريخية

وقد ولد « جحا العربي » ابو الغصن دجين بن ثابت بالكوفة ، وعاصر الباطش الجرىء ابا مسلم الخراساني وقد نمى خبره اليه ، فاستدعاه ، واستظرفه ، وجازت عليه حيلته ، فحسبه ابله أو مخبولا ، وما هو على الحقيقة بابله ولا مخبول ، ولكنه ساحر بارع ، يلعب بالعقول

وقد سجل « ابو الغصن » هذا اللقاء فى ذكرياته التى حفظها لنا ابن اخيه طارق بن بهلل . قال :

« لقد نمت بعض اخبارى الى ابى مسلم الخراسانى القائد الجبار الذى هزم الدولة الاموية وزلزل كيانها ، واقام الدولة العباسية وثبت دعائمها مكانها وشيد بنيانها ، فامتلأت نفسى منه رعبا وفزعا اول الامر ، ثم جريت على مالوف عادتى فى الاستهانة بما لا حيلة لى فى دفعه من الاخطار ، ومقابلته بالابتسام . ولم اكن اعلم لاستدعائه اياى سببا . فلما بلغت مكانه علمت أن صديقى « يقطين » قد سمع « ابا مسلم » يذكرنى بالخير فى احد مجالسه ويتنادر بما اذاعه بعض الاغبياء عنى من ضروب الغفلة

« فلم يكد يتبين شوقه الى لقائى حتى أفضى اليه بمكانى . فأمر ابو مسلم باستدعائى اليه . فاعتصمت بالحذر ، وتظاهرت بالبله . ولم اكد ارى صاحبى « يقطين » مع ابى مسلم ، وليس معهما ثالث ، حتى التفت اليه متباله ، وسألته متغابيا : «أيكما ابومسلم يا يقطين ؟ » فانخدع فى أمرى ابو مسلم على وفرة ذكائه وفطنته ، واستغرق فى الضحك




جحا الأتراك .. الأستاذ نصر الدين
ولد فى منتصف القرن الرابع عشر

ثم ظهر الاستاذ نصر الدين التركى فى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) . وقد ولد فى أحد بلاد الاناضول . وكانت «سيوى حيصار» مسقط رأسه . وقد عاصر تيمورلنك ، وذاع صيته وراجت فكاهاته ، وحول الناس لقبه من « خوجة » الى « جحا » لتقارب الاسمين ، وتشابه الشخصين

*

ومهما نغفل من الشخوص الجحوية، وما أكثرها فى بلاد العالم، لا نغفل (تل) جحا الالمانى الملقب بـ «مرآة البومة» . وهو معاصر لجحا التركى ، ويكاد يكون نسخة مكررة له ، ان لم يكنه . وقد ولد جحا الالمانى فى مدينة «كنيت



الدنيا ماشية بالمقلوب !.
[لمثال مصرى]

من بلاهتى . وهكذا ضمنت الفوز فى البعد عنه والنجاة من صحبته »

*

وقد ذاع صيت ابى الغصن ، ونبه ذكره فى أوائل القرن الثانى من الهجرة ، واعجب الناس بما سمعوا به من طرائفه وملحه ، ثم دفعهم اعجابهم به الى أن خلعوا لقبه على كل دعابة مستملحة ، ثم اضافوا اليه، على مر الزمن، جهرة كبيرة من طرائف غيره من المبدعين، فاختلطت بفكاهاته، وتعذر التمييز بين الاصل والتقليد

ولم يلبث جحا ان اصبح علما على فن من فنون الفكاهة الشرقية، بعد أن كان علما على شخص بعينه من أفذاذ الناس

لينجن Kneit Lingen » ومات عام ١٣٥٠ . وقد اطلق عليه لقب « مرآة البومة » لان البومة ـ برغم اجماع الناس على استنكار صورتها ـ لا ترى فى المرآة الا وجها طبيعيا لا يعاب

وهو لون مبتدع للتعبير عن الحكمة المأثورة : « أن المرء لا يرى عيب نفسه » !

ومهمايكن من أمر ، فان الطرائف المنسوبة الى « جحا » فى اى بلد من بلدان العالم تمثل ، اكثر ما تمثل ، الوانا من آراء منتحليها ، وروح الدعابة الاصيلة فى نفوسهم

*

لم يسلم جحا من اتهامه بالغفلة حينا ، والبله احيانا ، ولقد



« تل » جحا الألمان . . يرسمونه ممسكا بمرآة فى يسراه ، وبومة فى يمناه

افتن الناس فى نسبة الكثير من الاقاصيص التى تصوره فى صورة غافل معتوه ينطبق عليه ذلك الوصف الكاريكاتورى البارع ، الذى رسم به الجاحظ اعجب نموذج للذاهل الحالم ، والصقه بكيسان النحوى ، ثم جاء من بعده فالصقوه بفيلسوفنا العربى الحالم ، ومثلوه كما مثل الجاحظ كيسان ، يسمع غير ما يقال ، ويكتب غير ما سمع ، ويقرأ غير ما كتب ، ويفهم غير ما قرأ ، وقد نظم بعضهم هذا المعنى ، فقال :

« تقول له : زيد ، فيكتب خالدا
ويقرؤه عمرا ، ويفهمه بكرا »

وهى غفلة يكاد يتسم بها كل مفكر عميق ، اذا حصر ذهنه فى فكرة بعينها . وليس مثل « نيوتن » ببعيد عن الاذهان حين القى



جحا .. « يعزل » !
[للمثال ابراهيم قطرى]

ساعته فى ماء يغلى وامسك بالبيضة وهو يحسبها ساعته ليرقب نضجها وشيها

ولعل هذا المثل يفسر لنا كيف حمل الناس كثيراً من الطرائف والدعابات الجحوية على غير محملها، ونموها على غير وجهها

ومهما يكن من امر ، فقد كان ابو الغصن « جحا » يؤثر التباله والتغافل، وتنطوى فى أعماقه نفس صافية راضية بالحياة مبتهجة . وكان اسلوبه الرائع يفيض من اشراقه ومرحه على حقائق الحياة المرة، فيكسوها من الوانه الزاهية جدة واشراقا

*

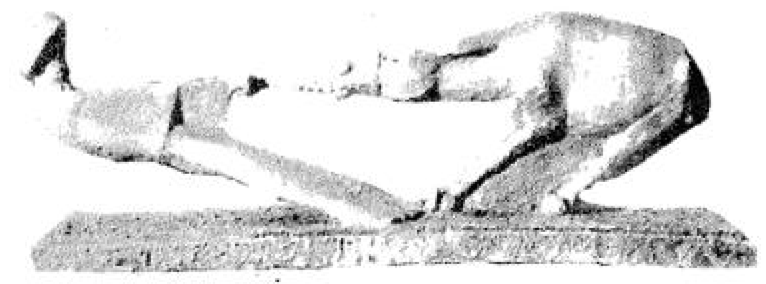
اما « تل » جحا الالمانى ، فقد ميزه بعض الباحثين بقسط موفور من الغفلة ، كما حلا لغيره ان يعزو اليه قليلا من الخبث ، واستدل بعضهم على ضيق ذهنه وموفور غفلته بما يؤثر عنه من المغالاة فى تطبيق مايسمع حرفيا، والوقوف عند مدلول اللفظ الحرفى .. غير معنى بما تنطوى عليه، فى اثنائها، من دلالات ، حقيقية كانت ام مجازية، وافتن المتخيلون فى نسبة كثير من المفارقات فى هذا الباب، تمثل اكثر ما تمثل الوانا من آراء متخيليها وروح الدعابة الاصيلة فى نفوسهم

ولكن اى الشخوص الجحوية سلم من أمثال هذه الغمزات ! ومن ابدع ما قرأناه فى الدفاع عن بلاهة جحا ، قول ناقد المانى : « ان جحا كان فلاحا ذكيا مستقيم الفطرة ، وانه لم يلجأ الى التشبث بحرفية ما يلقى اليه من حديث ، الا رغبة



جحا .. « العمدة » !

[للفنان على الديب]



جحا وحماره العنيد .!

[للمثال موريس فيليب]

فى السخرية من غرور سكان المدن المتحضرين الذين لا يستطيعون اخفاء ما يضمرون من احتقار ، لأمثاله من الفلاحين . ويستدلون على ذلك ــ فيما يستدلون ــ بالقصة التالية :

ساله سائل : « ترى بعد كم من الزمن أبلغ المدينة ؟ » فقال له : « سر فى طريقك » فحسبه لم يسمع، فأعاد عليه السؤال بصوت مرتفع فأجابه نفس الاجابة الاولى. فغضب الرجل وحسبه يهزا به . فصرخ فيه : « أجب عن سؤالى أيها الغبى » فقال له : « سر فى طريقك » . فتركه الرجل ومشى فى طريقه ثائرا يكيل له اللعنات ، ولم يكد يبتعد عنه قليلا حتى صاح فيه أن يتمهل ، ليلقى اليه بكلمة. فوقف الرجل متعجبا من غرابة اطواره . وساله : ماذا تريد ؟ فقال له فى هدوء الفيلسوف : « اذا سرت على هذا النهج بلغت المدينة بعد ساعتين »

فأدرك الرجل أن جحا كان على صواب، فلم يكن فى وسعه أن يعرف مدى الزمن الذى يستغرقه حتى يبلغ المدينة ، قبل أن يتعرف من مشيته مدى اتساع خطواته

كامل كيلانى

لص فى بيت مفلس

سطا لص على بيت رجل مفلس أثناء الليل .. وأخذ يفتشه غرفة غرفة ، لعله يجد شيئا يسرقه . وكان صاحب المنزل مستيقظا واللص ينقب ، فصاح به بعد أن فرغ من التفتيش :

ــ انى فى ضوء النهار لا أجد فى هذا البيت شيئا .. فماذا تريد أن تجد فى ظلمة الليل !


آه ..
بقلم الأستاذ
آه يا حبيبي .. هل تسمع آهاتي . ما بالك
لا تجيب .. أبصرك ، وإني أحس
وجهك . أجل والله هذا وجهك .
لا تبتسم ؟ . لا تقبلني ؟ هل نسيت شفتاك القبل ؟

آه يا حبيبى آه ..
وماذا املك غير آه .. انفس بها عن ألم فى الجسد ولوعة فى الفؤاد. آه منك ومن داء اضنيت به القلب .. آه من علة سرت فى الجسد فأنهكته وحطمته. وتركته كأنه عود يبس او ورق جف

آه .. آهة حارة ملتهبة عميقة

انى احس بعد كل آهة بشىء من الراحة والهدوء .. ولكنها راحة عاجلة الزوال وهدوء سريع الافول كومض البرق .. سرعان ما يعقبهما الم مستحكم ولوعة مستبدة .. فاصدر من صدرى الآهة تلو الآهة . انى ارقد على الفراش اتقلب واتململ لاهثة الانفاس مكروبة الصدر . لست ادرى موقفى بين الحياة والموت. بى امل فى الحياة .. وبى حنين الى الموت . بى رغبة من العيش وخشية من الفناء . وكل ما بى من امل وحنين ورغبة وخشية ، منبته انت ، ولا احد سواك

انت وحدك .. المحرك لكل عاطفة تجيش فى صدرى . انت وحدك .. كل ما احس وكل ما ارى . ما شرد الفكر الا فيك .. وما فتحت العين الا على صورتك ، اتوهمها فى السقف وعلى الجدران ، وفى النوافذ وفى الابواب ، وفى كل طيف وكل شبح . ما وعت الذاكرة الا ذكراك .. فهى تحفظ منك كل شىء ، كل كلمة ، وكل حركة .. كأنها مرآة تعكس لى منك كل ما ابصرته منك

انى امد يدى تحت الوسادة ، فتلمس رسائلك ، ويسرى منها فى جسدى برودة تندى على وتبل حرارتى . واحس انها فضلة متاع الحياة وبقية نعيم بائد ومتعة منصرمة. انى لاتعلق بها تعلق غريق فى كسر من حطام السفين . انى لاراها ملجئى فى العاصفة الهوجاء ، وملاذى وسط الامواج الطاغية

انى اتعلق بالحياة .. لمجرد وجودك فيها . وما دمنا كلانا احياء ، فقد نلتقى يوما ، ويشدنا الهوى الغابر .. فيجرى فى النفس الذابلة ماء الحياة ، ويحييها بعد طول موات

الهوى الغابر ! ! اهكذا ياحبيبى اضحى هوانا غابرا ، نتحدث عنه كأنه شىء من التاريخ ؟

هذى رسائلك قد اخرجتها يدى لتنشرها أمام عينى

دعنى انثر لك منها احاديث الهوى الغابر .. الهوى الذى ثوى ، فاتخذت له من الصدر قبرا ، اسقيه دمع العين ودمع القلب . حتى نمت ورود الذكرى على جوانبه ، فجعلت منه زينة القبور .. كما كان حبنا زينة الحب

آه يا حبيبى .. هل تسمع آهتى . ما بالك اذا لا تجيب . انى أبصرك .. وانى اتحسس وجهك. اجل والله هذا وجهك. لم لا تبتسم ؟ لم لا تقبلنى ؟ هل نسيت شفتاك القبل ؟ ما بالك لا تذكر ليالينا معا .. ليال أبعد فيها الهوى عنا الكرى .. فنعمنا بيقظة الحب النقى الطاهر

بتنا ضجيعين في ثوبي هوى وتقى

يلفنا الشوق من فرع الى قدم

ثم انثنينا وقد رابت ظواهرنا

وفي بواطننا برء من التهم

اتذكر يا حبيبي ليلة ضمتنا كرمة الحديقة .. ليلة تسللنا من الدار خفية فاتخذنا من اوراق الكرم ستارا يحجبنا عن ضوء القمر حتى لا يكشف امرنا . اتذكر كيف كان الشعاع الماكر يتسرب من بين الاوراق فيمسنا في لين ورفق ، وكأن القمر يمسح بكفه الندى على وجوهنا

كان اول ما عرفته في الحياة هو انني احبك ، فقد نشأت وحبك في دمي . كنت اشبه بشجيرة صغيرة تروى بماء حبك، فلما نمت وترعرعت كان حبك يسري في عصارتها ويتغلغل في عروقها واوراقها .. وكنت لها الروح وكنت الحياة ، فكل ذرة في جسدي تعلقت بها ذرة منك . فلست اراني الا خليطا مني ومنك .. كيف يمكن اذا ان تنتزع مني ، وان اعيش بدونك ؟

منذ عشر سنين وانا احبك .. كنت وقتذاك طفلة في الثانية عشرة . ومع ذلك فقد كنت احبك كما لم تحب امرأة من قبل . كنت أحبك كما أحبك الآن ، وكما ساحبك حتى نهاية العمر

كانت دورنا متجاورة ، وكانت تجمع بين عائلتينا صلة ود قديم وصداقة متينة ، فكنا اشبه بالاقرباء . وكنت صديقة اختك الصغرى وزميلتها في المدرسة .. واتاح لي كل ذلك ان اكون قريبة اليك كنفسك ، وان اعرف كل شيء عنك كما اعرفه عن نفسي

هل تعرف اول يوم طرق فيه حبك باب قلبي ؟ . هل تذكر ذلك اليوم الذي كنت اعدو فيه على سلم الدار ، فسقطت على ركبتي وسالت منها الدماء ؟ بالطبع لا تذكره .. فلا اظنه يعنيك شيئا اما انا فاني اذكر كل ما حدث فيه بالضبط .. كان يوم خميس وكنت آتية لزيارة اختك . واخذت اقفز على الدرج ، كما تعودت ان اقفز دائما . ولكن قدمي زلت، فهويت على ركبتي، وسالت مني الدماء . وكنت انت تطل من النافذة ، فنزلت تعدو الى ، وحملتني بين يديك فغسلت ركبتي وربطتها بمنديلك .. وحنوت على في عطف وحنان ، ثم قبلتني ماذا كان اثر ذلك اليوم في نفسك ؟ لا شيء .. فما كنت عندك اكثر من طفلة سقطت على الدرج ، فجرحت ركبتها ، وما كنت تحس نحوي اكثر مما تحسه نحو اختك الصغيرة

وماذا كان اثره في نفسي ؟ اما عن القبلة .. فما زلت احس حلاوتها حتى الآن . واما عن المنديل .. فقد انتقل من ركبتي الى صدري . لقد ضمدت به جرح ركبتي فيما مضى ، اما الآن فاني اضعه على صدري .. علي اضمد به جراح قلبي . لقد كان ذلك اليوم بداية حياة جديدة ..

او قل انه كان بداية حياتي ، فما اذكر انني كنت أحيا قبل ذلك .. لم اكن خلال تلك الفترة السابقة اكثر من جنين لم ير ضوء الحياة بعد

هل الحياة هي أن ناكل ونشرب وننام ونستيقظ . ما الفرق اذا بين الانسان والحيوان ؟ .. ان الانسان يحيا بقلبه، وغذاء القلب وهواؤه هو الحب . فاذا لم يحب الانسان ، فقد هواء الروح وغذاء القلب، واضحى هو والعدم سواء

منذ ذلك اليوم ــ وقد اضحت رؤيتك غذاء نفسي ــ لا احتمل ان يمر بي يوم دون ان اراك . ولم تكن رؤيتك بالامر الشاق ، اذ كنت اقضي عند اختك جل وقتي

كم تسللت الى غرفتك في غفلة منهم ، فجلست الى مكتبك وضممت كتبك الى صدري ومسستها بشفتي .. لأني كنت اعلم ان يدك قد مست صفحاتها وكنت اشم بين اوراقها عبق انفاسك ، واسمع من بين سطورها همس شفتيك .. كم اختلست اللحظات لأتحسس فراشك ، وادفن وجهي في وسادتك ، واقبل كل ما تمسه يدي من أمتعتك .. كانني عابدة في هيكل مقدس .

ومرت بي الايام وانت لا تحس بي ، أو تحس بي كأخت لك . وأنا راضية قانعة ارقبك من بعد ، لا يزور الكرى عيني الا اذا نمت انت . كنت ارقب حجرتك من نافذتي ، اتطلع اليها كما يتطلع المؤمن الى السماء .. لا يرى ربه ، ولكن ملء نفسه الايمان به

وفي الليالي التي كانت غيبتك تطول ، والتي كنت لا ابصر فيها ضوءا في حجرتك .. كنت أجلس في انتظارك ، وكانني من فرط القلق على جمر اللظى أو شوك القتاد . وكلما سمعت وقع اقدام في الطريق مددت رأسي من النافذة ، فاذا لم اتبينك تملكني الخذلان وعدت الى الانتظار . وهكذا اظل حتى تحضر واطمئن فاذهب الى النوم

واخيرا يا حبيبي .. بدات اسمع لحبي صدى في نفسك

كيف ؟ .. لست ادري . وما حاولت قط أن ادري . لقد كان حسبي منك ومن الحياة مجرد الاحساس باني قد اضحيت عندك ذات موضوع ، وانك بدات تهتم بي ، وتختلس الي النظرات ، وترتقب المواعيد ، وتطيل من أوقات بقائك في الدار

اني لم ادع قط الذكاء ، ولا قوة الملاحظة ، ولكني كنت في اكتشاف حبك لي من اشد الناس ذكاء ، واقواهم ملاحظة . كنت تحاول أن تجعل لقاءنا صدفة ، ولكني كنت أعلم انه كان وليد تدبير، وكنت احس انك ترقبني دون حاجة الى ان انظر اليك

اية سعادة تلك التي كانت تغمرني وقتذاك ؟ لقد بدات تتطوع لمساعدتنا انا واختك في الاستذكار وفي عمل الواجبات ، واخذت تقضي الساعات الطوال

معنا في الحجرة . ترسم لي رسماً او تكتب لي واجبا ، وانا انظر اليك صامتة اللسان صخابة الحشا ، يكاد ينوء كاهلي بما حل من صنوف السعادة والوان الهناء . وهكذا بدأ بيننا دور الحب الصامت .. تثب الضلوع للضلوع ، ويخفق القلب للقلب ، وتهفو الروح للروح ، وتنبض المهجة للمهجة ، وتشتعل العين من العين . اما الشفاه فلا تنطق حتى كان ذلك اليوم الخالد ، يوم لقائنا تحت الكرمة . قلت لي هامسا انك تريد ان تسر الى شيئا ، وطلبت منى أن القاك في كرمة الحديقة عند ما يسقط الظلام ، واحسست أن قلبى يكاد يقفزمن بين اضلعى ، وعرتنى اذ ذاك هزة وتملكنى الارتباك .. ولم استطع انابس ببنت شفة ، وانطلقت هاربة لا الوى على شيء وعند ما سقط الظلام ، كنت استرق الخطى الى هناك

آه ...

آه ياحبيبى من حلاوة الذكرى ومرارتها .. آه من جرح يدمى ومن قرح ينكأ . آه من ليلة لم تنسها النفس ، ولم يسلها القلب ليلة تساقينا فيها الغرام ، ومزجنا الروح بالروح .. ليلة لم تبق لى منها الا حسرات وآهات

لكأني بالقدر وهبنا اياهاخلسة فلشد ماكانت متعتنا فيها سريعة المسترد ، اذ عرفت في اليوم التالى لها انك ستسافر في بعثة الى الخارج

ولقد اصابني هم شديد ، برغم انى كنت أعرف أن في السفر تقديرا لك وازدهارا لمستقبلك. ولكنى كنت أخشى الفرقة ، واوجس منها خيفة .. ولقد صدق حدسى . . فحدث ما حدث.

بعد بضعة اشهر من سفرك انبأتنى أمى ان ابن خالتي تقدم لخطبتي . ووقع على النبأ وقوع الصاعقة ، واجبتها بانى لا اريد الزواج . ولكن المسألة لم تكن من السهولة بحيث يكفى ان ارفض الزواج فينتهى الامر

لقد ظنوا قولى باديء الأمر تدللا وخجلا .. ولكن عند ما اتضح لهم اصراري ، تملكهم الدهش فلقد كانوا يرون في ابن خالتي نموذجا للزوج الكامل ، من كل ناحية .. وزاد الحاحهم على ، واخذوا يضيقون على الخناق .. حتى اضطررت في النهاية الى أن انبىء والدتى انى لن اتزوج احدا سواك

وهنا بدأ دور النصح ، وافهمونى ان من العبث ان احاول انتظار الغد المجهول .. وان عصفورا في اليد خير من الف على الشجرة

اجل يا حبيبى .. لقد اخذوا يذمون لى فيك ، ويوازنون بينك وبين ابن خالتي .. رافعينه الى الذرى خافضينك الى الحضيض. ولكنهم كانوا كناطحى الصخر .. فما وهنت قط امام اقوالهم ، واصررت الا اتزوج سواك .. حتى كان ذات يوم ، وهنت فجأة وتهاويت وتخاذلت .. بل خررت

امامهم صريعة ، عندما اخبرونى انك تزوجت ! !

آه ...

آه منك ومن طعنتك الدامية ، كنت استطيع ان انتظرك حتى آخر العمر .. ما دامت لي فيك بارقة امل تعيننى على الانتظار. أما الآن .. فماذا افعل وسط تلك الدياجير الحالكة من اليأس المميت ؟ !

مضت فترة وأنا لا أكلم أحدا ولا اسمع لأحد .. عافت نفسى الاكل وهجر عينى الكرى ، حتى بدات أتمالك وأتماسك وأتجلدعلى هجرك وأتصبر ، واخذوا هم يلحون على فى قبول ابن خالتي حتى تمت الخطبة . ماذا يضيرنى ان أتزوجه هو او سواه ، ان كل الناس عندى سواء ، بعد أن فقدتك . ولم تمض بضعة ايام على الخطبة حتى رقدت طريحة الفراش .. ارزح تحت اعباء المرض

انى احس بالداء ينخر فى جسدى .. وينتابنى احيانا شعور بأن ايامى فى الحياة قد اضحت معدودات ، برغم انهم يحاولون أن يبعثوا الطمانينة فى نفسى ويخففوا امامى من خطورة حالتى

ان اكثر ما يثقل على فى محنتي ويوجع نفسى.. هو أننى مخطوبة لغيرك. كم تتملكني رغبة شديدة فى أن القى بالخاتم من النافذة .. لأنى أحس انه يحز فى اصبعى وفى قلبى . اجل .. كان يجب على الا أقبل غيرك ، اما أنت أو لا احد سواك . كان يجب على أن انتظر .. أنتظر حتى نهاية العمر .. من يدرى ؟ .. اننى احس بالندم يحز فى نفسى . انى لا أحتمل هذا الخاتم الثقيل ، ساقذف به من النافذة وسآمرهم أن يفكوا الخطوبة .. وليفعلوا بى ما يشاءون

●

وطويت المفكرة بعد ان انتهيت من قراءتها ومددت يدى بها الى صاحبى فى صمت وسألته هامسا :

ــ وهل فكت الخطبة ؟

فأجابنى صاحبى ، وقد شرد ذهنه وتاه بصره :

ــ اجل .. لانها ماتت . لقد عدت من الخارج فوجدتها قد ذهبت . واعطتنى امها المفكرة وهى تنشج باكية ، وقالت لى : « انها لك . كما كانت صاحبتها لك » غفر الله لها . ولهم . لقد اتهمونى كذبا بالزواج ، وعلم الله انى ما نسيتها لحظة واحدة ، وانى كنت أعد الدقائق واللحظات لأعود اليها

واطرق صاحبى براسه ولمحت فى عينيه عبرة تترقرق .. وخرجت من صدره ــ حارة ملتهبة عميقة مريرة ــ كلمة «آه»

يوسف السباعى

الأقصوصة الفائزة بالجائزة الاولى فى مسابقة الهلال

بقلم

الأديب محمد عبد الحليم

ابن العمدة

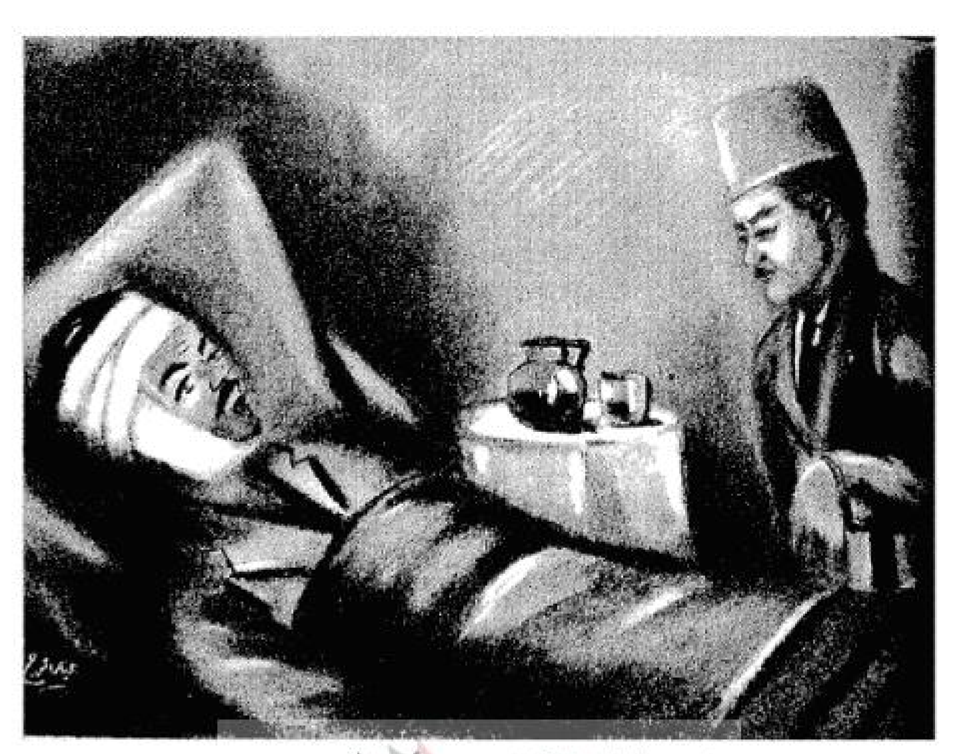
ملت عليه بصفحة وجهى ، وقلت وعلى شفتى ابتسامة ملؤها تأثر واعظام : « وهكذا سيكتب التاريخ اسمك ياصديقى — بعد عمر طويل — فى سجل الخالدين ! »

فقطب فى سريره وهو راقد، وقرأت فى أسارير وجهه آيات من الألم المكبوت ، ثم واجهنى بعينين فيهما رضا وشجاعة واستسلام ، ووضع يده على جبهته فوارت شيئا من الضمائد التى لف بها رأسه ، ثم أسبل جفنيه وقطب وجهه ، كأنما يذكر شيئا بعيدا . وأخيرا اتجه الى باهتمام ، وقد انفرجت شفتاه عن ابتسامة فاضت بكثير من السخرية ، وقال : « التاريخ ؟ ! » قلت : « نعم .. التاريخ . ماذا فى هذا ؟ ! » فقال : « لا شىء فيه . الا أنه صنم نصنعه بأيدينا ثم نعبده ، وتكتبه الأهواء ثم تسجد له العقول . المجد الحقيقى يا صديقى فى صفحات أهملها التاريخ .. هى المناظر التى تخاطب العواطف على مر الدهور، وقد حذفها المضللون من شريط الزمن »

قلت : « ماذا تعنى ؟ » قال : « أعنى ما سأقصه عليك .. »

●

« كان ذلك فى أواخر يونيو سنة ١٩٠٦ حين بدأ الجلادون فى تنفيذ ما قضت به المحكمة المخصوصة — من جلد واعدام — على عدد من رجال « دنشواى » لأنهم تعرضوا لضباط الانجليز وهم يصيدون الحمام ، وكان اليوم قائظا ، والشمس قد توسطت السماء ، لأن المنتقمين أرادوا أن تكون ساعة تنفيذ الحكم هى نفس الساعة التى وقع فيها الاعتداء المزعوم على « الكابتن بول » ، حين أطلق رصاص بندقيته على حمامتين سقطتا على أكداس القمح . وكانت هناك امرأة على النورج تسوق بقرتها فى فتور وكسل واطمئنان ، فارتاعت لما رأت انجليزيا وبندقيته .. ثم نارا تشتعل فى قمحها وقوت



قال : « ما التاريخ إلا صنم نصنعه بأيدينا ثم نعبده »

عامها. فصرخت مولولة.. واطلق الكابتن النار عليها من جديد، فاصيبت وسقطت فاقدة الوعى. وتجمهر الاهلون رجالا، ونساء، واطفالا كانوا يلعبون تحت ظلال الشجر، ليحولوا بين الضابط وبين بندقيته، حتى لا يقتل احدا. وانتهى المشهد بان ذعر الكابتن، واخذ يعدو فى هذا القيظ حتى بعد عن القرية ثلاثة عشر كيلومترا، وكان براسه جرح غير بالغ.. لكن الجرى والحر افسداه حتى جعلا منه سببا لموته

« وفى الجرن حيث سقطت الحمامتان اللتان قصدهما الكابتن بالصيد، نصبت مشانق، وضربت خيام، ودعى كثير من أعيان القطر ليشهدوا درسا فى الانتقام لا تنساه الاجيال. ووقف الحرس الانجليزى بخيله وسلاحه، والتف أهل القرية حول الجرن يودعون الاحباب على عتبات الاستشهاد بدموع حرى واشارة خرساء

« ونفخ احد الجنود فى البوق ايذانا بابتداء التنفيذ.. فارتجفت آلاف من القلوب والأجساد، وصعد اربعة رجال سلم المشنقة حيث اسلموا رقابهم للحبال ونفوسهم لله. ونقلت جثثهم الى الخيام للغسل والتكفين، ثم

تعالت اصوات عشرات من الرجال يصرخون من سوط الجلاد . وسجل المستعمر الغاشم لنفسه بطشا جديدا على نفوس الابرياء

« وقبل أن ينفض الجمع ويفارق الشرود الألباب ، حوم سرب من حمام دنشواى فى سماء الجرن ينخفض تارة ، ويرتفع تارة ، ثم سقطت حمامتان منه على ذروة احدى المشانق ، فاطلق رئيس الحرس عليهما النار من بندقيته فقهقه الجنود وفزع الناس .. »

ثم سكت الجريح عن الحديث قليلا ، ريثما يرتشف جرعة من الماء .. وتحسس بيده الضمادات التى على بطنه ، وقال يكمل الحديث :

« كان فى القرية فى ذلك الحين فتى فى السابعة عشرة من عمره ، قوى البنيان ، سمهرى العود . وكان ذاهبا لبعض شانه يوم وقعت هذه الحادثة المشئومة . ولما راى ما يبدو على وجه الكابتن بول من شراكيد ضربه بحجر فى مؤخر راسه ليستطيع استخلاص البندقية من يده . ولم يكن هذا الشاب الا ابن العمدة ووحيده ووارث ثروته ، وكان طالبا يقضى اجازة الصيف ، وقد اتم دراسته الثانوية فى ذلك العام

« وعم القرية هرج ومرج بعد اصابة الكابتن واهتمام أولى الامر بالامر . ولم يدرك العمدة البطاش عظم الكارثة .. فقد القى التهمة على عميد اسرة معادية له منازعة اياه فى السلطان ، وعلى بعض افرادها كذلك . وكانت الفتنة عظيمة افقدت كل حليم لبه ، فلم يستطع أحد للشر دفعا

« وسجى الليل ، ونامت عيون على ذعر ، وسهرت عيون تفكر فيما عسى أن يحمله الصباح .. لان دنشواى سادها فى ذلك الحين ما كان قد ساد فرنسا ايام عهد الارهاب حين جرى على الألسن مثل يقول : « سق عدوك الى المقصلة قبل ان يسوقك اليها » . فكانت أقل الوشايات عند العمدة تدخل أى رجل فى عداد المتهمين الذين جعل مسجد القرية لهم معتقلا

« نعم .. سجى الليل ، وخلا الولد بابيه ، وكان الخفراء قد جروه جرا الى بيته بعد الحادث ، فقال لابيه :

ــ لعلك تعلم يا ابى اننى انا الذى ضربت الضابط الصياد

فقال العمدة متجاهلا :

ــ لا علم لى بذلك .. احذر يا بنى أن يعلم أحد بهذا النبا

ــ اذن فسينال العقاب غير مرتكب الجريرة ، وهذا ما لا يحتمله ضميرى

ــ وماذا تريد أن تفعل أيها المجنون ، هل يخوض النار أحد بمحض ارادته ؟ !

ــ اصغ الى يا ابى .. هذا شىء لا مجال للنقاش فيه ، ولك الآن أن تختار أحد امرين .. فاما أن تسلمنى للعقاب بوصفك ممثل الحكومة فى هذه القرية ، واما أن أسلم نفسى بنفسى

وهنا ثار العمدة ثورة الجنون. فأخذ يضرب صدر ولده بقبضة يده تارة ، ويلطم وجهه تارة أخرى ، ثم يميل عليه يقبله مرة ويحتضنه مرة ، ويدفعه عنه فى قسوة وعنف مرة أخرى ، ودموعه تسيل على لحيته .. ولما افاق قليلا ، قال له :

ـ انت وحيدى ووارث اسمى وثروتى.. فكيف أسلمك للموت، الا ترحم الأبوة والشيخوخة والدموع ؟ !

فقال الولد بصوت خافت كأنه صادر من اعماق قبر :

ـ وأنت يا ابى .. الا ترحم دموعا فى غد ستسيل ، ولو تجمعت لجرت جدولا، ثم الا ترحم دماء فى غد ستسفك، ولو تجمعت لملأت غديرا ؟ !

●

«مضى على هذا الحديث شهر، ونفذت أحكام « محكمة التفتيش » فى القرن العشرين، وفتحت قبور وسجون ، واغلقت ابواب بيوت، ولم يظهر ابن العمدة فى القرية . وقال ابوه :

ـ انه مريض فى احدى المدن ويحتاج الى علاج طويل ..

« وانقسم اهل دنشواى فى موقفهم من ابن العمدة عقب الحادث، ثلاث فرق : فرقة الامعات الذين لا خطر عندهم ، وفرقة الأحباب المتملقين، وهؤلاء لاخطر عندهم كذلك ، اما الأعداء ، فقد وسعتهم حيلة العمدة . . وسرعان ما اشعلت فى قمحه النار ثم اتهموا فيها ، وقوى الاتهام انهم انما يريدون ان ينتقموا لاتهام ذويهم فى حادث الحمام

قال صديقى : « يبدو عليك انك تتلهف الى معرفة حلقة مفقودة فى حديثى ، وهى : «الى اين ذهب ابن العمدة ؟ »

« واقول : انه لم يذهب ... ولكنه ذهب به ... حمل بالليل مكتوفا الى حيث أخفاه ابوه فى عزبة بعيدة حتى لا يخوض النار بقدميه . ولم يكن الحكم فى قضية الحمام حكما منطقيا عادلا يقصد به تقديم المذنب بنفسه لينال الجزاء كما هى سنة العقاب ، وانما كانت فكرة الارهاب والانتقام تسيطر على عقول الحاكمين ، كأنهم ارادوا ان يخوفوا الناس ببشاعة الدم ، فاراقوا دم من صادفوه »

ثم شحب لون محدثى قليلا حتى خيل الى ان عينيه غارتا اكثر من قبل ، وتلوى فى فراشه وقال :

ـ وقد عاش هذا الشاب يئن تحت عبء الضمير ثلاثة عشر عاما، ثم أتم دراسته فى الحقوق واحترف المحاماة . ولعل لحادث الحمام دخلا كبيرا فى اختياره المهنة

●

ونحن الآن فى سنة ١٩١٩ ، ومصر تغلى كلها فى أتون من الثورة.. ثم سكت واندفع يقول كأنه خطيب :

ـ وقد قاد ابن العمدة الجماهير بروح قوية ، وحمل رأسه على

كفيه ، وهو معتقد انه سيموت. ولكن موته كالصلاة التى تقضى ، على حين انه كان يجب أن تؤدى فى وقتها المحدود

لم يرهبه رصاص الانجليز فى شوارع المدينة . وكم من سلاح استولى عليه منهم بيده العزلاء وقلبه المسلح باليقين والغيرة ، ثم اطلقه على عدوه،واكب عليه ليقول له فى اذنه والدم ينزف منه : « قتلتك حامة من دنشواى » وهو لا يعلم — وقد لا تعلم انت كذلك — كم كانت هذه الكلمة تشفى غلة صدره ؟!

قلت له مبهوتا :

— يخيل الى انك تقص على قصتك !

فقال وقد هدات ريحه وانبسطت اساريره : « نعم هو كذلك »

قلت : « وكيف تخفى عنى الآن اسم موطنك ؟ ! »

قال : « كان ذلك عورة من عوراتى التى سترتها عن الاصدقاء .. وأنا اليوم على عتبة الآخرة بعد ان اصابنى رصاص الانجليز، أعترف لك بكل ما يؤلم كما يعترف المسيحى أمام القسيس . اما ابى فسيذيقه الله الثكل »

ومضت أيام قلائل سرنا بعدها شوطا قصيراً الى حيث وارينا البطل التراب وهو فى مقتبل الحياة ، وعدت وأنا اذكر قوله الساخر :

— التاريخ ؟ !.. ما التاريخ الا صنم نصنعه بايدينا ثم نعبده ..

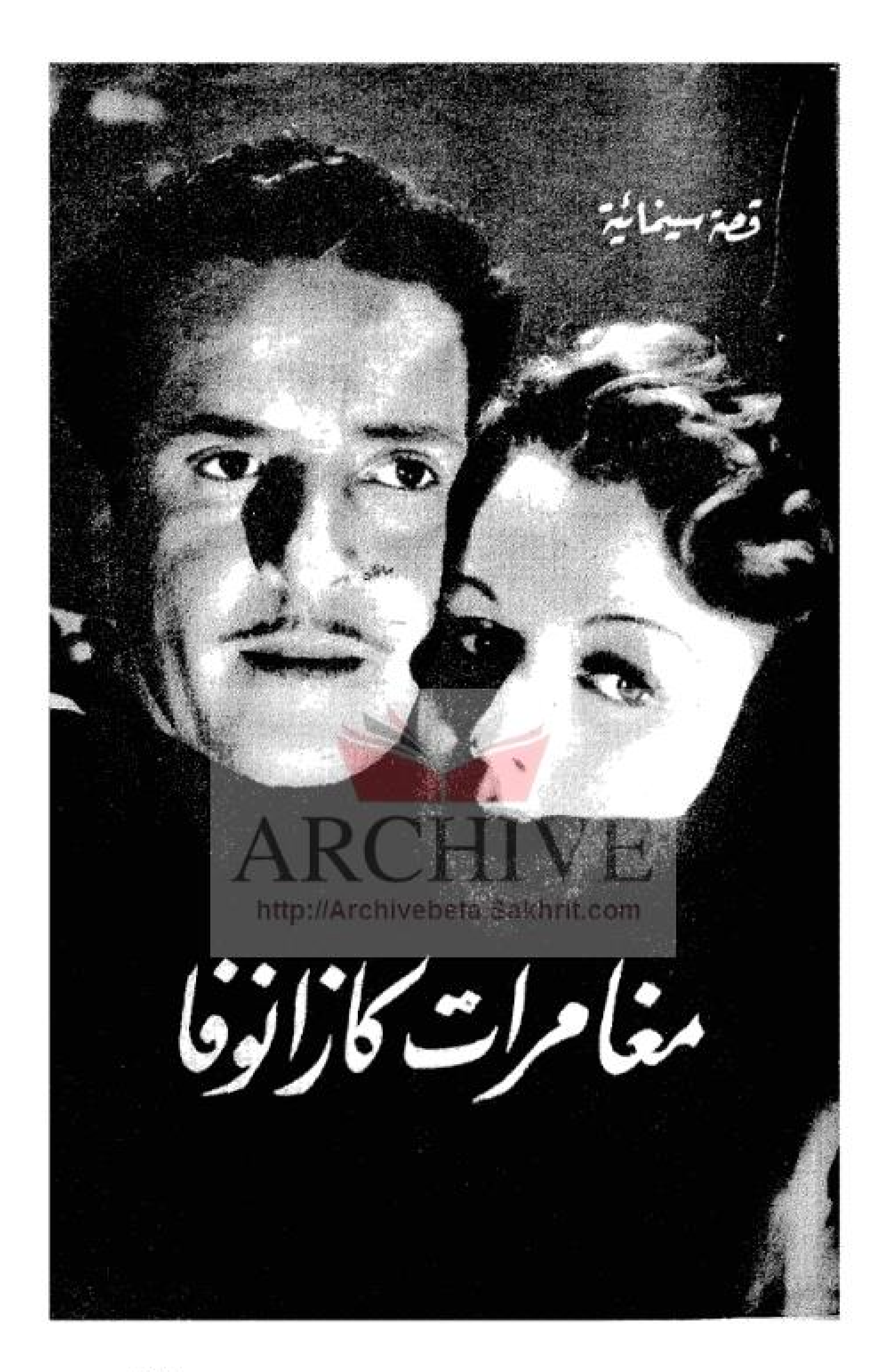
محمد عبد الحليم

فضولى !

شرع رجل يكتب خطابا خاصا فى احدى السيارات العامة ، وكان بجانبه شاب يتابع النظر فى الورقة التى يكتب فيها .. فتضايق الرجل وكتب « ان شابا جاهلا خسيسا ينظر فى خطابى ويضطرنى الا أواصل الكتابة » . فغضب الشاب ، وقال : « انى لم انظر فى خطابك » . فقال الرجل : « وانا لم أكتب عنك شيئا ! »

جواب صفحة ١١٨

حينما أسقط الرجل الدرهم فى الجرة ، صعدت على سطح الماء بقع من زيت استدل منها القاضى على انه درهم ملوث بزيت الفطير الذى احتوته سلة الصبى


قصة سينمائية
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com
مغامرات كازانوفا

من قصص الكفاح ضد المستعمر المحتل

حدثت هذه القصة فى جزيرة « صقلية » بايطاليا .. فى ذلك العهد الذى غزا فيه النمسويون الجزيرة ، واذاقوا أهلها ألوانا من العسف والاستبداد ، وقطعوا عنهم المؤونة والزاد

فلا عجب اذا الف كازانوفا عصابة من الثوار وجعل منهم سلاحا رهيبا للانتقام ، يشهره فى وجوه الغزاة وكل من يعمل تحت امرتهم .. وبخاصة دالبرنسى ، حاكم الجزيرة ، الذى اسلم قياده لهم فى سبيل احتفاظه بمركزه

●

وتبدأ حوادث القصة فى احدى الغابات المنتشرة فى الجزيرة ، حيث كمن افراد العصابة فى الغابة يحيط بهم الظلام من كل ناحية فى انتظار اللحظة التى يخطون فيها أول خطوة فى سبيل تحرير وطنهم وتخليص قومهم مما يقاسونه من هول وشظف وجوع

وعاد كازانوفا بخواطره الى الماضى القريب ، عندما قتل الغزاة والده واخته ، واحرقوا املاك أسرته ، وشتتوا من فيها بمعاونة الحاكم الظالم . فوقف من أجل ذلك مع عصابته موقف التربص ليطلق أول سهم من سهام الانتقام

ولم يكن هدفه سوى شقيق الحاكم ، الذى كان سيمر بالغابة فى طريقه الى قصر أخيه للاشتراك فى حفلة زواج ابنته من النبيل دى بريساك ، شريك الحاكم فى ظلمه واجرامه

ولو أن كازانوفا كان فى موقف غير موقفه هذا ، لما اقر مثل هذا الزواج ، فهو يعرف أن الفتاة تكره هذا الزوج الذى يريد والدها ان يزفها اليه قسرا ، وانها بعد حضورها من مدرسة الراهبات التى قضت فيها سنى طفولتها وبعض أيام شبابها تعيش حبيسة فى قصر والدها حتى تحين لحظة زفافها

كان يعرف كل هذا .. ولكنه لم يحرك ساكنا وهو الذى اعتاد ان يهب لنجدة كل فتاة ، وبخاصة اذا كانت تتمتع بقسط وافر من الجمال ، مثل اللادى بياتكا ابنة الحاكم !

ولكنه كان حينذاك فى شغل شاغل عن الجمال وصاحبات الجمال ، انه يريد أن ينتقم لوطنه وقومه

وقطع عليه افكاره صدى ضربات حوافر خيل قادمة من بعيد .. فانتفض فوق جواده وارهف سمعه حتى اذا ما زاد الصوت وضوحا صاح فى رجاله :

— استعدوا

ولم تكد العربة التى تقل شقيق الحاكم تقبل عليهم حتى اطبقوا عليها من كل ناحية .. وما هى الا لحظات حتى أسروا شقيق الحاكم . وصارحه كازانوفا فى

سخرية بانه يسره أن ينزله فى ضيافته سواء رضى أم كره ، وامر رجاله بأن يأخذوا ضيفهم معهم الى قصره الجبلى القديم ويشددوا عليه الرقابة حتى يعود اليهم

واستدار بجواده بعد ان طلب من زميليه «لورنزو» و«دانتشى» أن يتبعاه ، وتوجه نحو قصر الحاكم !

وفتح بابه على مصراعيه للثوار الثلاثة بعد أن لوح للموجودين فيه براية بيضاء اشارة للتسليم ، واهتز القصر بمن فيه لأن الثائر الرهيب حضر بنفسه اليهم ، ودخل فى جراة واعتزاز ، هو وزميلاه ، مارين بصفين من الجنود فى طريقهم الى غرفة الحاكم

ولمح كازانوفا فى الغرفة غادة رائعة الجمال هي اللادى ادريا عشيقة الحاكم ، ولكنه القى عليها نظرة عابرة على غير عهده عندما ترى عيناه مثل هذا الجمال . وما أن رأى الحاكم أمامه ــ والى جانبه دى بريساك ــ حتى انحنى فى خضوع مصطنع ، وقال له :

ــ انني يا سيدى جئت احتج على ما تقاسيه النساء والاطفال من جوع وحرمان

فرد عليه الحاكم فى برود قائلا :

ــ وأنا أمرت بأن تعدموا ثلاثتكم رميا بالرصاص

وكان كازانوفا يتوقع مثل هذا القول ، فابتسم وقال :

ــ أخشى أن يفقد سيدى شقيقه اذا نفذ هذا الامر .. انه اسير لدى .. فاذا لم اعد الى رجالى حتى منتصف الليل كان الموت مصيره .. سيدى .. أريد ان تأمر حالا باطعام الجائعين

واجتاحت الحاكم موجة غضب .. ولكنه كظم غيظه وغادر الغرفة تتبعه اللادى ادريا التى التفتت خلفها قبل خروجها فالتقت عيناها بعينى كازانوفا ، ووجد الثائر نفسه عاجزا عن مقاومة جمالها الصارخ ، فابتسم لها قبل أن يتجه الى النافذة ليشاهد قومه الجائعين وهم يتلقون نصيبهم من الطعام فى حوش القصر

●

وبادر كازانوفا الى الخروج من القصر ، وفيما هو فى طريقه اقترب منه أحد الحراس ووضع فى يده ورقة لم يكد يرفعها الى عينيه حتى نفذ منها عطر ساحر . وقرأ ما فيها فاذا اللادى ادريا تستدعيه الى مخدعها !

ولم يكن كازانوفا بالذى تفوته مثل هذه الفرصة ، فنظر الى لورنزو ودانتشى ، وامرهما باستحضار عربة وانتظاره فيها بجانب سور القصر الشمالى

ولم تحل اعتراضات لورنزو بينه وبين رغبته ، وهكذا لم تمض لحظات حتى كان فى مخدع اللادى ادريا .. ولم يجد اشهى من شفتيها القرمزيتين وهو يقطف منهما احلى القبلات ، وفجاة انفلتت من ذراعيه ، وقالت له فى فزع :



.. وسمعها تقول : « خذنى معك .. لاتتركنى »

ـ اذهب حالا .. ان ضميرى يوبخنى .. لا يمكننى أن أشترك فى هذه الجريمة .. ان دى بريساك يحتال على تأخيرك الى ما بعد منتصف الليل

فقهقـه كازانوفا ضاحكا ، ثم ودعها بقبلة وهو يقول :

ـ قولى له ان حراسه عكروا على صفو خلوتى بك فوليت منهم فرارا !

وفيما هو يتحسس طريقه فى الظلام امسكت به يد ، واذا هو أمام خادم نحيف قال له فى صوت مرتعش :

ـ مولاى .. سيدتى تستنجد بك .. انها فى حديقة القصر !

وسأل كازانوفا نفسه : « هل هو فخ آخر يريد ايقاعه فيه ؟ » ولكن ماذا يهم ما دام فى الامر سيدة .. ؟ ولم يشعر الا وهو يقفز من مكانه الى الحديقة ليرى نفسه بجوار التى تستنجد به .. ويحس بذراعيهـا البضتين تحيطان به وشفتيها تلتصقان بشفتيه فى قبلة حارة تعبر له بعدها عن شكرها له ، ولم يكد يملأ عينيه من جمالها النادر حتى سمعها تقول :

ـ خذني معك .. لا تتركني
ـ ولكنني من الثوار ياسيدتي !
ـ اعرف .. بالله عجل .. لقد اكتشفوا هروبي

وتردد أول الامر .. ولكنه راى فى جمالها براءة وطهرا فزايله تردده وانتزع سيفه من غمده وامسك بيدها متجها فى سرعة الى سور القصر الشمالي . وأمام باب السور وجد العربة وبجانبها لورنزو ودانتنتشي

وما هى الا لحظة حتى كان هو والفتاة بداخل العربة التى لم تكد تتحرك حتى تعلق بها الخادم النحيف والقى بنفسه تحت قدمى سيدته

واندفعت العربة مسرعة ، واحاط كازانوفا الفتاة بذراعه وهم بتقبيلها فابعدت وجهها عنه وهى تقول :

ـ ارجوك .. ان كنت قد قبلتك فى الحديقة فلفرحي بحضورك لنجدتي .. انني احب شخصا آخر .. وهو يحبني ايضا

ثم استطردت بعد لحظة :

ـ انني يا سيدى السنيوريتا بيانكا دالبرتاسي

فصاح كازانوفا مندهشا :

ـ يا الهى ..! ابنة الحاكم ؟!

وازدادت دهشته عندما وصلت العربة الى قلعة الثائرين فى الجبل .. فلم يكد يساعد بيانكا على النزول وهو يحاول مغازلتها من جديد ، حتى رآها تنفلت من يديه وتجرى نحو زميله لورنزو وتلقى بنفسها فى أحضانه .. انه حبيبها الذى حدثته عنه !

وفيما هو فى دهشته سمع صراخا، فالتفت ليرى الثائرين وقد هجموا على الخادم الذى رافق سيدته يريدون التنكيل به . فصاح فيهم كازانوفا :

ـ اتركوه .. لقد ساعدنى على الفرار

واحاط كازانوفا الخادم بذراعه مهدئا روعه بابتسامة ، وعندما راى الخادم سيدته تبتعد مع حبيبها نظر الى كازانوفا نظرة خضوع ، وقال :

ـ كم يسعدني يا مولاى ان اكون خادمك المطيع

فربت كازانوفا على كتف الخادم بكفه وقال :

ـ لقد قضيت يوما متعبا .. فلنذهب الآن الى النوم

وعندما دخلا الغرفة لاحظ علامات الارتباك على وجه الخادم فناداه :

ـ تعال يا حبيبى واخلع لى حذائى !

وشد الخادم الحذاء عاجزا ، فقال له :

ـ كانك امراة فى ضعفك .. ساجعل منك رجلا !

وسمع كازانوفا فى هذه اللحظة صوت لورنزو يتكلم واللادى بيانكا تبكى ، فأسرع الى النزول ليرى معهما الأب جاكوبو وهو يقول :

ـ ولكنك مرتبطة الآن

بالشفاليبه دى بريساك .. ولا يمكننى عقد زواجكما

فصاح لورنزو :

ـ اذا كان هو العقبة.. فلابد ان أزيله من طريقى .. سأبارزه واقتله ..

ورآه كازانوفا يكتب كلمة يتحداه فيها ، ثم سمعه يرجو الأب جاكوبو ان يوصلها اليه

وعاد كازانوفا الى غرفته مهموما .. فهو يعرف ان دى بريساك من أبرع رجال السيف ، ولا بد انه سيقبل التحدى ويصرع لورنزو كما يصرع دجاجة عاجزة من الدفاع عن نفسها

●

وفى الصباح عاد الأب جاكوبو لينبىء لورنزو بقبول التحدى ، وشغل هذا الامر بال كازانوفا طوال اليوم وانتهى به تفكيره فى المساء الى ان يقرر أن يحل محل لورنزو فى هذه المبارزة . وسمعه الخادم وهو يحدث نفسه قائلا :

ـ حرام أن تحرم منه بيانكا. اما انا فليست هناك امرأة يهمها أمرى

فتقدم منه الخادم وقال :

ـ سيدى .. حان وقت العشاء .. ولن يطيب لك الطعام وحدك بقدر ما تشاركك فيه واحدة .. لقد رايت هنا فتاة اظنها تعجب سيدى

وابتسم كازانوفا لاقتراح الخادم ولطمه على ظهره بكفه وقال :

ـ فكرة مدهشة .. احضرها يا غلام !

وبعد لحظات سمع طرقا على الباب ، فأمر الطارق بالدخول.. وما كاد يفتح الباب حتى راى امامه اجمل فتاة وقع عليها نظره . وقبل ان ينطق بكلمة سمعها تقول فى ابتسامة ساحرة وهى تتقدم اليه :

ـ يسرنى أن اقضى بعض الوقت معك كما طلبت. .اسمى زانيتا..

ونظر الى وجهها مدققا ثم قال :

ـ كانى رأيتك من قبل

وامسك بيدها واتجه بها الى المائدة ، حيث تناول معها الذ عشاء ذاقه فى حياته . وسالها بعد انتهاء الطعام عما اذا كانت تعرف اللعب بالورق .. فلما اجابته بالنفى قال لها :

ـ اذن سأعلمك .. فاذا تغلبت على أعطيتك نقودا..واذا تغلبت عليك اعطيتنى قبلات !

ومضت ساعتان .. واذا به يجد نفسه وقد خسر آخر قطعة من النقود ! ولكن هل يخسر قبلاتها ايضا ؟ ونهض من مكانه واقترب منها قائلا :

ـ اريد اجرى يا سيدتى .. الم اعلمك لعب الورق ؟

وهم بتقبيلها ليتقاضى اجره ، فأبعدته عنها فى رفق ، وقامت لتتجه الى الباب قائلة فى ابتسام :

ـ لم يحن بعد وقت السداد يا سيدى ..! اتمنى لك أحلاما سعيدة !

وفيما هى تخرج من الباب ربت بيده على ظهرها كعادته وقال :

ـ ساستيقظ قبل الفجر « يا صبي » فليكن طعام الافطار معدا

والتفتت اليه الفتاة في دهشة وقالت :

ـ اذن فقد كنت تعرف انني فتاة لا صبي !

ـ منذ رايتك عندما جئت تطلبين النجدة لسيدتك .. لا شيء يخفي على عيني خبير بالنساء يا آنستي !

وتبعها بنظره وهي تبتعد عنه في خفر وحياء .. ولاول مرة يجد صورة جميلة تلازم خياله وهو الذي لم يفكر طوال حياته في امراة معينة. ولكن ها هي ذي صورتها ماثلة امامه حتى في اللحظة التي خرج فيها لمبارزة دي بريساك . ووجده منتظرا بالغابة فما كاد يراه حتى قال :

ـ جئت وحدك يا كازانوفا .. حسنا .. سيكون لي منك صيد اثمن من صديقك الجبان

ودفع اللعين سيفه بسرعة نحو كازانوفا ولكنه تفادى الضربة التي وجهها اليه خصمه .. ثم اشتبكا في مبارزة حامية .. وفجاة سمع الاثنان ضربات حوافر جواد تختلط برنين السيوف، ثم تقدم الفارس بسرعة من المتبارزين فاذا هو .. زانيتا

ونظر اليها كازانوفا متسائلا فسمعها تقول :

ـ اسرع بالهرب .. ان جنود دي بريساك يحيطون بالمكان . واستحثت زانيتا الجواد وابتعدت

وقبل ان يتبعها كازانوفا صاح دي بريساك طالبا جنوده ، فاذا بهم بعد لحظة يطبقون على كازانوفا ويسدون في وجهه طريق الفرار !

وذهب معهم مقيد اليدين الى قصر الحاكم .. وما كاد يدخل حتى غاص قلبه في قلعيه ..! فقد راى امامه زميليه لورنزو ودانتشي في حراسة بعض الجنود. واذن فقد اصبح الثائرون بدون زعماء يقودونهم !

دخل دي بريساك بعد لحظة وقال في ضحكة ساخرة :

ـ ان الليدي بيانكا ترتدي ثوب الزفاف .. كما ان جواسيسنا جاءوا الينا باخبار عن جيش الثائرين في سالونيتو. ولكن لارجاء فيهم بدون زعمائهم. سنفنيهم عن آخرهم اذا ماحاولوا اللحاق بكم

ورفع كازانوفا قبضته في وجه خصمه ، فامسك به الحراس فصاح وهو يشغلهم بمقاومته لهم :

ـ اهرب يا لورنزو .. الى سالونيتو

وبسرعة البرق قفز لورنزو من النافذة، بينما استمر كازانوفا في المقاومة حتى تغلبت عليه كثرتهم .. واصدر الحاكم امره باعدامه هو ومن قبض عليهم من الثوار بعد انتهاء الايام الثلاثة التي يحتفلون فيها بعيد القديسة روزالي

واقترح دي بريساك وضع كازانوفا في برج الكاتدرائية



اللادى يانكا ترتدى ثوب الزفاف

بالغرفة الواقعة تحت الاجراس.
فسرت القشعريرة فى بدن كازانوفا وتملكه الرعب ، فهو يعرف أن لهذه الاجراس رنينا مفزعا ينتزع الروح من الجسد .. وما من أحد زج به فى هذه الغرفة وخرج منها بعقله

وما هى الا لحظات حتى وجد كازانوفا نفسه بين جدران هذه الغرفة الرهيبة . ونظر حوله فى ياس ، فراى نافذة بالباب ذات قضبان حديدية ، ونافذة اخرى مثلها فى اعلى الغرفة

●

وفى محنته اتجه فكره الى زانيتا .. ترى ماذا هى فاعلة بعد ان تعرف ما حدث ؟ ويقطع عليه تفكيره رنين الأجراس المفزع. وحاول ان يصم اذنيه بيديه عن سماع هذا الرنين بلا جدوى .. ولبث هكذا يتلوى من فرط الألم حتى صمتت الأجراس .. فاذا هو شبه مجنون

وهكذا كان يتكرر عذابه كلما دقت الأجراس . وانقضى عليه يومان .. وفى مساء اليوم الثالث استند الى الحائط البارد مجهدا شارد النظرات وهو ينصت الى اصوات الجماهير فى احتفالها بالعيد. ذلك اليوم الذى سيلقى حتفه بانتهائه فى فجر اليوم التالى

وفجاة راى شيئا يمر بقوة من خلال نافذة الغرفة العليا .. فتناوله فاذا هو سهم ، كسره فوجد فى تجويفه مبردا صغيرا . اذن فرجاله لم ينسوه ، ولمعت عيناه وهو ينظر الى المبرد ، لانه وسيلته الى النجاة

وما كاد ينتهى من تحطيم آخر قضيب بنافذة الباب، حتى سمع صوت الحارس مقبلا فانتظر حتى اطل عليه من خلال القضبان المتداعية . ثم مد يديه بسرعة واطبق بهما على عنقه وامره بفتح الباب والا فمصيره الموت

وما هى الا لحظة حتى خرج كازانوفا من باب الغرفة الرهيبة بعد أن قيد الحارس الذى صارحه بأن باب السلم الذى يؤدى الى أسفل مغلق ، ولن يحضر احد لفتحه الا بعد ساعة

وبدلا من ان ينتظر اسرع الى قمة البرج والقى نظرة على الاجراس فى صمتها ، ثم ربط دقات الاجراس

وبعد لحظات اهتزت الاجراس ولكن لم يسمع لها رنين ، وفجاة انقطعت أصوات الجماهير . والكل يتساءل عن سبب صمت الاجراس واسرع كازانوفا بالنزول واختفى بجوار الباب المقفل حتى يصعد أحدهم ليكشف أمر الاجراس الصامتة

وفتح الباب .. ونفذ منه رئيس الحراس ، ولم يكد يصعد الى قمة البرج حتى انطلق كازانوفا ونزل مسرعا حتى وصل الى اسفل البرج ، فوجد وسط الجمهور المتلهف الى سماع رنين الأجراس اشخاصا مقنعين بينهم زانيتا

ودفعوا به الى عربة منتظرة ،

ولم تكد تتحرك حتى جرى وراءها الحراس الذين شعروا بهروب كازانوفا ، والهب السائق ظهور الجياد بسوطه فاسرعت بالعربة وطلقات الرصاص تدوى خلفها

ورأى كازانوفا وهو جالس فى العربة الأب جاكوبو ينزل اليه من فتحة العربة العليا . ثم رأى زانيتا تسقط من فوق العربة الى الارض وقد اصابتها رصاصة ، وقبل أن يفعل شيئا كان الجنود قد احاطوا بالمسكينة من كل جانب !

●

فزع كازانوفا لعجزه عن انقاذ الفتاة التى يحبها فى الوقت الذى ضحت فيه بنفسها لانقاذه . فهى التى دبرت له خطة الفرار كما اخبره الأب جاكوبو

وفى حدود المدينة وجد كازانوفا شرذمة من أقوى رجاله فى انتظاره ، فاخبرهم ان دانتشى وبعض زملائه سيشنقون فى الفجر ولابد من انقاذهم ، وما هى الا لحظة حتى قفل راجعا الى قصر الحاكم مع رجاله ، وهاجموا القصر ، وقامت معركة كبيرة بينهم وبين الحراس . . وفى اثناء ذلك اتجه كازانوفا الى حديقة القصر فرأى نافذة مضاءة ، وصعد اليها ونفذ منها الى الداخل واذا به يرى زانيتا مرتكنة الى احد المقاعد فى حالة شحوب وبجانبها اللادى بيانكا . فأسرع اليها شاكرا ربه على أن وجدها حية ، وطلب الى الفتاتين أن تعجلا بالنزول حيث تنتظرهما عربة بجوار السور

وتركهما واتجه الى غرفة الحاكم ، وفيما هو فى طريقه اليها طرق سمعه صوت يقول له :

ـ لقد جئتنا بنفسك مرة اخرى !

والتفت ليرى دى بريساك وهو يبتسم فى خبث ويقول :

ـ ان الحاكم موجود فى باليرمو ليشرف بنفسه على تنفيذ حكم الاعدام فى زملائك . . وعندما تسمع الاجراس تدق دقات منتصف الليل يكونون قد انتقلوا الى العالم الآخر

●

وقبل ان يدفع دى بريساك بسيفه نحو كازانوفا ، كان هذا أسرع منه فى تفادى الضربة التى وجهها اليه . . وبضربة أخرى دفن كازانوفا سيفه فى قلب خصمه فسقط مضرجا بدمه

وأسرع الى رجاله يستحثهم فى الذهاب الى باليرمو لانقاذ زملائهم . وهناك فى الميدان العام كانت الجماهير الحاشدة قد ملأت المكان فى انتظار تنفيذ الحكم . وفجأة رأى كازانوفا بجانبه الأب جاكوبو الذى اخبره ان لورنزو قادم على راس الثوار من سالونيتو وكالعاصفة تجتاح كل شىء أمامها اندفع الثائرون الى الميدان . ورأى كازانوفا الحاكم الظالم وهو يولى الأدبار مع رجاله ، فقفز من فوق جواده الى المشنقة ورفع الحبل عن عنق دانتشى

وصاحت الجماهير هاتفة للثوار



.. رأى كازانوفا الحاكم الظالم وهو يولى الأدبار مع رجاله

وزعيمهم كازانوفا الذى سار وبجانبه لورنزو ودانتشى ليحتفلوا بأول نصر احرزوه

وفى جانب من الميدان كانت اللادى بيانكا واقفة بجوار عربة فى انتظار لورنزو .. فلم تكد تراه حتى ألقت بنفسها فى أحضانه ، ثم استدارت الى كازانوفا وقالت :

ــ الفضل لك وحدك فى جمع شملنا .. اشكرك من كل قلبى

واستقل لورنزو وبيانكا العربة وكازانوفا يتبعهما بنظره ، وكأنه يغبط لورنزو على فوزه بهذه الغادة الجميلة ..

وفيما هو فى موقفه سمع صوت زانيتا يناديه من خلفه ، فاستدار اليها بسرعة وأخذها بين أحضانه ، وهمس فى اذنيها قائلا :

ــ لقد تمت سعادتى أنا أيضا .. ستكونين الى جانبى الى الأبد

فدفنت رأسها فى صدره فى تأثر وفرح ، فهى الآن فى حماية فارسها الشجاع

[قصة سينمائية]

عند ما تسيطر على النفس رهبة الموت ..

حياتنا لها بقية ..

بقلم الاستاذ ابراهيم الوردانى

انها أرض طيبة عذراء تلك التى اعيش فيها ..

لن تفتننى عنها رقصة « السامبا » فى فراديس « كاليفورنيا » ، أو متعة البشر الاحرار فى حدائق « هايدبارك » بلندن .. لا ولن يسلبنى من مروجها العفيفة فجر الذرة فى بلاد الغربيين المتمدنين عباقرة الاحياء ، حتى ولو لونوا الهواء وزرعوا السماء ..!

انا مفتون ببلادي ولن أستبدل حقل قمح صغيرا بساحة « فورد » الصناعية الفخمة ..!

انا مفتون بتلك النفحات القدسية ينفخها القدر فى بلاد الشرق الخضراء ، فنحن مع الطبيعة عشاق امناء .. روحانيون عاطفيون .. توقظنا حرارة الشمس ، ويخدرنا للنوم اشعاع القمر ..!

انا مفتون بها ولن يسلبنى منها حدث مهما عظم ، حتى ولو انتجت بطون أمهات الغربيين كل يوم عبقريا مثل شكسبير او خالقا صغيرا مثل برنارد شو !

نعم .. أنا لها وهى لى ولن انفر منها ابدا ، حتى ولو كان من نتاجها بطل هذه الاقصوصة ، هذا المخلوق البطين المتعجرف الغليظ البخيل ، صاحب العزة محمد حسن السعداوى بك ..!

*

ان « السعداوى بك » لم يحاول فى خمسين عاما عاشها ان يتذوق تلك اللذة الفائقة التى تغمرنى حين انفح متسولا بائسا قطعة فضية من ذات الخمسة القروش .. ولم يحاول يوما ان يفكر فى أن هذه الحياة التى يحياها قد تتوقف فجاة وبلا تمهيد ، لو لدغته بعوضة الجامبيا أو لمسته رعشة حى أو لفحته نسمة ريح ، وان ألوفه المكدسة فى الخزائن والبنوك لن يحدث ان يجن مشيعو جنازته فيسجوها معه فى قبره ..!

ان السعداوى بك لم يتناول القاموس يوما ما ليحاول أن يتحرى عن حقيقة تلك الصفة التى اصبحت عنوانا له .. صفة العصامى .. فانه حقا انشأ

نفسه .. كان مفلسا فاثرى ، وكان عاريا فاكتسى، وكان مشردا فاصبح مالك قصور وضياع .. ولكن كانت يده اليمنى في عصاميته تلك شيطانا مريدا ، نفث فيه غلظة قلب فائقة ، وبخلا بالغ النمو ، واستغلالا مثاليا لأجرائه وعماله واولاده وموظفيه ..!

انه مخرب بيوت ، ومشتت عائلات، والقرش فى نظره يساوى حياة انفس عدة .. ان السعداوى بك لوحة دميمة شاذة فى بلاد جيلة طيبة مثل بلادى ، كل اهلها كرماء بسطاء، يجددون حظوظهم مع الايام ضاحكين ..

*

ذات غروب ..

سوف اتسلمه كما هو بدينا ، مبغددا ، متهدل الأصداغ، لاهث الأنفاس ، يضم كرشه الضخم بصعوبة، تفوح منه ابخرة طازجة للجشع والطمع والنهم ، فهو عائد فى عربته الخاصة من الاسكندرية الى القاهرة فى الطريق الزراعى ، بعد معركة وحشية فى البورصة وسوق المال ، خرج منها كوحش اتخمه الشبع

ان العربة تسير متهادية فى الطريق ، والسائق يقودها فى حذر واناة ، والطاغوت منزو فى ركن منها يلوك فى حلقه قطعة كبيرة من الدخان المضوغ ..

وفجأة يحس بأنفاسه كما لو كانت قد توقفت ، ويشعر بمغص مفاجىء يكاد يفرى أمعاءه، ويحاول أن يتنفس فتخرج منه حشرجة دب ذبيح ، ويحاول أن يبسط قامته ولكنه يتلوى كالملدوغ ، ويحبس صرخة جاهدة كاد الالم يطلقها كالزئير .. والرجل على استعداد لأن يعارك فى كل شىء الا فى المرض فهو جبان جبن الارنب البرى .. وهكذا اصفر وجهه ، وتصبب العرق غزيرا على جبينه ، وخيل له ان هذا الألم القاسى الذى انتابه فجاة ، انما هو نذير مفجع بانصرام عقد حياته .. وقد روع لمجرد التفكير فى الموت وفزع الى درجة الاغماء، ولهث بأنفاسه فى صوت مضطرب واهن يأمر السائق بالوقوف والبحث عن اى طبيب فى تلك الناحية ..

وقد حار السائق ماذا يفعل ، ونظر الى سيده المتأوه فى ذلة وضراعة وخوف ، فانه نال اليوم عشرة انذارات بالفصل منذ الصباح لأسباب تافهة . والآن، كيف يقنع سيده بأن ايجاد الطبيب فى تلك الأمكنة امر عسير ، فالاحياء فى تلك البقاع قانعون بأن تطببهم الطبيعة ..!

وتقدم السائق بالعربة فى سرعة وارتباك يسأل أهل القرية الهاجعة : « هل من طبيب ؟ » ويزداد ارتباكه كلما وصل الى اذنه هذا الصياح الأليم ، وهو يسمع سيده يزوم به فى صوت مخيف كمن يتقطع بدنه قطعا صغيرة بفعل سكين مرهفة .. ويهتف السائق فى حماس كمن وجد كنزا حينما يرى منزلا منزويا علقت

على احدى نوافذه المضيئة لافتة باهتة سوداء كتب عليها « الدكتور سليمان الكومى » ..!

وعندما دخل السعداوى بك حجرة الطبيب مستندا على ذراع السائق ، راى أمامه رجلا هرما نبيل الملامح ، شعره الابيض فى لون الفضة ، وعيناه الصافيتان تعلوهما نظارة لامعة ، وقد علق سماعته الطبية فى عنقه ، وجلس بجوار المصباح وحوله اكداس من الكتب والآلات الطبية ، وقد راح منهمكا فى تأمل انبوبة بيضاء بها ماء ملون

وقد نظر الطبيب الى السعداوى بك ، واطال فيه النظر بغير أن يتحرك ، ثم رفع عويناته صامتا كمن يتأمل مخلوقا غريبا عليه ، ثم أشار اليه ان يجلس ..

وجلس السعداوى بك فى اعياء ، وكان وجهه الاصفر المتقع ينطق بألم مرير متعربفتك بأعصابه .. ثم صاح بصوت متحشرج ضارعا الى الطبيب أن ينقذه من الموت !

وظلت نظرات الطبيب هادئة ، ولم تتبدل تعبيرات وجهه النبيلة ، ولا نظراته الصافية الوادعة ، كمن اعتاد مثل تلك الحالات .. وتحرك فى اتئاد وبطء ، ثم ربت على كتف السعداوى بك وهو يبتسم فى وجهه ابتسامة عالم شفوق رحيم

وبدأ الطبيب يفحص مريضه ، وكان فى فحصه دقيقا ، ولمسات يده تنم عن خبرة طويلة وثقة بالنفس .. وقد طال الفحص حتى بات السعداوى بك من قلقه على وشك الجنون .. واخيرا رفع الطبيب راسه عنه ، ونهض المريض من الفحص معرقا لاهث الأنفاس ..

اذاب قرصين من الدواء فى الماء ثم سأله ان يجرعهما .. وقد جرع السعداوى بك الكوب فى سرعة آملة ، وشعر فجأة بالهدوء والراحة ، وكادت تنفرج شفتاه عن ابتسامة هدوء وامتنان حينما جلس الطبيب أمامه ينظر اليه فى اهتمام كمن يستعد وإياه لحديث طويل ..

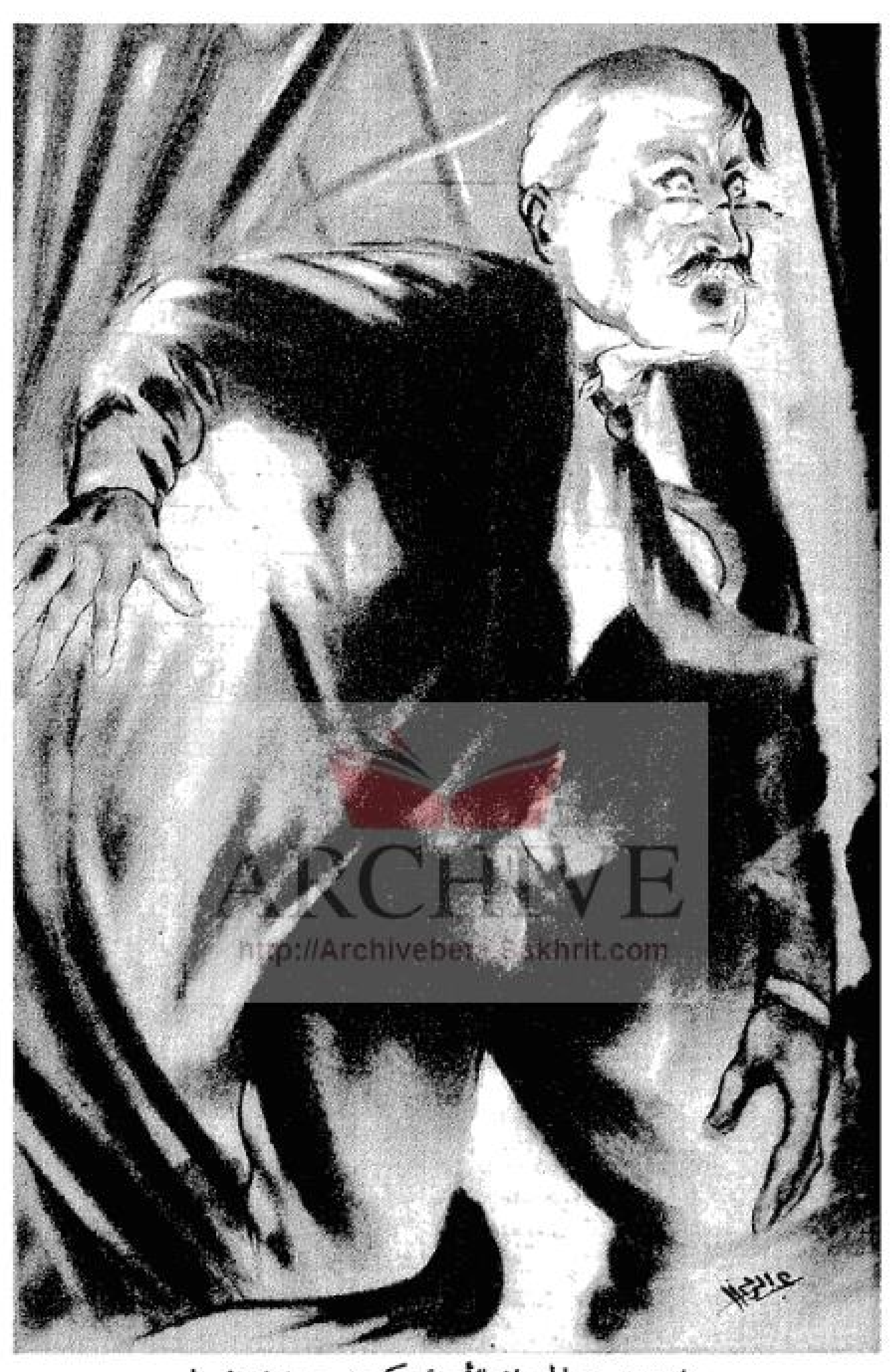
واعطاه سيجارة وقال له انه لا ضير عليه أن يدخنها ، وابتسم ابتسامة عذبة وديعة ، وكان هذا الهدوء البالغ اللطف ، والاتزان الواثق الذى يعامله به الطبيب ، قد شككاه فى خطورة مرضه ، فبدت منه حركة كمن يطلب من الطبيب ان يتكلم .. وهكذا رفع الدكتور « الكومى » راسه وفى صوت حلو كالنغم بدأ يحدثه :

ـ الست انت السعداوى بك المالى المعروف ؟ .. اننى أعرف صورك من الصحف والمجلات ..

ـ نعم .. انا هو ..

ـ يسرنى ان اقدم اليك نفسى . فانت طبعا لا تعرفنى ولم تسمع عنى من قبل ، مثلك مثل ثمانية عشر مليونا من المصريين ..!

واومأ السعداوى بك برأسه فى فضول كمن يريد ان ينهى الحديث . ولكن الطبيب قام واقفا حيث احد الأدراج ، واخرج منه دوسيها



راح يدور بين الجدران الأربعة ، كوحش جريح مجنون . !

كبيرا وضعه تحت انظار السعداوى بك ، وقال :

ــ ان اسمى الدكتور سليمان الكومى . . ولعله يهمك ان تعرف ان الذى اجرى فحصك الليلة زميل بكلية الجراحين بلندن ، واول المتخرجين بكلية الطب ببرلين فى الجراحة ، واول المتخرجين فى جامعة فينا قسم الامراض الباطنية ، ولى اجازة امتياز من جامعة وشنطن فى طب النساء . . ولعله يلذ لك يا سيدى ان تقرا بعض قصاصات من جرائد لندن وفينا وبرلين ونيويورك فيما كتبته عنى . . فانهم يعتبروننى احدى فلتات الطب فى العالم ، وانا مؤلف لاثنى عشر كتابا طبيا ، والعلماء يعتبروننى احد عمدائهم ، فالجسم البشرى امامى شىء شفاف يمكن ان التقط الخلل فيه بلمسة من يدى . . واذا سالتنى لماذا اقبع هنا فى تلك البقعة المهجورة البعيدة عن العمران والشهرة ، لقلت لك اننى اجاهد لاخلف ثروة علمية لابناء بلادى لن يواتينى اتمامها الا فى هذا الركن المنعزل الهادىء . . كل هذا اقوله لك يا سيدى لا لافخر به وازهو ، ولكن لاطلب منك ثقة مطلقة فى كل كلمة سوف اقولها لك بخصوص مرضك . . !

كان الطبيب يتحدث فى ثقة وصراحة ، وكانت كلماته الحلوة تخرج هادئة قوية ، وكانت برنة صوته عذوبة نزلت بردا على حرارة السعداوى بك ، فبات ينصت اليه مؤمنا ايمانا كاملا بان كل كلمة ينطق بها الطبيب انما هى اشبه بالتنزيل . . واستمر الطبيب يتكلم :

ــ هناك خبر يا سعداوى بك لا اظن انه من الخير ان اضيع الوقت فى ازجائه اليك . . انت رجل مثقف وقوى وذكى ومختبر للحياة ومجرب للصدمات ، ويجب الا اسهب واضيع الوقت الثمين فى المواربة الناعمة حينما اقول لك ببساطة انه لم يبق من عمرك على الارض الا عشر ساعات . . !

ولم يتمكن السعداوى بك من ان يمنع عن نفسه رجفة شديدة قوية لمفاجاته بالخبر ، وان كان قد عاد ولمستكن فى مقعده كمن ينصت الى حكم صارم لا بد منه . . !

« ان مرضك يا سيدى هو مرض ما قبل الموت . . هناك شريان فى جسمك قد تآكل ، وسوف ينفجر بعد عشر ساعات بالضبط ، وفى الدقيقة التى ينفجر فيها سوف يتوقف قلبك وتموت . . ان الطب يعجز فى حالتك تلك . . ولو جئت بعباقرته فى جميع انحاء العالم ، فمن المؤكد انهم لن يفعلوا اكثر من مداهنتك حتى تحين ساعتك ، وهم يتاملونك صامتين مستسلمين . . نعم من المستحيل اعادتك للحياة من جديد او حتى اطالة عمرك دقيقة واحدة عن الموعد المقرر »

كان حديث الطبيب المهيب ودودا عميقا نفاذا ، وكان يسرده فى ايمان ومنطق وثقة ، وكل كلمة

منه كان السعداوي بك يتلقاها مذعورا،ولكن ذعر انسان لا حيلة له فى الامر ..!

«كان يمكنني أن اقول لك غير هذا .. ولكنني رجل منطقى وشريف ، ومبدئي الصراحة مع المريض .. وقد أعطيتك دواء سوف لا تشعر معه بالالم حتى تحين ساعتك ..نعم انك سوف تموت بلا الم وانت جالس على مقعدك .. لا تحاول أن تسالنى اى سؤال آخر ، وعبثا تحاول أن تخرج من عندى لتبحث عن طبيب غيرى ، فانت بهذا سوف تضيع وقتا ثمينا من عمرك القصير المتبقى ..

« يا سعداوى بك .. باق لك من الزمن عشر ساعات ..! »

*

المال .. الجاه .. الحياة ..؟!

كيف يمكن أن تنتهى هكذا فى بساطة ، وفى مثل هذا التحديد الصارم .. تلك هي الصرخة المكبوتة الباكية التى يريد السعداوى بك أن يطلقها الآن فى هذا الفضاء الذى تسير فيه العربة تحمله الى قصره بالقاهرة ..

كيف يمكن أن ينتهى هذا العالم فى نظره.. كيف يمكن الا يستيقظ فى الصباح كعادته .. كيف يمكن الا يرى ضياعه وشركاته ومكاتبه وأولاده ..؟ .. نعم .. كيف يمكن أن يحدث هذا ..؟!

*

وراح ينظر الى ساعته الذهبية مذعورا ، ولم يملك نفسه عندما سمع دقاتها ، فقد هشمها بقوة لانها فى حركتها تلك كانت تمتص المتبقى من عمره فى قسوة بالغة .. ثم عاد ينظر الى شظاياها وقد بقيت فيها حركة بطيئة فسحقها بقدمه ، وشعر بانه يبكى .. ينشج فى ضراعة واستسلام ..!

وصعد درجات قصره فى وهن، وارتمى على مخدعه فى حجرة مغلقة، يمزق الفراش باسنانه حائرا حانقا. وراح يدور بين الجدران الاربعة كوحش جريح مجنون ، يحطم المرايات ، وساعة الحائط ، وكل ما يصل الى يده مما يذكره بنفسه او بالزمن .. وتلفت حواليه مذعورا فى الحجرة المغلقة، واحس بانفاسه تحتبس فى حلقه، فخرج من الحجرة صارخا يطلب عربته.. انه يريد أن يستنشق الهواء .. يريد أن يعيش فى الضوء.. يريد أن يرى البشر .. يريد أن يحيا فى الضجيج ..!

وذعر السائق من حالة سيده وهو يأمره بان يسرع به ناحية البحر، ثم يطلب منه أن يعود الى الطرقات الممتلئة بالناس .. واخيرا واتته نوبة يأس،ووجد انه يتمزق فى هذا الجو الصاخب فأمر سائقه بأن يعود الى بيته ..!

وحينما صعد الدرجات فى تلك المرة ، كان هناك هبوط روحانى يشتد عليه .. أعياء نفسانى يتملك قواه .. وهكذا راح يجر أقدامه فى ضعف يقصد حجرة مكتبه ، وجلس على المقعد يتامل

صوره وصور أولاده وحوادث حياته ، ثم هذه الاوراق وتلك الدوسيهات ، وكل هذا التاريخ الحافل النشيط .. واتكأ برأسه على المكتب ، وبدأ يبكي في صوت ضعيف ضارع وهو يقول :

ـ غفرانك يا الهى ..!

وراح يكرر هذه العبارة في شرود ، ولمسته روحانية صافية تطالبه بأن يستيقظ ضميره ..!

*

ولكن هذا الضمير يتيقظ ليجر في أذياله لوحات من ماضيه الخاسر . في كل لوحة مسخ ودمامة وتشويه .. طفولته .. شبابه .. هرمه .. هذا العالم الذى كان يظنه لعبة في يده منذ ساعات .. هذا العالم الفائر النشيط الذى يلوك الأحياء كما كان يلوك مضغة الدخان في فمه قبل أن يواتيه النذير ..!

واخذ ضميره يوقظ الماضى حيا أمامه .. فبالأمس فقط قصده لفيف من الفتيان الصغار ، يسألونه أن يتبرع للترفيه عن الجنود المحاربين فطردهم في قحة. وهو يقول : « مالي وللحرب » ولكن ماله الآن والماضي القريب ؟ هناك الذكرى الساحقة لضميره منذ بدأ يطل على هذا العالم جشعا متنمرا مفترسا في سوق البيع والشراء !

تذكر أول شريك له « محمد الدعوقى » هذا الرجل التقى الكامل الذى سرق رأس ماله ، وابتزه وشتت أعماله ، وألقى به في عرض الطريق مفلسا لا يملك الدانق .. انه يتذكر الآن كل حيله الطاغية في انزال الكوارث بمزاحميه. انه لن ينسى انه تسبب في افلاس « حسن كاظم » وتشريد أولاده وضياع أملاكه .. انه تسبب في انتحار « على بدوى » بعد أن ضربه ضربة قاصمة في احدى الصفقات .. انه تسبب في سجن « محمود سرحان » بعد ان لفق له تهمة احراز المخدرات، كي يخلو له الجو في شركة التصدير .. انه .. انه أمن على حياة امرأته الاولى وقتلها كي ينال ارثها .. انه طرد اشقاءه وشرد أولاده ، وكان يغتنم كل فرصة ليكتسح الأحياء أمامه .. نعم .. هذه كلها مخلوقات يستعرضها الآن في سكون ليجد انه كان أداة فتاكة لتدمير حياتهم .. انه يتذكر الآن كيف مات شقيقه الكبير مريضا جائعا ورفض أن يعطيه قرشا يداوى به نفسه ويرد به مسغبته .. انه يتذكر الآن طريقة معاملته لموظفيه وعماله ، والغلظة والطغيان والاستعباد التى كان يؤاخذهم بها .. بل وهذا القصر الذى يعيش فيه .. انه كان آخر الصفقات القذرة التى نالها ، من احد شركائه .. ناله بلا ثمن تسديدا لدين مفتعل...

اخذ يفكر ويستعرض ويتألم. وتملكته لمسة من روحانية حانية مفاجئة تطالبه بأن يفعل شيئا ليرد به هذا الماضى البشع اللئيم

المقيت .. آه لو ملك الزمن قليلا ليقابل ربه نظيفا .. نعم .. انه على استعداد لأن يرد لكل ذي حق حقه .. ولكن كيف ..؟!

*

وواتته الفكرة .. اخرج دفتر شيكاته ، ثم دس يده في درج المكتب ، ورتب امامه مجموعة من الخطابات والمظاريف، وامسك القلم وبدأ يكتب

بدأ بشريكه محمد الدعوقي ، وكتب اليه رسالة يطلب منه الغفران ، ويصارحه بانه نال منه ماله بلا وجه حق ، ولهذا فهو يعطيه نصف ثروته بلا تردد ..! وكتب شيكا بالمبلغ الضخم ، واغلق المظروف ووضع عليه طابع البريد ونحاه جانبا .. ثم حسن كارم .. كتب اليه ليستغفره ، ويعترف له كيف ابتزه وسرقه ، ثم كتب شيكا بالمبلغ الجسيم الذى قدره .. ثم عائلة « على بدوى » هذا المنتحر المسكين .. ثم محمود سرحان الذى سجن بريئا بتهمة هو الذى لفقها له .. كتب اعترافا كاملا ومنح تعويضا ماليا كبيرا فرضه على نفسه .. ثم اقربائه واولاده ، وراح يتذكر كل انسان ناله منه الهوان ، ليكتب له ويورثه شيئا من ماله . وهذا القصر، كيف لا يرده الى صاحبه.. وكان هذا هو الخطاب الاخير، حيث وضع حجة البيع والتنازل وغلفها في المظروف واغلقه .. !

الآن يمكنه أن يتنفس مستريحا. يمكنه أن يستروح نسمة قدسية رائعة شعر بها تنفحه بعطر روحاني مهدىء .. وهو الآن يأمل فى انه لو أتيحت له الفرصة - وهذا مستحيل - لعاش من جديد ، واثبت للقدر والبشر انه نظيف طيب .. !

ودق الجرس يطلب الخادم ، وابتسم فى وجهه ابتسامة رحيمة وسلمه الخطابات، وسأله ان يسرع بها ويلقيها فى صندوق البريد !

وجلس على المقعد ينتظر الموت باسما .. !!!

*

تبقى من الزمن ساعة ونصف. وها هو ذا السعداوى بك ينهى آخر ركعة للصلاة يتوجه بها الى ربه فى اخلاص غامر .. وها هى ذى تباشير الفجر تنفذ من النافذة لتقدم نهارا جديدا للاحياء .. وها هى ذى دلائل الحياة تدب فى الطريق ، يشير اليها صوت بائع الصحف .. ولذ للسعداوى بك ان يقرأ الجريدة للمرة الاخيرة فى حياته .. وسأل الخادم ان يحضرها له .. وعند ما بدأ يتصفحها كان يبتسم فى اشفاق ضعيف .. لماذا تعارض روسيا امريكا .. لماذا يجاهد الانكليز لأخذ السودان من المصريين .. لماذا يحارب الصهيونيون حربا خاسرة .. لماذا تترقب امريكا انتخابات الرئاسة .. لماذا تموج اليونان بالاضطرابات .. هؤلاء بشر مساكين.. ما أشد ما يشفق عليهم ..!

وراح يقلب صفحات الجريدة وهو يهز راسه فى سكون ، ورأى خبرا صغيرا فى زاوية من حوادث الاقاليم .. قراه مرة ومرتين ثم ثلاث مرات .. وتقع الجريدة من يده ، ثم يقع مغشيا عليه كالجثة

اما الخبر .. ماذا فيه ؟ ! !

« فر اول أمس من مستشفى الامراض العقلية الطبيب المعروف الدكتور سليمان الكومى ، وضبط فى عيادته القريبة من بنها ، ومما يعرف عن هذا الدكتور العالمى الذى جن لغزارة علمه ، ان المريض الذى يأتيه يقنعه بأنه سوف يموت بعد عشر ساعات وان عليه ان يعيش الساعات العشر سعيدا .. وقد قبض عليه بعد منتصف الليل ، وادخل مستشفى العباسية ! »

*

والآن .. !

امامك بقية من حياة طويلة يا سعداوى بك .. ! !

انت اليوم مفلس لا تملك شيئا .. وعندك فرصة ما اطولها لتثبت للقدر والبشر انك نظيف طيب .. كن مليونيرا اذا قدرت .. كن مالك ضياع وقصور اذا تمكنت .. كن طاغوت السوق وجبار المال اذا عرفت .. !

*

ولكن السعداوى افاق من اغمائه ليدوربنظراته الحمراء يمينا

انه افاق من اغمائه مذهولا ليدور بنظراته الحمراء يمينا وشمالا ، واخذ يلهث بأنفاسه فى رعب صارم .. وهو يدور حول نفسه كمن تحركه آلة ميكانيكية سريعة .. ثم هرول نحو النافذة يفتحها على مصراعيها وكاد يصرخ فى صوت مستغيث ملتاع لولا ان بح صوته وجف حلقه .. هذا الفضاء .. هذا العالم .. هذا النور .. هذا الضجيج .. هؤلاء البشر جميعا ، هو الآن غريب عنهم .. هم الآن اعداؤه .. كل الكائنات الصماء تنظر اليه فى سخرية مريرة لاذعة .. ترمقه كما ترمق وحشا مسعورا يهرول فارا بعد ان اصابته طلقة نارية .. ! !

. ويفتح الباب ليدخل عليه الخادم يخبره انه قد القى بالخطابات التى كتبها فى صندوق البريد ، ويسأله اذا كانت هناك خدمة اخرى يمكن ان يؤديها . !

نظر السعداوى بك اليه طويلا ، وتأمله من قدمه الى راسه فى نظرات فاحصة .. ثم فعل شيئا لم يكن احد يتوقعه .. لقد اطلق الرصاص على الخادم .. ولم يفكر طويلا قبل ان يطلقه على نفسه ! ! !

ابراهيم الورداني

جولة فى اشهر متاحف روما

لكل تمثال قصة ..

نحن فى متحف « بورجيزه » بروما ، ومكانه « فيلا بورجيزه » وقد بنيت بامر الكردينال تشبيو بورجيزه ، فى اوائل القرن السابع عشر للميلاد ، واتسع نطاقها بعد ذلك ، بما اضيف اليها من المبانى، وما ادخل عليها من التعديلات والزخارف من ذلك الحين الى اوائل القرن العشرين . ويغلب على طرازها المعمارى وزخارفها وتماثيلها الفن المعروف باسم « باروك » . واصل هذه الكلمة لا يعرف على وجه التحقيق . فيحتمل انها مشتقة من كلمة برتغالية ، معناها لؤلؤ غير منتظمة الشكل، أوعن كلمة يونانية، وفيها معنى الثقل . وقد اقتبس الآباء اليسوعيون الفن الباروكى بعد عصر الاصلاح ، فزينوا به الاديرة والكنائس . وسرعان ما غزا اسبانيا ، وانتشر فى بفاريا ، والتيرول ، والمانيا ، واسوج ، وسويسرا ، والنمسا ، وعلى الاخص سلزبرج ، حيث تباهى المدينة بآثارها . وقد امتد الى روسيا شرقا ، والمكسيك وامريكا الجنوبية غربا . وحسبه ان الجناح الغربى لمتحف « اللوفر » بباريس مزين به . والفن الباروكى نراه فى قصور الملوك والامراء والاشراف، ودور الاوبرا والموسيقى ، وقد كان النوابغ فيه يستدعون من ايطاليا الى أقاصى البلدان، لاقامة التماثيل ، وتزيين الحدائق ، والقصور ، والصالونات

وفى مقدمة هؤلاء النوابغ العالميين لورنزو برنينى (١٥٩٨ — ١٦٨٠) المثال الايطالى الذى نقدم له على هذه الصفحات بعض تماثيله . وفن برنينى ، كما يترجمه لنا البرونز والرخام ، ينبىء عن الحركة والوثوب ، واندلاع اللهب ، ولكنه على جماله ينقصه ذلك السكون الذى نراه فى فن النحت ، وذلك الانسجام والارتياح اللذين نراهما فى التماثيل . فلا عجب اذا ماتت صناعة التماثيل بعد برنينى ، وظلت نسيا منسيا مائتى عام . ولما كان الفن الباروكى يميل بطبيعته الى عدم التعمق ... فقد تأثر رجاله بذلك الشعور ، فاستبدلوا الحجر بالخزف ، الى ان جاء القرن العشرون ، فرجعوا الى صوابهم واستبدلوا المادة المرنة بالمعادن والاحجار الصلبة

وتمثال « ابولو ودافنى » يتوسط القاعة الثالثة فى متحف بورجيزه . وتزين هذه القاعة عمد مربعة رشيقة من الجرانيت الاحمر . وكان برنينى حينما انجز هذا التمثال فى الرابعة والعشرين



داود يلوح بمقلاعه [للمثال برنيني]



أبولو ودفني .. [للمثال برنيني]

من عمره ، وقد حاول فيه ان يقص علينا تلك القصة الغرامية الجميلة ، قصة الفتاة الحسناء دافني ، بنت اله النهر « بنيوس » . لقد كان عشيقها « ليسبوس » يتتبع آثارها ويطاردها متنكرا فى ثياب امرأة ، فقتلته عرائس البحر ، بتحريض من مزاحمه الاله ابولو . واشتد غرام أبولو بها ، فأخذ يقتفي اثرها ويطاردها ، فناشدته أن يحولها الى شجرة ، وقد استجاب لها ونزل على رغبتها فعلا كما نرى فى التمثال

●

ولننتقل الآن الى القاعة الثانية من متحف بورجيزه ، لنجد التمثال الثاني للفنان برنيني .. فى سنة ١٦١٩ ، استدعى الامير « بورجيز » الشاب « لورنزو برنيني » ، وكان عمره حينئذ ٢١

عاما ، وطلب اليه أن ينحت تمثالا يمثل داود « النبى » يلوح بمقلاعه. وبرغم صغر سنه ، فقد جاء التمثال تحفة تنبىء بمستقبل صانعها وعبقريته . وقصة النبى داود كما روتها التوراة ويشير اليها هذا التمثال ، ترجع الى الحادثة التى وقعت له مع الجبار « جليات » وهى قصة طلية شائقة .. تتلخص فى أن جمعا غفيرا من الفتيان اختاروا داود ليكون نبيا لبنى اسرائيل ، وقد كان غلاما رشيقا ، أشقر مع حلاوة العينين وحسن المنظر . وكان لبنى قومه عمالقة جبابرة من الاعداء ، خصوصا من يدعى جليات ، وقد كان طوله ثلاث أذرع وشبرا ، فلم يجرؤ أحد على أن يتقدم لمحاربته سوى الغلام داود ، وقد هاله ان يرى جليات يعير قومه ويتحداه . ولم يرق للملك «شاول» تطوع داود لصغر سنه ، ولكن داود ألح على شاول ، واستشهد على كفايته بانه قتل أسدا ودبا . فألبسه شاول ثيابه وجعل على راسه خوذة ، وقلده سيفا . ولكن داود لم يستطع حمل هذه كلها ، فنزعها ، واخذ عصاه بيده ، وانتخب خمسة أحجار ملس من الوادى ، ووضعها فى جرابه .. ومقلاعه بيده . ثم تقدم نحو جليات الجبار . فاقترب جليات من الغلام داود ، حاملا ترسه وسيفه . وما وقع نظره على داود حتى احتقره ، فقال له : « هل انا كلب حتى تأتى الى بعصا ؟ » ولعن داود وآلهته ، وقال له : « تعال فاعطى لحمك

باولين بونابارت . . اخت نابليون [للمثال كانوفا]



لطيور السماء ووحوش البرية »
فقال داود : « انت تاتي الي بسيف ورمح وترس ، وانا آتي اليك باسم رب الجنود . هذا اليوم يحبسك الرب في يدي فاقتلك واقطع راسك » . ثم مد داود يده الى الجراب ، وأخذ منه حجرا ورماه بالمقلاع ، فاصاب جليات في جبهته فسقط على وجهه الى الارض ، فتمكن منه داود بالمقلاع والحجر وقتله ، ثم ركض وأخذ سيف جليات وقطع به راسه

•

ولنعد بالقارىء أخيرا الى القاعة الاولى من متحف بورجيزه ، لنلقى نظرة على تمثالي بولين بورجيزه ، او بولين بونابرت ، شقيقة نابوليون . والتمثال من صنع انطونيو كانوفا (١٧٥٧ ـ ١٨٢٢) ، الفنان الايطالي المشهور ، مؤسس المدرسة الجديدة لنحت التماثيل في ذلك الحين . ويمتاز فنه بالنعومة ، والترف ، والتيه ، والدلال ، والرقة ، والرشاقة ، وهو من أسرة اشتهر أفرادها بقطع الاحجار وصناعة التماثيل الصغيرة . وقد ظهر نبوغه منذ الثالثة عشرة من عمره ، فأرسلوه الى روما عاصمة الفن ، فمنح اعانة مالية سنوية مقدارها ٧٥ جنيها لمواصلة الدراسة . وهو مبلغ كان يعد ضخما في ذلك الحين . وهناك تعرف على سفير



هروب اينيا بأبيه محمولا على كتفيه من حريق طروادة [للمثال برنيني]

البندقيـة ، فدعاه الى تأسيس مدرسـة في قصره ، يتلقى فيها ناشئومدينة البندقيةفن النحت. ولما كان كانوفا معاصرا لرجال الفن الباروكي ، فانه كان متأثرا به بطبيعة الحال ، ولكنه عمل على تحسينه ، فتفوق فيهعلى لورنزو برنيني السـالف الذكر . وقد بلغت به الغيرة على الفن انه كان يعين الناشـئين فيه من جيبه الخاص

●

وفي سنة ١٨٠٢ دعاه نابليون بونابرت الى باريس لصنع نموذج لتمثاله النصفي، ثم تمثاله الكامل. وله تماثيـل عدة في واشـنطون والبندقيـة . ومن روائع فنه « ايطاليا الباكية » و « الحسناء الراقصة »

ويلاحظ في تماثيل كانوفا انه كان يصور رجاله كآلهة الاغريق القدماء ، ونساءه كآلهاتهم ، كما انه كان يخلع على بعضـهم وبعضهن أوشحة العشاق . ويجمع بين الجمود الكلاسيكي والتصوير الشمسي الحديث . ويخيل للمتأمل في الصـورة المنشورة هنا ، انها منقولةعن صورة زيتية اوشمسية لا عن تمثال . بيد أن كانوفا في الواقع سـما بفنه وتعالى ، فلم تعد ترى فيـه ذلك الفتور أو البرود الذي يلاحظ في الفن الذي يطلقون عليه اسم النيوكلاسيكي

●

واخيرا لنذهب بالقـارىء الى قاعة « هرمفروديت » حيث نجد التمثـال الثالث للمثال برنيني المدعو « هرب اينيا من طرواده » وهو أول قطعة فنيـة فريدة في بابها نحتها أزميل برنيني بمساعدة والده ، وقد كان الفنان الناشيء في ذلك الحين (١٦١٣) في الخامسة عشرة من عمره . وللتمثال قصة خرافية فريده ، أبدع فرجيل في وصفها في مؤلفه المشهور «الانيدا» وقد أراد بهذه القصة أن يتغنى بمجد الاسرة التي ينتمي اليهـا اغسطس قيصرامبراطور روما . وتتلخص في ان « انكيزه » امير طرواده تزوج سرا الالهةفينوس، وأنجب منها ابنا اسمه « اينيا » وحدث بعد ذلك بسـنوات عدة ان نارا شبت فيطرواده فالتهمتها التهـاما . وكان انكيزه في ذلك الحين شـيخا طاعنا في السن ، متعبا ، فأبى أن يغادر طرواده ، وقد التهمته بها النيران . فما كان من ابنه اينيا الا أن حمله على كتفيه، وابنه الصغير معه متعلقا بساقه ، وقد ماتت أم الصبي قبل ذلك. واقلتهم سفينة قاصدة ايبريه ، ولـكن عاصـفة قذفت بهم الى شواطىء صـقلية ، حيث مات انكيزه ، وجرت حوادث عدة بعد ذلك لا مجال لذكرها

وتبين لنا هذه الرسوم حقائق عدة ، منهـا أثر الميتولوجيـا الاغريقية في الفن الايطالي، ونزعة المثالين الى التعبير عن الحركة ، ونفخ روح الحياة والنشاط في الرخام والحجر، واتخاذ القصص الدينية أساسا روحيا يستلهمون منه الفـكرة ، ثم يترجمونها بلغة الاحجار الصامتة

من قصص الطيران

مغامرة فوق السحب..

شاء القدر أن أتزوج شابا مولعا بالطيران .. وبالرغم من أنه يشتغل فى احدى شركات الطيران، فانه لم يكن يقنع بساعات العمل التى يقضيها طائرا .. فيحاول دائما أن نقضى معا أوقات الفراغ محلقين فى الجو .. وذات مساء قال لى أنه تقرر قيامه باجازته السنوية فى نهاية الشهر ، وأنه لو وجد طائرة خاصة فى خلال الايام المقبلة لاشتراها ، كى نطير بها فى أيام العطلة ..

وبعد عدة أيام ، اتصل بي زوجي « بل » تليفونيا ، وقال بصوت بدا السرور فى نبراته : « أرجو أن أراك سريعا .. سانتظرك هنا لأريك شيئا هاما » .
وذهبت الى حيث اتفق معي على لقائه .. فأرانى طائرة صغيرة تسع أربعة ركاب ، وسألنى رأيى فى شرائها . ولما كنت أعلم أن اعتراضى على فكرة الشراء ، يؤلمه ويضايقه .. هذا الى أنه لن يعيره اهتماما، أظهرت اعجابى بها وسرورى بهذه الصفقة ..

وما أن حل اليوم الاول من اجازته السنوية ، حتى كنا قد أعددنا العدة لرحلة طويلة ...

فركبنا الطائرة ، وسرنا بها نحو ست ساعات ، كنا نتبادل فيها القيادة معا ، ونهبط بها الى مستوى قريب من الارض،كلما استرعى أنظارنا منظر طبيعي جميل . وعندئذ بلغنا مطاراً يقع قريبا من شاطىء بحر اعتزمنا عبوره لنبلغ مصيفا جميلا فى الشاطىء الآخر . فنزلنا فى المطار بعض الوقت ، ثم استأنفنا رحلتنا فى حوالى الساعة الثالثة بعد الظهر . وكانت السماء صافية والشمس ساطعة ، والريح تهب فى اتجاهنا بسرعة ٥٥ ميلا فى الساعة . وكانت رقعة الماء تحتنا تمتد الى مسافات شاسعة تعجز أنظارنا عن تحديدها . وبعد أن أدار زوجي محرك الطائرة وصعد بها الى طبقات الجو العليا ، نظر الى ساعته ، ثم قال فى لهجة الواثق من نفسه :

ــ سوف نصل الى المطار بعد ٤٥ دقيقة

ومضت الخمس والاربعون دقيقة ، التى قدرها « بل » لرحلتنا ، فرحت أحدق وأحلق فى الطبقات السفلى ، فلم أر شيئا سوى الماء والضباب ..



« أليس من الخير أن نهبط بطائرتنا بجوار السفينة ؟ »

وكانت تقديرات « بل » فى جميع الرحلات السابقة دقيقة جدا .. فتمتمت محدثة نفسي : « ها قد اخطأ « بل » فى التقدير للمرة الاولى .. سوف اذكره بذلك بعد أن ننتهى من رحلتنا »

ولكن مضت ساعة ، ومضت خمس وعشرون دقيقة أخرى ، ولم نر الارض بعد .. فسألته فزعة : « هل ضللنا الطريق ؟ ». فأجاب وهو يشير الى مكان قصي : « هل ترين تلك السحابة المنعقدة الى اليسار .. ان المصيف يقع تحتها . وبعد أن طرنا نصف ساعة فى طريقنا نحو السحابة ، تحققنا ان ما رأينا تحتها لم يكن ارضا ، وانما ظل قاتم ألقته السحب على صفحة الماء . وراح « بل » يحول الطائرة مرة نحو اليمين وأخرى نحو الشمال ، ثم تلفت الي وهو يتصنع الابتسام ، وقال : « هل انت خائفة ؟ » فغمغمت : « نعم .. خائفة جدا » . فقال : « هل نعود الى حيث أتينا ؟ » . قلت فى صوت راعش : « نعم .. عجل بالعودة اذا استطعت .. لقد ابتعدنا عن شاطىء البحر بمسيرة ساعتين ، ولم يبق معنا سوى صفيحة من البنزين تكفينا للطيران لمدة نصف ساعة .. » فقاطعني « بل » بعد أن أدار الطائرة وهو لا يدرى جيدا فى أى اتجاه أدارها : « حسنا ..

سنعود الآن وغدا نستانف رحلتنا » . فافتر ثغري عن ابتسامة آلية ساخرة ، فقد بدا شبح الموت يتراقص امام عيني ، واحسست أن شمس الغد قد لا تشرق علينا ونحن أحياء . فقد نفد جانب كبير من الوقود ، وطريق العودة لم يكن واضحا . .

●

وفجاة بدت على بعد منا كتلة سوداء ، خيل الى انها سفينة ، فامسكت بذراع زوجي ، واشرت له اليها . . فانبسطت أسارير وجهه ، وراح يرسل الاشارات اللاسلكية ، الواحدة تلو الاخرى . يستفسر فيها من قائد السفينة عن مكانه ومدى استعداده لمعاونتنا اذا هبطنا بالطائرة بجواره ، ولكننا لم نتلق على استفساراتنا جوابا . وكررنا محاولاتنا عبثا المرة بعد الاخرى . واخيرا قلت لزوجي في عصبية ظاهرة : « اليس من الخير ان نهبط بطائرتنا بجوار السفينة ، بدلا من أن نحلق في الجو على غير هدى ، ثم نضطر أخيرا الى الهبوط في مكان لا يرانا فيه أحد ؟ » وسكت برهة ، ثم اردفت يائسة : « هذه هي فرصتنا الاخيرة يا « بل » فان ولت فلا سبيل الى النجاة » . فقال : « لن نسلم حتى تنفد آخر قطرة من الوقود . . ويحسن الا نضيع الوقت ، فقد أشرفت الشمس على المغيب » . .

احسست اذ ذاك احساسا طاغيا بالرغبة في البكاء والصراخ والشجار مع زوجي لمغامرته بأرواحنا . . ولكنني ادركت اثر ذلك في نفسه ، ونحن في وسط البحر . . فامسكت نفسي مجاهدة ، وتركز بصري في عقرب خزانة البنزين الذي كان ينذر بسامة حلول « عزرائيل » . وكلما رجع المؤشر درجة ، نظرت الى زوجي خلسة فقرات في عينيه الرعب والفزع ، وهالني ما كان يعلو وجهه من شحوب وما يتفصد من جبينه وحول فمه من عرق . .

وفي ساعة الشفق ، تسكن الريح عادة ويسود الكون صمت مطبق . . ولكن الطبيعة في ذلك اليوم ، تعمدت أن تودعنا الى دار البقاء بما يليق بالمقام ، فاخذت الريح تصفر ، وأمواج البحر ترغي وتزبد ، وبدا الكون رهيبا مرعبا . وعندما ضاقت بنا السبل ، اغمضت عيني ، وتوجهت بقلبي الى المولى ، وغمغمت بصوت تخنقه العبرات :

ـ يا الهي . . تراف بنا وانقذنا ، دبر لنا وسيلة نخلص بها . لقد وضعنا رجاءنا فيك فلا تخيب رجاءنا

●

واحسست بشيء من العزاء ، وانا اتلو هذه الصلاة مرات عدة ، ولما فتحت عيني . . قلت لزوجي ، وقد رايت مؤشر البنزين يقترب من الصفر : « بل . . هل اذا هبطنا هنا ، لا يكتشف مكاننا احد ؟ »

فأجاب يائسا : « لا » . . وعندئذ


رمز الانعاش
اشرب
كوكا كولا
DRINK
Coca-Cola

بدأت أفكر في وقع اختفائنا في نفوس والدينا .. انهم سوف يقضون وقتا طويلا يبحثون عنا ، ثم ييأسون . ثم يعاودهم الرجاء فيبحثون وييأسون ، وهكذا حتى يعصف بهم الحزن والأسى ، نتيجة لنزقنا ورغبتنا في ارضاء نزواتنا . يا لنا من طائشين !

وشعرت ان اطراف جسمي تتخشب .. فقد حرصت وقتا طويلا على الا أتحرك من مكاني . فقد كانت كل حركة في هذه الطائرة المشئومة تسبب اهتزاز « بوصلتها » . وسمعت « بل » يلعن الآلات التي لا تسعفه ، فقد اضطر الى قيادة الطائرة في الظلام، توفيرا للكهرباء . ولما لم يعد يرى الآلات .. اخرجت مصباحا للجيب كان معي ، ورحت أنيره من حين الى حين . وفي كل مرة كنت أحدق في مؤشر البنزين .. فأحس ان قلبي يكاد يقف

وودت لو استطعت ان اعترف لزوجي بأخطائي ، وان أسأله الصفح والغفران عما بدر مني نحوه من اساءات .. ولكنني لم أجد فرصة للحديث ، فقد قال فجأة :

— ضعي معطفك على كتفيك . وشدي حزام المقعد على وسطك

●

وما أن قال ذلك ، حتى غامت عيني وتنفست تنفسا طويلا ، اقاوم به الغيبوبة المفاجئة التي انتابتني ، ولكنني بالرغم من ذلك اذعنت لرغبته في حركة آلية .

ورحت أفكر في الساعات المريرة القادمة التي سنصارع فيها أمواج البحر حتى يبتلعنا اليم . وخطر لي خاطر ، مزق قلبي .. هب ان « بل » مات ، وبقيت وحدي أعاني قسوة القدر .

وحدقت في وجهه ، كمن يريد ان يتملى من رؤية حبيب له قبل ان يواري جثمانه المقر الاخير . وقلت في نفسي ، وقد عجزت عن حبس دموعي : « ما اقساك ايها الموت ! اتقطف هذه الزهرة اليانعة، وهي ما تزال في أوج نضرتها .. ان « بل » لا يزال صغيرا ، ومجال التقدم ما يزال امامه فسيحا . ومواهبه العديدة وكفاياته لم يستغلها بعد .. » وتتابعت هذه الخواطر في ذهني .. وكأنني ألقي مرثية حارة على قبره ..

●

ولما ثبت مؤشر البنزين عند الصفر ، كنا على ارتفاع ألفي قدم من سطح البحر .. لم نكن نرى شيئا ، ولكننا كنا نسمع هدير الامواج الصاخبة فنحسبها وحوشا ضارية تتأهب للفتك بنا .

وشعرت بما تملك نفس « بل » من يأس مرير . وحاولت ان اجد كلمة أهدىء بها من روعه ، فأخفقت .. ولكنني تمالكت نفسي بعد اجهاد ، وقلت : « لماذا لا تستغيث بالجهاز الخاص بالاستغاثة مرة أخرى .. فمن

بدري ؟ ! » . فقال وهو يطلق زفرة حارة : « لا فائدة .. لعن الله هذا الجهاز . انه لا يحمل الكلام بعيدا » . ولكنه امسك بالميكروفون ، وقال : « اذعانا لرغبتك .. هانذا استنجد .. » وصرخ فى الميكروفون : « لقد ضللت الطريق وفرغ منى الوقود . اننى اهبط الآن فى وسط البحر بطائرتى .. النجدة ، النجدة ». وكرر هذا النداء مرتين .. وفجاة، راينا عدة انوار كاشفة ، وسمعنا بوساطة السماعات المثبتة على آذاننا صوتا خيل الينا انه هابط من السماء : « نحن نجيب الاستغاثة .. حدد مكانك .. هل تستطيع رؤيتنا ؟ »

●

وغمرنى فرح لا يعدله فرح الاصم الذى سمع صوتا لاول مرة فى حياته . واجاب « بل » على الفور : « طائرة صغيرة ، ماركة ستنسون ، على بعد نحو ٥٠ ميلا من مصدر الضوء وفى اتجاه الشعاع الأيسر الكاشف ». وسمعنا الصوت مرة اخرى : « انطلقت زوارق النجدة للبحث عنكم .. واصل تحديد مكانك بالنسبة للانوار الكاشفة .. بعد قليل ستحلق فى الجو اربع طائرات للاشتراك فى مهمة البحث عنكم وانقاذكم ». ولما هبطنا الى البحر، اضاءنا الانوار وظللنا ننتظر الانقاذ . وكانت الامواج تتقاذف الطائرة فتعلو حينا وتهبط حينا آخر ، ورذاذ الماء يكاد يخنقنى. وبقينا على هذه الحال ثلاثين دقيقة،خلتها ثلاثين سنة. وعندئذ اقترب منا زوق — ادركنا عند رؤيته انه تابع للبحرية الامريكية — وتقدم بحارته منا ، وهنأونا بسلامتنا . ولما تاكدوا من سلامة الطائرة اعطونا قدرا من البنزين يكفى لوصولنا الى المطار — ولما صعدنا بالطائرة الى فوق .. كانت طائرات الانقاذ الاربع متأهبة لارشادنا الى المطار . ولما بلغنا هدفنا وهبطنا بالطائرة ، وفتح بابها،عجزت عن الحركة من مكانى، وأحسست احساس المريض عندما يغادر فراش المرض ، بعد ان ظل طريحا به زمنا طويلا . فحملنى زوجى الى مقعد قريب. وقام طبيب المطار باسعافى .. واشار ببقائى فى الفراش بعض الوقت ..

●

وبعد ساعتين ، نهضت من مكانى اريد العودة مع زوجى الى البيت . وما ان لمست قدماى الارض حتى فاضت نفسى غبطة وسرورا . وتوجهت ببصرى نحو السماء ، وقلت :

— اشكرك يا الهى .. لانك استجبت صلاتى

وعدنا الى المنزل لنرى والدينا واهلينا مرة اخرى ، بعد ان كنا قد قطعنا كل امل فى رؤيتهم

[عن مجلة « ومنز دايجست »]